الخِطابُ الثقافي الإسلاميُّ

الموجّه للناشئة





الخطاب الثقافي الاسلامي
الموجه للناشئة

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب

تعبِّر عن آراء أصحابها



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

اسم الكتاب: الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة

إعداد: منتدى الفكر اللبناني

الطبعة الأولى: كانون الأول ٢٠٠٩

الخطاب الثقافي الاسلامي
الموجه للناشئة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة هو عنوان المؤتمر الذي عقدته وحدة المتون والدراسات برعاية رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله سماحة السيد هاشم صفي الدين وبمشاركة نخبة من الأساتذة والمختصين التربويين بعدما انطلقت فكرة إقامة المؤتمر من هاجس التعرف إلى الكيفية التي تبنى فيها شخصية الجيل الناشئ في ظل المتغيرات العميقة التي تشهدها مجتمعاتنا سيما مع بروز وسائل تنشئة بالغة التعقيد وشديدة الحساسية لا لكونها أصبحت مورد استفادة في المؤسسات التربوية، بل لأنها أصبحت تحيط بالفرد وتلاحقه في أسرته وبيئته الاجتماعية الحاضنة وتقدم نفسها عبر وسائل الاتصالات الحديثة وبمضمون ثقافي يحمل الكثير من القيم الثقافية والاجتماعية التي تهدف إلى التنميط السلوكي للأفراد بما ينسجم مع عصر العولمة العابرة للخصوصيات الثقافية، والساعية نحو تدميرها حتى غدا معها الحديث عن التحصين الاجتماعي والقيمي شديد الصعوبة.

ومن ناحية أخرى، فإن التعرف على التجربة التربوية هو أمر مطلوب حتى مع عدم وجود تحديات من هذا النوع، لأن المقاربة تعبر عن

محاولة تقييمة هادفة إلى الإحاطة بمجمل العملية التربوية في مساراتها وكوامنها، وما تختزنه من إيجابيات ومعوقات لا بد أن تبرز مع كل عملية من هذا النوع سيما أن الخطاب يتوجه نحو فئة عمرية لا تقل خطورة عن سابقاتها، وهي فئة الجيل الشاب بخصائصه العقلية والوجدانية القابلة لاستيعاب كل جديد وباستعداداته المفعمة بروح التحفز والأمل نحو مستقبل يحفظ له دوره ومكانته في الوسط الذي يعيش. هذا الجيل الذي ينبغي أن يحظى بالاهتمام اللازم وألا يترك عرضة لما يحيط به من تنميط ثقافي هادف إلى إفراغ الذات من محتواها وللمؤثرات النازعة إلى اجتثاثه من عمقه الروحي والاجتماعي. في حين أن التطور اللافت في مجالات العلوم الإنسانية في التربية، وعلم الاجتماع وعلم النفس بفروعه المختلفة ومن ثم الوسائل الحديثة من سمعية وبصرية وغيرها، يطرح تحدياً من نوع آخر أقله كيفية توظيف وتكييف هذه الوسائلية في العملية التربوية، ومدى الإسهام بابتداع وتطوير أساليب تربوية ومعرفية متناسبة ومنسجمة مع الحاجات والأهداف الخاصة التي تتطلع إليها أطرنا التربوية.

وعليه فإن دراسة الخطاب الإسلامي الموجه للناشئة يهدف فضلاً عما تقدم إلى استكشاف ممكنات التطوير الذي لا يمكن العبور نحوه إلا بعد المقاربة بالتعرف والتحليل والاستنتاج واستشراف المستقبل. وهو ما سوف نجده في المقاربات الواردة بين دفتي هذا

الكتاب والذي نرجو أن يشكل مورد استفادة للعاملين والمختصين في هذه المجالات سيما وأن التوصيات المطروحة تعبر بحق عن خلاصة ما تم التوصل إليه في المناقشات التي جرت والتي إذا ما تمت مراعاتها فإنها تضيف رصيداً جديداً لأهداف المؤتمر وهي لا تقل أهمية عما سبقها من مقاربات ميدانية ونظرية وما أعقبها من مداخلات تعكس الاهتمام اللازم من قبل المتداخلين والمشاركين الذين نتوجه إليهم بجزيل الشكر والعرفان بالجميل لا لدورهم في المؤتمر فحسب وإنما لدورهم الفائق في تربية أبنائنا من الجيل الحالي والأجيال اللاحقة نحو بناء مستقبل زاهر وهو ما لا يكون لولا توفر البيئة الحاضنة والملائمة التي تمكنه من العبور إلى دوره المنشود بطمأنينة وبدراية واسعة من قبل المختصين.

نأمل أن يكون هذا المؤتمر مقدمة لما سيعقبه من مؤتمرات ودراسات ثقافية وتربوية تنزع نحو تعزيز المزاوجة بين الإيمان والعقل، وترسيخ قواعد السلوك القويم، وتعميق الانشداد نحو المعرفة بمنطلقاتها الصافية والمنسجمة مع الدور الحضاري، المرجو للإنسان انطلاقاً من تعاليم ديننا الحنيف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مسؤول وحدة المتون والدراسات
الثقافية في حزب الله
الشيخ خليل رزق

كلمة الافتتاح

د. غسان طه

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

قبل التعريف بأهداف هذا المؤتمر أود التوجه بالشكر الخاص للسادة الحضور سيما الذين سيتقدمون بمداخلاتهم طيلة هذا النهار ولرؤساء الجلسات والأخوة الإداريين على معاناتهم في الإعداد والتهيئة ولإنجاح انعقاد هذا المؤتمر الذي يحمل عنوان «**الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة**».

أن يكون هذا هو عنوان المؤتمر، يعني أننا سنقف بمواجهة جمهرة من الأسئلة حول المفاهيم المتضمنة، والتي يمكن أن تنفتح على تأويلات سجالية.

في التعريف الماهوي للخطاب، هو اللغة بحالة الفعل والتفاعل بين شركاءَ وعناصرَ في التفاعل.

وهو أيضاً نظام مركب، بل هو بناءٌ كلي مؤلف من عناصر، ومن شبكة من العلاقات المتفاعلة بين أبنية. جزئية، من بنية الكلام في مقصديته، في طوره الجدلي، وفي تموضعه، ومستواه الدلالي والتداولي. ومن الذات الفاعلة والموجهة،التي تتم فاعليتها في إطار الذات المتفاعلة أي المكتوب، والمصنوع لأجله وهي الفئة العمرية المستهدفة ليست الناشئة فحسب وإنّما الكبار أيضاً إذ لا ينبغي أن تُتّرك مواهب المرء عرضة للصدأ.

أما في المضمون، فالخطاب هو خطاب ثقافي إسلامي، وليس خطاباً دينياً باعتبار أن الخطاب الديني، هو التأويل في لغة الدين نفسه في بعده الأصولي، وفي أبنيته الفقهية، والعقائدية المفتوحة على مناهج علم الكلام وعلم التفسير.

أن يكون الخطاب إسلامياً يعني أنه مفتوح في منطلقاته على ما عداه في السياسة والاقتصاد، والإدارة، والثقافة،

والبعد الثقافي والتربوي هو ما ينشده مؤتمرنا هذا في الخطاب.

الخطاب الثقافي بمنطلقاته الإسلامية، له منطقه الخاص، وأحد أساساته اللغة في سياقها التربوي والاجتماعي والتاريخي، في معايشتها للواقع الموضوعي، وفي قصديتها وغاياتها. اللغة الموجهة للإنسان بوصفه يتشكل تاريخياً وموضوعياً وفقاً لاستعداداته الذاتية العقلية والحسية والوجدانية، وللشروط السوسيو-ثقافية في محيطه

التفاعلي سيما الإطارات المؤسساتية التربوية والاجتماعية.

اللغـة التي سـيتعين عليها العمل في ميادين شـتى: الأنا – الآخر – الفن، الإبداع، التاريخ، الرؤية للعالم. وعلى تحديد المسافة بين التراث والحاضـر ،وكيفيّة امتلاك الإنسان وعياً عمليّاً كي لا يبقى ما يعرفه شيئاً غريباً ينسب إلى الذاكرة والفكر.

اللغـة في وسـائليتها التطبيقية والعملية حين يكون القصـد بناء الإنسـان، وفـي إشـكالياتها النابعة من تعاطيها مع الإنسـان ببعديه عالـم الروح وعالـم المادة، ومع جدلية الحياة والموت التي يعيشـها هذا الكائن في ذاته منذ أن كان.

هي إشـكالية وسـائل الثقافة المحدودة لأمـر غير محدود مفتوح من النسـبي إلى المطلق (أي عالم الروح) النسبي محدودب بحدود الطبيعة والوجود، والجسد، وكل ما هو خاضع للملاحظة، فكيف يتعين على وسائل الثقافة المحدودة التعامل مع المطلق وغير المحدود.

إنّ مؤسسـاتنا التربوية قد اسـتفادت ولا تزال من مبتكرات العلم الحديـث في وسـائل التربيـة والتعليم. ولكن اسـتناداً إلـى العنوان الذي اجترحناه للمؤتمر يعني أن مضـمون الخطاب يشير إلى الهوية وإلـى الكينونة، وهو ما يفترض أن ينسـحب على وسـائل تطبيق هذا الخطـاب، والتـي هي بـلا ريب تحتـاج على جهـود جبـارة من قبل المختصـين لابتداع أساليب خاصة دون إدارة الظهر للعلم الحديث،

هذه الخصوصـية هي التي تعطي للخطاب الثقافي الإسلامي هويته وكليتــه وإلا فإنه غير متشــكل أو هي في طور التشــكل وهذه الكينونة لم نقصد بها التي لا تتحقق إلا بالتضاد مع الذوات الثقافية الأخرى بل الإنفتاح والتفاعل مع الآخر للإستفادة من المساحات المشتركة، فيما يتصـل بأهداف المؤتمر فهي بلا شــك متنوعــة، نورد منها ما يلي:

أولاً: الإحاطة العامة بطبيعة الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة من حيث غاياته ومقاصده.

ثانيــاً: التعرف على طبيعة الخطاب (في المضـمون والأسـلوب) بحســب التجربــة الذاتيــة لكل مؤسســة والوقــوف على حجم التشارك والتمايز فيما بينها.

ثالثـاً: التلاقــح الفكــري الإيجابــي الذي ســيتيحُهُ الحــوار بين الأطراف المشاركة في المؤتمر.

رابعاً: التوصل إلى اقتراحات وتوصيات يمكن أن تسهم في تطوير هذا الخطاب سوءا في مضمونه الثقافي التربوي أو في أساليبه العملية والتطبيقية.

وهنــا لا بد مــن التنويه أن الأخذ بمســتلزمات التطوير المقترحة يعود لكل مؤسســة، إذ ليس من مهمة المؤتمر تشــكيل لجنة للمتابعة

تضطلع بالإشراف والرقابة ومتابعة تنفيذ التوصيات، لأن لكل مؤسسة مرجعيتها المشرفة.

أما حول طبيعة المداخلات التي سنتعرف عليها، سوف تنطوي على شقين: نظري وعملي، وقد تكون في ورقة واحدة.

الشق النظري: يتضمن مقاربة الأصول النظرية لمضمون الخطاب ولطبيعة الفئة العمرية التي سيتوجه إليها الخطاب، ولوسائل تطبيقه بحسب نتاجات مدارس علم النفس بفروعه المتنوعة سيما التربوي، والعيادي، والاجتماعي، وعلم نفس نمو الشخصية، وهذا الشق سيضطلع به مختصون بهذا الشأن.

أما المداخلات في الشق العملي، فهي مسنودة إلى المشرفين التربويين الذي سبق أن اختبروا العمل التربوي وما زالوا، سيعمدون إلى مقاربة الخطاب في مضمونه وأساليبه المعتمدة انطلاقاً من التجربة الخاصة لكل صرح تربوي أي المؤسسات والإطارات المشاركة في المؤتمر وهي كشافة المهدي، المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم، جمعية التعليم الديني، ومؤسسة إمداد الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ لا مناص من العودة جديّاً للتجربة وذلك للإستفادة من إضاءَتها ولتوضيح الصعوبات الناجمة عن التطبيق للتصوّر ولتحديد مساراته وآفاقه المستقبليّة.

نتمنى للمؤتمرين كل النجاح والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خطـاب الناشئـة: الأهـداف. المضمون والسياسات.

السيد هاشم صفي الدين[1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فـي البداية أشـكر الأخوة الأعزاء في وحدة الدراسـات والمتون على هـذه البادرة الكريمة والجيدة والمهمـة لطرح هذا العنوان من أجـل البحث والنقاش للوصـول إلى نتائج نحن بأمس الحاجة اليها للعمل والاهتداء.

وأشـكر الأخوة والأخوات الباحثين والباحثات اللذين شاركوا في تقديم مداخلاتهم وأشـكر أيضا كل من سيشارك في إنجاح أعمال هذا المؤتمر.

غنيٌ عن البيان أن الفئة المسـتهدفة من هذاالمؤتمر والتي نريد ان نصوغ لها خطاباً إسلامياً ثقافياً هي فئة مهمة جدا في حاضرنا وفي مسـتقبلنا وفي كل تطلعاتنا لما تمتلك من حساسـية خاصة في بناء الشخصية وبالتالي في بناء المجتمع وبناء الوطن والأمة.

إن ما يُغرس ويُزرع في قلب وعقل ونفس الأنسان في هذه المرحلة

(١) رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله

العمرية سوف يحدد له المستقبل.

فالموضوع حساس ودقيق لكن قبل أن أدخل في العنوان المطلوب حول الأهداف والسياسات سأذكر بعض النقاط من باب المقدمة والمدخل:

أولاً: ان التجربة الدينية الإسلامية أمام تحدٍ فكري كبير وخطير في امتحان قدرتها على صياغة ثقافة متكاملة العناصر عمقاً وانتشاراً تؤهلها للانتقال من مرحلة الطفرة إلى مرحلة المشروع العالمي والإنساني.

ثانياً: التجربةُ الدينيةُ الإسلامية لا تكتمل إلا إذا أثبتت قدرتها على بناء الأجيال المتعاقبة وفق رؤيتها الخاصة، واستناداً إلى هويتها في خضم صراعات فكرية متلاطمة تسقط فيها عقائد وإيديولوجيات وتنهض أخرى على وقع المتغيرات المتسارعة في عصرنا الحاضر.

ثالثاً: المعركة الثقافيةُ والتربويةُ تحتاج إلى عاملي الهجوم والدفاع لتشق الطريق وتعبيده للمتلهفين للخلاص ولترسخ دعائم الانتصارات والتقدم المشهود في العالم في هذه الأيام.

رابعاً: الخطاب الثقافي للناشئة في أحسن أحواله هو أداةٌ للبناء

وللتربية ولا ينبغي أن نتخيل أنه لوحده يعالج المشاكل الموجودة لهـذه الفئة العمرية الحساسـة والهامة جداً في شخصـية كل فرد وبالتالي الخطاب الصـحيح سـيكون فاعـلاً ومؤثراً وفي موقعـه الطبيعي إذا لاحظ كل العوامل الأخرى والمؤثرة، يعني إذا وضـع في إطار العوامل السياسـية والتعليمية والإجتماعية والإقتصادية وغير ذلك. وكلها يفترض أن تدفع بنفس الاتجاه وأن تسـاهم فـي الوصـول إلـى تحقيق الهـدف. وأعتقـد أن المقصـود الآن في البحث المطروح هو توفر عناصر السلامة للوصول الى المبتغى في الخطاب الثقافي الإسلامي.

وخامسا: لنصـل إلى نتيجة يجب أن نمتلك الجرأة والموضوعية، الجرأة في تحديد المطلوب مضموناً وأسلوباً فان كنا قد جربنا ولم ننجح علينا أن لا نصر على تكرار الفشل وأن نكون بمستوى المسؤولية، وحينما نتقدم لننشئ خطاباً ثقافياً إسلامياً يوجه إلـى هذه الفئـة العمرية. فلنقلع عما هو فاشـل ولنتوجه بقوة واندفـاع ومسـؤولية نحو ما هو ناجح ونحو المقصـود بشـكلٍ موضـوعي وأنما أتحدث عن هذه النقطة تحديداً حتى لا يكون المثقف أو العالم أو المبلغ أو المربي عبئاً على الرسالة بدل أن يكون في خدمتها في حال الاصرار على المضي في الفشل.

ومن هنا أحب أن أبدأ لأطرح مجموعة أسئلة وأدخل إلى الأهداف:

هـل أن الموجـود بين أيدينا مـن كتب ومتون وأسـاليب وتجارب قاصـر عن الوصول الى الغاية والمطلوب حتى نحتاج إلى البحث في الخطاب الثقافي الإسلامي؟

هل نحن بصـدد مواجهة أزمة تخفي وراءها عجزاً أمام السـيل الهـادر والخطير لثقافة العولمـة والانحراف والفسـاد التي وجدت في الأسـاس لتصـب جامها على غريزة وهوى وأحاسـيس الناشـئة اليافعين ؟؟

أم أننا بصـدد إكمال التجربة الناجحة وتشييد الرؤية وتطويرها ليعلو شـأنها ولتزداد شموخاً !! ثم هل سنبتكر خطاباً جديداً يتجاوز المألوف في إيصـال الرسـالة في العقيدة أو الأخـلاق أو الفقه أو السـلوك أو الآداب!! أم أننا سَـنهتدي إلى أَسـاليب أكثر حداثةً مما وصـلت إليه الدراسـات الجامعية ومراكز الأبحـاث في علم التربيةِ و علـم الإتصـال وما تقدمه المناهج التعليميـة والتربوية وما تقدمه أيضاً وسائل التأثير وصناعة القيم من خلال المدرسة أو التلفزيون أو الإنترنيـت أو الفـن أو الأدب أو إلـى أخـره من وسـائل هامة هل سنبتكر جديداً ؟؟

في هذا المجال إنني أعتقد أن الدراسةَ والمناقشةَ مفيدةٌ على أي حال ومهمةٌ إذا لامست المطلوب وإذا تمكنت من تحديد ما يجب أن نفعله وما يجب أن نحدده في خطابنا وما يجب أن نطوره في خطابنا

وفـي أدائنا لتطوير كل هـذه التجربة التي يتطلع العالـم اليومَ إليها كتجربة تحت الإمتحان والإختبار خاصـة وأن الشـعارات المطروحة كبيرة وكبيرة جدا.

وفـي النهاية ما هو المطلوب ؟؟ وماذا نريد من الخطاب الثقافي الإسلامي ؟؟

أولاً: بحسـب مـا يمكـن أن نتصـوره مـن أهداف هنـاك الكثير مـن العناوين التي يمكـن اعتبارها أهدافاً للخطـاب الثقافي الإسـلامي ولكن سأقتصر على مجموعة الأهداف التي اراها هي الأساس في هذا الموضوع:

أولاً: فـي الجانب الإيماني: يهدف الخطاب الثقافي الإسـلامي أساسـاً إلـى زرع وغرس نبتـة الإيمان في قلـب وفي عقل هذا الإنسـان، فبـذرة الايمـان موجودة أصـلاً، وهـي فطرة اللّه سبحانه وتعالى، ونحن لا نتحدث عن أمر أجنبي بمعنى خارج عن طبيعة الإنسـان وخلقته ووجوده فاللّه سبحانه وتعالى أودع فيـه هذه البَـذرة التي تؤهله لأن يكون إنسـاناً مؤمناً وإنسـاناً عارفـاً. المطلـوب بالهدف مـن الخطاب هو مسـاعدةُ هؤلاء الناشئة للوصـول إلى حقيقة الإيمان باللّه والغيب وفتح الآفاق أمامهم على هذا العالم الملكوتي للوصـول إلى معرفة راسخة ومعاشـة للّه عز وجل، ثم لتعريفهم كيفيـة إقامة هذه العلاقة

مع الله سبحانه وتعالى. سأستفيد من الخطاب الإلهي في قصة النبي موسى عليه السلام حينما جاءت الآيات في سورة طه لتتحدث عن العناية الإلهية الخاصة لنبي الله موسى عليه السلام (واصطنعتك لنفسي) هذا اختيار وإصطفاء وإجتباء وهذه هي العناية الخاصة كيف تُترجم هذه العناية؟ كيف نستفيد من هذه الترجمة الإلهية في الخطاب الإلهي لموسى عليه السلام لنخاطب الناشئة بنفس الطريقة إن أمكن وعلى نفس المنوال لنستفيد ولنصل إلى تحقيق الهدف ؟.

يقول الله تعالى أيضا في سورة طه في الخطاب الموجه لموسى عليه السلام ﴿**وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى**﴾ ما هو الخطاب الذي يُفترض أن يستمع إليه موسى عليه السلام ليصل إلى تحقيق الهدف من هذا الإختيار الإلهي ومن هذا الإصطفاء ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**﴾. إذاً البداية معرفة الله عز وجل البداية في الخطاب هو أن يستمع هذا الناشئ إلى هذا الخطاب الإلهي إلى هذه العقيدة إلى حقيقة ومضمون هذه العقيدة إلى حقيقة التوحيد أن يصبح التوحيدُ قوةً دافعةً للإنسان في أي اتجاه في أي حركة وان يصبح محوراً أساسياً وأن يكون التوحيدُ بناءً كاملاً في قلب وعقل هذا الإنسان. معرفة الله أي التوحيد أو بداية المعرفة في التوحيد هو أحد أهم الأهداف المطلوبة والتي يجب أن يتم التركيز عليها.

الخطاب الإسلامي الثقافي الموجه للناشئة ينبغي أن يركزَ تركيزاً شديداً على هذه النقطة ليساهمَ مساهمةٌ قويةٌ في الوصول إلى هذا التوحيد.

الناشئ بحاجة إلى مساعدة فهو بحاجة إلى من يعينه في تشييد بناء هذا الإيمان، الإيمان ليس فكرة عابرة وليس كلمة وليس تقليداً موروثاً، التقليدُ والعاداتُ والأفكارُ كلها تساعد في هذا البناء وحينما نعتقد أن التوحيد هو ركيزة وبناء حقيقي يعني ينبغي أن تصبح هذه الركيزة موجودة في عقل وقلب الإنسان لنضمن لهذا الإنسان مساره التوحيدي طوال عمره في هذه الحياة الدنيا وينبغي أن نعرفه في الخطاب على الأصول الإعتقادية الأساسية كالإيمان بالنبوة والمعاد والعدل والإمامة وكل الامور الاعتقادية الاساسية.

ثانياً: الهدف الثاني الذي نهدف إليه على المستوى العبادي هو العلاقة مع الله سبحانه وتعالى: تعريف هذا الطفل وهذا الناشئ بكيفية إقامة العلاقة مع الله سبحانه وتعالى طبعاً نحن لن نخترع جديداً سوف نحدثه عن الشريعة سوف نقدم له هذه الشريعة التي أمرنا الله عز وجل بإتباعها من أوامر ومن نواهي لكن هنا أقصد كيف يصل أو كيف يعيش الطفل أو الناشئ هذه العبودية لله سبحانه وتعالى ونفس الآية تحدثت ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني**﴾ الأمر الآخر بعد المعرفة هي العبادة.

كيف يفهم هذا الإنســان أن المطلوب منه في هذه الحياة الدنيا هو تجســيد معنى العبودية. إن أســمى غاية وأرفع غاية يصــل إليها الإنسان في هذه الحياة الدنيا أن يجسد هذه العبودية تجسيداً حقيقياً المهم أن يعيش الناشــئ هذه الفكرة أن ينســجم مع هذا المعنى أن يُصــبحَ هذا المعنى محوراً في حركته وفي حياتــه فيما يطلبه وفيما يسعى إليه.

و في العبادة التي تعكس معنى العبودية هناك أمور:

أولاً: إقامة الصلاة والالتزام بالأحكام الإلهية ،دفع هذا الإنسان على المواظبة على هذه التشــريعات والتزامها وعلى ذكر اللّه سبحانه وتعالى ﴿ **فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**﴾ أهمية الذكر فــي حيــاة الإنســان. طبعاً قد يخطــر في بال أحدكــم أن هل المطلــوب أن نقــدم كل هذه المفاهيم مع أنهــا مفاهيم عالية وراقية ومهمة أن نقدمها لهذا النـاشئ أو الطفل أعتقد ان هذه المرحلة تتطلــب أن نتحدث مع أطفالنا ومع ناشــئتنا في هذه المعاني لكن بلغة خاصــة وأسلوب خاص (الدعاء – الخشوع- التذلــل- الخضــوع بين يدي اللّه عز وجــل) يجب أن يتعلم لا نكتفي فقط بأن هذا الطفل أو أن هذا النـاشئ إذا أصبح مؤمناً أو اهتدى إلى شعلة الإيمان المتأججة في قلبه و في روحه وفي نفسه أن الأمر قد انتهى ويمكن ان يتعلم في اللاحق من الأيام،

إذا تعلم الطريقة التي يعبد فيها الله سبحانه وتعالى أحياناً من أبيه أو من أستاذه أو من المبلغ أو من العالم أو من وسيلة الأعلام أو ما شاكل. ينبغي أن يتعلم كيف يدعو الله سبحانه وتعالى، أين ومتى، ما هي الساعات التي يتوجه فيها إلى الله والتي يخلو فيها مع الله سبحانه وتعالى. هذه علاقة مطلوب أن نوجه الأطفال إليها.

الأمر الثاني: معرفة النفس والعمل على تهذيبها:

الخطاب الإسلامي الثقافي ينبغي أن يوجه هذه الفئة العمرية إلى التعرف على أنفسهم وهذا الموضوع أيضا في غاية الحساسية والأهمية وبالنتيجة (من لم يعرف نفسه لن يعرف ربه) ومن لم يعرف هذه النفس في مكوناتها وطبيعتها وهنا لا أتحدث عن المصطلحات الفلسفية أو النقاشات الموجودة في الجامعات أو الحوزات أو المعاهد. الطفل ليس بحاجة إلى هذه الأمور عليه أولاً أن يعرف من هو عليه أن يصل إلى إدراك ولو الحد الأدنى أو المعنى البسيط بالمعنى العلمي لمعرفة نفسه ومن الأخطاء الشائعة حسب ما أرى بحسب التجربة من الأخطاء الشائعة أن الأبحاث الموجهة إلى النفس ومعرفتها قد يعتقد البعض منا أنها من مختصات الكبار وأنه من المبكر أن نتحدث مع الأطفال بهذه الأمور أنا اعتقد أن الطفل أو الناشئ الذي نربيه ونغذيه على القيم والمعاني ليقود نفسه

في لحظة المسؤولية والبلوغ والتكليف عليه أن يعرف هذه النفس عليه أن يعرف كيف يقود هذه النفس عليه أن يعرف النوازع الموجودة في هذه النفس لا أن يتعاطى مع الأشياء ومع الأوضاع ومع ما يشاهده في الحياة و ما يعانيه وما يواجهه تعاطي الساذج الذي يتلقى فقط. صحيح أنه في هذه المرحلة هو في موقع الإنفعال وفي موقع التأثر، لكنه بإمكانه أن يكون مشاركاً لأنه فعلاً هو مشارك حقيقي فقد لا يبرز هذه المشاركة وقد لا يعبر عنها، لكنه هكذا ، ولأنه كذلك ينبغي أن يتعرف، ينبغي أن يعرف ينبغي أن يتحصن. إن التربية التي تنشأ فقط في عالم الإلقاء لن تدوم ولا يمكنها أن تصمد مع الأيام ومع الإبتلاءات ومع الصعوبات ومع التحديات القاسية، معرفة الطفل أو الناشئ بنفسه وبالنوازع بطرق التقوى والإيمان على قاعدة التزكية المعروفة عندنا (فألهمها فجورها وتقواها) أن يعرف أن هناك هوىً وأن هناك تزكية وأن هناك طريقاً للتقوى يوصله إلى المطلوب من وجوده و من خَلقه في هذه الحياة الدنيا وأيضاً على ما أعتقد أنه من الأخطاء الشائعة في هذا المجال حينما نتحدث عن المناهج التعليمية والتربوية وعما تقوم به مختلف الوسائل المشاركة في هذا البِناء التعليمي والتربوي كثيراً ما يحدثنا البعض وهو محق عن تطور هذا الجسد ومتطلباته بحسب الفئات العمرية وأنا رأيت وشاهدت وسمعت أن هذه الأبحاث أصبحت مهمة ومتطورة ولها مكانة خاصة في المجال التعليمي وفي المجال التربوي لكن النفس وحالاتها

النفس وقواها النفس وطبيعتُها النفس وأهميتها في بناء مستقبل هذا الناشئ ألا تستحق برنامجاً خاصاً أو منهجاً تعليمياً تربوياً يكون جزءاً من مناهجنا ومن ثقافاتنا، إن التجربة حتماً سوف تتطور وتنمو يوماً بعد يوم وليس صحيحاً أن نساهم من حيث نشعر أو لا نشعر فيما هو ملقى من ثقافة غربية لا نقبلها وان نعتمد على ما هو بين ايدينا من ثقافة منحرفة نصلٍ إلى نتائج صعبة وبعدئذ نقول أين الحل ؟ حينما تُركز في الثقافة على الجانب المادي أو الجسد المرتبط بالإنسان علينا نحن أيضاً أن نُركز على الجانب المعنوي لأننا نعتقد أن الجانب المعنوي في الإنسان هو الأقوى وهو الأدوم وهو الأنفع في نهاية المطاف للإنسان. إن التركيز على النفس وقواها وإحتياجاتها يمكننا أن نقدم من خلاله برامج ومناهج وخطاباً ثقافياً مدروساً والتجربة كما قلت كفيلة في المساعدة على هذا الأمر.

وأيضا التعريف بالمخاطر، مخاطر الإنحرافات التي سيواجهها، المزالق التي سيكون هذا الإنسان في معرض الوصول إليها ، يجب أن ننبهه يجب أن يعرف إن النفس إذا تركت على هواها سوف تصل إلى نتائج وإلى عواقب وخيمة جدا.

الأمر الثالث - العلاقة مع الآخرين:

الخطاب الثقافي الإسلامي أيضاً ينبغي أن يلحظ هذا الجانب المهم وينبغي أن تبدأ هذه الشخصية بالتعلم وفي الإنتباه إلى كيفية

التعاطـي مـع الآخرين. أنا لا أريد أن أتحدث بما هو من اختصـاص علـم التربية وهذه الأمور سـوف تتحدثـون عنها بالتفصـيل ولكن من خلال مفهومنا الديني في نفس قضـية موسـى عليه السلام (وألقيت عليك محبة مني و لتصنع على عيني) لازلنا في جو الرعاية الخاصة مـن اللّه عزوجل هذه الرعاية الخاصـة اقتضـت أن تلقـىَ المحبة الخاصـة مـن اللّه عـز وجل في موسـى عليه السلام ألقيت فـي قلبه هذه المحبة الخاصة التي عاشت وساهمت وساعدت بشكل قوي في تقبل الآخرين لموسى عليه السلام والإهتمام به حتى نشأ هذه النشأة التي هي أيضاً في إطار التخطيط الإلهي للدور الذي قدره اللّه تعالى لموسى عليه السلام زرع المحبة في القلب اتجاه الآخر، وزرع مفاهيم التسـامح والاحتـرام للآخـر تقـوي المنحـى الإيجابـي إتجـاه الآخرين وفي العلاقات الاجتماعية وأحد الأسـس هو أحد الركائز المهمة للتوازن في شخصية الفرد وفي بناء مجتمع قيّمي إسلاميٍ ديني سليم بل في صلاح كل المجتمعات. الإسلام العزيز ركز كثيراً على هذا الجانب ويكفي أن نعرف وكلنا يعرف أن الأخلاق الخاصة والرفيعة التي كان يتحلى بها رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كانت بحد ذاتها أحد أهم عناصر القوة في خوض كل الغمار في ذلك المجتمع الجاهلي القاسـي والصـعب وكان الرسـول الأكـرم صلى الله عليه وآله وسلم يواجههـم دائمـا بالتسـامح بالمحبة وشخصيته كانت كما يقول بعض الكُتّاب كانت شخصية مليئة بقوة الجذب والاستقطاب.

طبعاً للعلاقات الاجتماعية مندرجات وتفاصيل لا أتحدث عنها أنما أتحدث عن هذه الفكرة تحديداً لنعطيتها أهميتها الخاصة والاعتناء بها.

رابعاً- الإنتماء الرسالي:

ينبغي أن يُصاغ مشروع رسالي ينخرط فيه هذا الناشئ، فالإنتماء عنصر مهم يحفز على الدور ويعطي للانسان قيمة خاصة يشعر الناشئ بكينونته وأن له دوراً فاعلاً ومؤثراً في هذه الحياة. من أصعب الأمور التي تقتل القدرات والطاقات والإمكانيات هو أن يشعر الإنسان بأن الأفاق أمامه مسدودة، الإنتماء يُعطي هذا الحافز وأيضاً يوجه الناشئ من بداية حياته باتجاه مسار، باتجاه مسار ديني إسلامي وإنساني باتجاه مسار يشعر فيه أنه يقوم بوظيفة خُلقَ لأجلها. وحينما نحدثه بعدئذ عن الجزاء وعن الأجر و عن الثواب وعن النتيجة و إنما هي نتيجة هذا المسار الذي اختاره في بداية حياته (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا) أن يكون من الداعيين إلى الله سبحانه وتعالى بغض النظر عن كيفية الدعوة و من أي موقع ومن أي مكان هذا يحدده لاحقاً حينما يحدد خياراته على مستوى دوره الحياتي في هذه الدنيا، لكنه في المبدأ يجب أن يكون منخرطاً في إطار مشروعٍ يشعر فيه بوجوده و بقيمة حياته.

و من هنا تأتي القيم أو المفاهيم التي تساعد على هذا الإنتماء

وعلى تشخيص و تحديد هذا الدور الإنتمائي وهذا الدور الرسالي كما هي قضية المقاومة كما هي قضية الشهداء كما هي كل القضايا الأساسية التي نعيشها والتي نعيش لأجلها والتي نحيا في ظلها ينبغي أن يكون شريكاً معنا هذا الناشئ في تحسس هذه القيم والإقتراب منها وأن يكون فاعلاً في نصرتها.

خامساً- يجب أن يساهم الخطاب الثقافي الإسلامي مساهمةً مباشرة في تقديم القيم الدينية وضرورة مراعاتها في مختلف المجالات وفي تركيز هذه القيم والمعايير المهمة ونحن نعلم أن المعايير هي أحد أهم المؤثرات في تحديد الموقف من أي شيء، كل شيء نتخذ منه موقفاً يخضع في النهاية إلى المعيار، يخضع إلى مقياس ما هي المعايير التي ينبغي أن تُزرع في قلب و في عقل هذا الناشئ ؟ المال ! الجاه! السلطة! الزعامة؟ إلى ما هنالك. هذه معايير موجودة و قيم موجودة في الحياة هل هذه القيم التي ينبغي أن تشغل بال الإنسان هي مهمة في حياته وتشكل هدفاً في حياته لكن الخَطِر دينياً وإسلامياً هو أن تصبح هذه المعايير معايير حاكمة في الوقت التي يجب أن تبقى محكومة لمعايير أقوى وأهم وأرفع وأسمى وأعلى، المعايير الأعلى هي التي تحدد وجهة هذا الإنسان هي التي تحدد هويته وانتمائه ومستقبله وكل شيء، هي التي تحدد كل ما نسعى للوصول إليه. من الخطورة بمكان أن نقدم مادة

تعليميـة أو تربويـة أو ثقافية من خلال وسـيلة إعلامية أو من خلال مدرسة أو من خلال جامعة أو من خلال أي عمل وأي نشاط في هذا المجالٍ أن نقدم ما يخدم تكريس وترسـيخ هـذه القيم المادية على أنها حاكمة بالوقت التي تكون هي محكومة ولذا كما قلت قبل قليل في الموضـوع النفسي نجد كما تجدون ونسمع من خلال تجربتنا إن الكثير من المشـاكل التي يعانـي منها الأهل والمربون مع هذا الجيل ثم لا نلتفت إلا أننا نحن من سـاهم في تكريس و ترسـيخ هذه القيم الخاطئة من حيث نشـعر أو لا نشـعر من حيث الإلتفات إلى أصـالة مـا ننتمي إليـه أو ما نقدمه أولم نلتفت من خـلال إهمالنا وإغفالنا أو مـن خـلال عدم مراعاة ما يجب أن نصـل إليـه أو ما نحدده في الأسـاس وهنا طبعـا أريد أن أتحدث عن الخطاب الثقافي بشـكل عـام لكن هذا الخطاب الثقافي هو الذي يحدد ما نقدمه وما نطلبه من هذا الناشئ.

إذن هذه القيم ينبغي أن تكون قيماً واضـحةً مُقدَمةً بشـكل جيدٍ وواضح وبحسب الأولويات الدينية والشرعية.

وعلـى سـبيل المثـال القدوة الحسـنة ، القدوة هي من الأسُـس بحسب منهجنا الديني هي من الأسس في عالم التربية (ألا وإن لكل مأمـوم أمام يقتدى به ويسـتنير بنور علمه) القـدوة يعني النموذج الـذي يتطلـع إليه هذا الناشـئ والناشـئ عـادةً هو كثيـر الإهتمام

بالنموذج الذي يتبعه والذي يهتدي به والذي يقتدي به حينما نمتلك في تاريخنا و في ثقافتنا النماذج التي تربت كما تحدثت عن موسى عليه السلام تربت في أجواء الوحي والخطاب الإلهي هل نحتاج إلى نماذج أخرى ؟؟ هل نلجأ إلى نماذج أخرى ، النماذج الأخرى التي تُقدم قد تكون نماذج خَطِرة في بعض الأحيان وقد تساهم مساهمة كبيرة في الوصول إلى الإبتعاد عن الهدف المقصود.

الخطاب الثقافي الإسلامي معني بشكل أساسي بتقديم هذه القيم و بتقديم هذه النماذج.

سادساً: الهدف أي ما ينبغي أن يهدف إليه الخطاب الثقافي الإسلامي هو تعزيز الثقة بالدين والانتماء: حينما نقدم ثقافة إسلامية لهذا الناشئ وهذا الجيل ينبغي أن يشعر بأن هذه الثقافة التي نقدمها والمفاهيم التي نقدمها هي قوية لها أدلتها وبراهينُها أن تقدم باستدلالاتها أن تُقدم من خلال كل عناصر القوة فيها لأن أي ترديد أو أي اضطراب أو أي ضعف في تقديم ثقافة إسلامية أو دينية سوف ترتد سلباً في الحاضر أو في المستقبل على الشخصية المستهدفة وهذا أيضاً من عناوين الأصالة في ثقافتنا وفي هويتنا وموضوع الأصالة هو موضوع طويل وكبير وله جذور ولا أريد أن أتحدث عنه بإسهاب لكن أعتقد أن الفكر الأصيل الذي ينتمي إلى

الإسـلام كما هو، هو الذي يثق في دينه و بإنتمائه لأنه الفكر الـذي أراده اللّه عز وجل لهداية كل بني البشـر ليس هناك ما نخجل به و ليس هناك ما نشـعر فيه بالضـعف وليس هناك ما يحتاج إلى تتميم لان الاسلام هو وحي اللّه سبحانه وتعالى هو ما جاء به الأنبياء والمرسـلون عليهم السلام . هـذه الثقة في تقديم الفكرة التي تُعزز في قلب الناشـئ تجعله قويا في إيمانه وقوياً فـي إعتقاده وقوياً في انتمائـه وقوياً في رجوعه إلى المفاهيم الأصيلة والذي هو دائماً بحاجة إليها.

ثامنا: وأخيراً في الأهداف فلسـفة الحياة القائمة على الإبتلاء:

مـن المعانـي المهمة جـداً والتي تؤسـس في قلـب وفي عقل هذا الناشـئ لمواجهـة الأحداث في هذه الحيـاة الدنيا علينا أن نعـرّف الفرد الذي نربيه انه حين يخـرج إلى عالم الحياة لـن تكـون الأمور سـهلة أمامـه ومعبـدة أمامه سـوف يواجه صعوبات، وعليه ان يقوى على مواجهتها، عليه أن يفقه ويفهم معنـى الإمتحان ومعنى الابتلاء هذا له دخل أيضـاً في القيم التـي تحدثت عنها قبل قليل ولكن مفهـوم الإبتلاء كما ذكرت الآيـة الكريمة ﴿**ليبلوكم أيكم أحسـن عملا**﴾ حينما يجعل اللّه عز وجـل الهدف من الخلـق كله الهدف هو الإبتلاء للوصـول إلـى الأعمال إلى الجزاء إلى نتيجة الأعمال، إن فلسـفة هذا

الأمــر من الأمور المهمة التي إذا فهمها النـاشـئ بشــكل جيد واستوعبها بشـكل جيد ستعينه على تجاوز الكثير من المحن، وســوف تجعله متفائلاً ســوف تجعله يتطلع دائمــاً وإلى ما هو أفضــل إلى ما هو فيه وعد اللّه ســبحانه وتعالى في هذه الدنيا إن لــم يتحقق في هــذه الدنيا ففي الآخرة، الإبتلاء يقوي هذا المعنى يعطى هذا الأمل الدائم المتجدد، ويقوي الإنسان على مواجهة الامتحانات ونحــن نريد جيلاً قوياً جيلاً لا يهتز أمام كل الإغــراءات وأمــام كل الإنحرافــات و أمــام كل التحديات جيلاً قــادراً على حمل المســؤولية وعلى الوصــول إلى تحقيق الأهداف.

هذه هي الأهداف التي ربما تكون تختصر ما ينبغي أن نتوجه إليه في الخطاب الثقافي الإسلامي.

أما السياسات سأتلوها بشكل سريع:

سياســات الخطاب الثقافي التي ينبغــي أن تراعي الحال من كل الجهات وأن تكون كما يقال في البلاغة أن مطابقة لمقتضــى الحال وأنا أتحدث عن سياســة خطاب ثقافي لمرحلتنا بلحاظ كل التجارب وبلحاظ كل التحديات الموجودة أمام أطفالنا وأجيالنا.

أولاً: أن يكون الخطاب منطقياً متسلسلاً يحاكي الأسئلة الحائرة

في قلب وعقل الناشئة هذه الأسئلة الموجودة والتي هي طبيعية ينبغي أن تواجه هذه الأسئلة فكما يقال في كل شيء الأسئلة التي هي في لحظة من اللحظات هي تهديد، هي في الواقع فرصة. هذه الأسئلة مطلوبة ليتحفز هذا الطفل للمعرفة وينبغي أن يُعطي أجوبةً منطقيةً وأن نحاكي هذه الأسئلة بشكل جيد.

ثانياً: أن يكون الخطاب سهلاً ومبسطاً خالياً من التعقيدات اللفظية والمعاني المتشابكة والمتداخلة ومن المصطلحات النخبوية، أنا أتحدث هنا عن تجارب كثيرة، هي الشكاوي التي تأتينا من بعض الأطفال والناشئة (يقولون: أتى فلان أعطانا درساً والله ما فهمنا شيئاً أو مرر لنا مجموعة مصطلحات ما فهمنا منها شيئ) مصطلحات الحوزة للحوزة ومصطلحات الجامعة للجامعة ومصطلحات النخبة للنخبة أما هذا الناشئ فهو يحب أن يسمع خطاباً سهلا بسيطاً يصل إلى عقله وإلى قلبه وأحيانا التعقيد في الكلام سيُنَفر وسيبعد وربما يتخيل الطفل أن الثقافة إذا كانت بهذا التعقيد فيصبح عنده مشكلة مع مفهوم الثقافة ومع درس الثقافة.

ثالثاً: أن يكونَ خطاباً مباشراً. والإستغناء قدر الإمكان عن المقدمات والتأسيسات الفكرية التي سيجد الفرد أو الناشئ

متسـعاً من الوقت لمعرفتها لاحقاً، في هــذه المرحلة العمرية لا يعنيــه كثيراً النقاشــات والمداخلات الدائــرة بين العلماء وأهــل البحث و النقاش، الذي يعنيه هو أن يلتقط أن يســتفيد أن يصــل إلى تلبية إحتياجاته والخطاب المباشر محبب لهذه الفئة العمرية.

رابعاً: أن يكون مختصــراً ما أمكــن ،تجنب المطولات والملاحق إبعاداً للناشئ عن الملل والضجر اللذين سرعان ما يحلان به ، هذا الناشئ عادةً سرعان ما يضجر ويمل.

خامســاً: أن يحاكــي الخطــاب القلــب والأحاســيس والعواطــف أكثــر مما يحاكي العقل والبرهــان وبالتالي المدخل لأي فكرة ينبغــي أن يكــون العاطفة وليس العكــس لأن الانفعال هنا قوي والأحاسيس هنا في مرحلة التحفز تحتاج إلى خطاب يحاكيه طبعا لا أقصد أن نترك البرهان أو نترك الدليل.

سادســاً: أن تُطرح الإشــكالات بقوة وجــرأة وأن تُعالج بثقة وحزم أمــا إن تُطــرح بقــوة ولا تعالجً بنفس القوة فهذا ســيؤدي إلى تشكيك.

ثامنــاً: يجب أن يكون الخطاب حوارياًتشــريكياً أكثر منه إلقائياً وإن كان لا يُســتغنى بين الحين والآخر عن الأســلوب الإلقائي لخصائصه التعليمية والتربوية.

تاسعاً: التنوع في الأســاليب، ينبغي أن لا نترك وسـيلة أو أسلوباً متاحاً وممكناً إلا ونســتخدمه ونجددَ دائماً في الأســاليب وأن لا نعتبــر أن ما نجحنا فيه في يوم من الأيام سـوف ننجح فيه دائماً وهنا أحد أهم المشــاكل الموجودة في هذا المضمار، يعني نقيس الأمور على أنفسـنا نحن هكذا اسـتفدنا فإذاً هذا الناشئ يمكنه أن يستفيد كما استفدنا ويمكنه أن يمشي على نفس الطريق والمنوال والأسـلوب الذي اتبعناه ليصـل إلى ما وصلنا إليه هذا خطأ. التجدد في الأساليب هو أمر ملح وحيوي ومهـم، ينبغي أن تكون في سياسـة الخطـاب الثقافي التجدد الدائم في القوالب في الطرق في الأســاليب المعتمدة لتقديم هذا الخطاب الثقافي الإسلامي.

أختم لأقول: أننا اليوم أيها الأعزاء أمام هذه التحديات الكبيرة التي نعيشـها نتطلع دائماً إلى أن نكون بمسـتوى هذه التحديات وهي كبيرة على عالمنا اليوم كبيرة على مستوى كل ما نواجهه وما نشاهده مـن تحديات سياسـية خطيـرة من مشــاريع من خطط تنكشـف أو تتكشف بعضها في بعض المناسبات وما أضمر ربما يكون أخطر، ما حصل في الأيام الأخيرة بموضوع القدس كشف عن بعض المشاريع التي طالما تحدث عنها المسلمون وتحدثوا عن مخاطرها لكن اليوم نحن أمام حقيقة هذه الحقيقة تقول أن كل هذا العالم الذي تحدث

عن السلام و عن حقوق الإنسان وعن مشاريع التسوية وهذا المجتمع الدولي الذي تحدث عن ضـرورة أن تشارك الحكومات والشعوب في السلام الموعود اليوم هؤلاء كلهم ينكشفون وتنكشف نواياهم لنصل في نهاية المطاف إلى معنى هزيل وهزيل جداً للخيارات السياسـية على مستوى القضية المركزية الأم في أمتنا وفي منطقتنا وهي قضية فلسـطين ليقول نتنياهو ويقول كل الصـهاينة أن القدس هي الهدف المركزي والأساسـي وأن بيت المقدس لا يمكن حسـب قولهم أنه لا يمكن أن يعود إلى المسـلمين وأن بيت المقدس هو الهدف الأساسي والمركزي من الإحتلال ومن سنوات العدوان والطغيان الاسرائيلي. هـذه الحقيقـة التي ينبغـي أن يتحمل الجميـع المسـؤولية إتجاهها وينبغي أن تكون المسـارات السياسـية كما هي مسـارات المقاومات في منطقتنا متوجهة إلى هذه القضـية الأساس اليوم العالم يعترف أنه لن يضـغط على نتنياهو وتحديداً الولايات المتحدة الامريكية لن تضغط على نتنياهو لإيقاف الإستيطان في بيت المقدس في المدينة المقدسة، إذاً أي شيء سيقدمه أوباما أو ستقدمه الإدارة الأمريكية لكل من انخرط في خيار التسـوية والسـلام المزعوم والموهوم هذا التحـدي، تحدي كبير وتحدي على مسـتوى كل الأمة إن المأمول من العلمـاء من النخب من المثقفين المأمول من أهل النخوة والشـرف والكرامة أن يقفوا موقفاً حازماً وجازماً في هذ ا الموضـوع لتحسـم الكثير من النقاشـات وليقلع البعض عن الأوهام التي عاشت عليها

أمتنا لعقود من الزمن، الأوهام لا تحرر أوطان والقدس لا يمكن أن تعود بالأوهام والتخيلات والإستجداء. لا يمكن أن تعود إلا بالمقاومة والمقاومة المسلحة ودماء الشهداء والتضحيات هذا هو المطلوب وهذه هي الرسالة التي نستفيدها من كل أحداث القدس خلال الأسبوعين الماضيين والعالم الذي كما نعتقد يتغير ويتبدل المطلوب منا أن نكون فيه أقوياء لنحمل مشروع أمتنا ولنحمل قضايانا بقوة وحزم وثقة لنواجه كل هذه التحديات، والأحداث التي تحصل اليوم تثبت أيضاً بدءً من التحديات الموجودة في منطقتنا على مستوى إيران إلى العراق إلى افغانستان إلى فلسطين إلى كل التحديات الموجودة إلى لبنان تثبت أيضاً مفهوماً واحداً إذا كنت قوياً بإمكانك أن تجد لنفسك ولشعبك ولأمتك مكاناً في المعادلة الدولية القائمة و إذا كنت ضعيفاً ستُسحق، اليوم ما تجتازه الجمهورية الإسلامية هو إنجاز مهم وكبير يؤكد مقولة أن هذا الغرب لا يفهم إلا منطق أن تكون قوياً وأن تصل إلى حقوقك من خلال قوتك والتمسك بها ما يحصل في أفغانستان ما يحصل في العراق ما يحصل على مستوى كل المنطقة المتغيرات تحصل والتبدلات آتية لا محال.

أسأل الله عز وجل أن يتقبل أعمالكم وأن يعيننا ويعينكم على إنجاز خطاب ثقافي إسلامي واعد كما هي المسؤولية وكما هو المطلوب أسأل الله تعالى التوفيق لكم في مؤتمركم وفي يومكم الطويل هذا

وأعدكم كما تعدكم وحدة الدراسات والمتون وكل الوحدات الثقافية العاملة عندنا أن نأخد بهذه التوصيات وهذه النتائج لتكون برامج عمل بإذن الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحور الأول

الناشئة في المنظار التربوي والواقعي

كلمة رئيس الجلسة

النائب الحاج حسن حبّ الله

١. الناشئة: من وجهة نظر علم نفس النمو

الأستاذ توفيق سلوم

٢. العوامل المؤثرة في الناشئة

الحاجة أميرة برغل

٣. واقع الناشئة في المجتمع

الدكتور طلال عتريسي



كلمة رئيس الجلسة

النائب السابق الحاج حسن حب اللّه

بسم اللّه الرحمن الرحيم، والحمدللّه رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وعلى آله الطيبين الطاهرين...

يتقاطع علماء النفس والتربية حول ما ذهب إليه الإسلام عبر القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، على أنّ الإنسان يتأثر في هذه الحياة بعدّة مؤثرات منها: الوراثة، يعني الولد يرث من أبيه صفات خَلقيّة ويرث أيضاً منه صفات خُلقيّة أو من أبويه صفات خَلقيّة بالوراثة وبحسب التكوين، وصفات خُلقيّة أيضاً بالوراثة وربما تكون بالإكتساب. ويتأثر الإنسان أيضاً بالبيئة، كما يتأثر الإنسان بالتربية سواءً كانت من البيت أو من المدرسة. كل مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو يمجّسانه أو ينصّرانه.

إنّ هذه المؤثرات يجب أن تأخذ بعين الإعتبار. فعندما ننظر إلى الناشئة ودورها في بناء المستقبل،يعني أنّ هؤلاء الصبية والصبايا ينبغي أن يكونوا مورد إهتمام على جميع المستويات لأنّهم كما يقال: «**هم رجال ونساء المستقبل**». وهم الذين عليهم العمدة

في بنـاء المجتمع والأمّة، وما عجز عنه جيلنا قد يتسـلّموه ويحقّقوا فيـه إنجازاً كما حقّقنـا نحن إنجازاً في هـذه المرحلة ما عجز عنه آباؤنا وأجدادنا. لذلك يجب أن يكون على مستوى التعليم وأيضاً على مستوى التربية.

وهنا أودّ أن أشـير إلى ملاحظة هامّة ينبغي أن لانقع بها كما وقع الآخـرون، الثقافـة أمرٌ مهمّ وينبغي على كلّ الأجيـال وكلّ أبناءنا أن يهتمّـوا بالثقافـة، لأنّ الثقافة هي بمثابة النبراس للإنسـان في هذه الحيـاة، ولكنّ الثقافة المعزولة عن السـلوك العملـي، ثقافة لا قيمة لها.

قـد أحاضـر فـي الأخلاق، فـي العدل، فـي حقوق الإنسـان، في الصـدق، في الأمانة، ولكن عندما أمارس في حياتي العمليّة لا أكون كذلك.

نحن مطالبون ومدعوّون بأن نبذل قدر كبير من الإهتمام في هذا المجـال حتى لا نقع في الإنفصـام. ثقافتنا في جانب، ومسـلكنا في جانبٍ آخر، نمارس من الدّين طقوسـه العباديّة الشكليّة، ونبتعد عن محتواه.

الناشئة: من وجهة نظر علم نفس النمو

الأستاذ توفيق سلوم[1]

اعتمد علم النفس مصطلح المراهقة للتعبير عن المرحلة العمرية التي تبدأ مع وصول طفل الإنسان إلى عمر قارب فيه البلوغ الجنسي أو حققه، والتي تنتهي في عمر يتراوح بين ١٨ و٢١ سنة. مع العلم أن تزايد امتداد مرحلة المراهقة متعلق بنمط العيش والنظام الاجتماعي والاقتصادي والتربوي لكل مجتمع من المجتمعات. وقد ركزت الدراسات النفسية بشتى ميادينها لمعرفة خصائص هذه المرحلة وسماتها على كافة الأصعدة النمائية: الجسمية، الوظائفية (الفيزيولوجية)، الحسية، الجنسية، الحركية، الاجتماعية، الذهنية، واللغوية.

المراهقة:

مرحلة يتميز بها الكائن البشري الذي ينتمي إلى المجتمع الحضاري، وليست هذه المرحلة من سمات المجتمع البدائي. وتعتبر

(١) اختصاصي في علم النفس العيادي وتنشيط النفس اجتماعي للمجتمعات التي مزقتها الحروب.

إعلاناً صارخاً بخروج هذا الكائن من مرحلة ذهنية ونفسية سابقة، كان يُطلق عليها اسم الطفولة، إلى مرحلة جديدة يقال لها مرحلة الرشد. وإن لم يتحقق هذا الرشد بعد. إذاً هي فترة تغيرات كبيرة في نمو الصبي والبنت.

إن الفكرة القائلة بأن المراهقة فترة صعبة لكل من الوالدين والمراهقين أنفسهم هي ليست بالفكرة الجديدة. حيث وصفهم أرسطو بأنهم يغلبهم الهوى على أمرهم، وأقرب إلى أن تجرفهم أهوائهم ونزعاتهم. كما بين أفلاطون أنهم عرضة للجدل والخلاف لمجرد المجادلة والمناظرة.

تجدر الإشارة إلى أن الأبحاث الحديثة تبين أن الناس قد بالغوا كثيراً في مدى الإضطراب الذي يطرأ على المراهقين وآبائهم خلال هذه الفترة. وأسمح لنفسي بالقول أن المهتمين بهذا الأمر، في العالم، اكثروا من الحديث عن الحاجات وأغرقوا الإعلام والمكتبات بذلك، بدل العمل على إظهار المسؤوليات والدور المطلوب من اليافعين، أو من توافقوا على تسميتهم بالمراهقين، مما يجعل التفكير في تأمين عناصر الترفيه والإشباعات الطفلية أكثر أهمية من البحث عن تأمين مشاريع الإنتاج وميادين المسؤولية.

الخصائص الجسمية:

يبدأ في هذه المرحلة تسارع النمو الجسمي، لجهة الزيادة في معدل الطول والوزن، كما أنه يزداد إفراز عدد من الهرمونات المنشطة، مما يستثير إطلاق هرمونات أخرى بعضها متصل بالنمو وبعضها متصل بالجنس.

وأثبتت البحوث كذلك أن للمراهقة أشكالاً وصوراً متعددة تتباين بتباين الثقافات وتختلف باختلاف الظروف والعادات الاجتماعية والأدوار الاجتماعية التي يقوم بها المراهقون في مجتمعهم. وفي المجتمعات البدائية تقام الحفلات والشعائر والطقوس وداعاً لدنيا الطفولة وإيذاناً بدخول المراهق إلى عالم الكبار. أما المراهق المتحضر فإن مشاركته في مجتمع الراشدين البالغين تتأجل حتى يتم تعليمه وحتى يتعلم مهنته ويتقن تخصصه، كذلك فإن سن الزواج بالتالي يتأخر.

ولقد وصف «**ستانلي هول**» المراهقة بأنها «**فترة عواصف وتوتر وشدة**» تكتنفها الأزمات النفسية وتسودها المعاناة والإحباط والصراع والقلق والمشكلات وصعوبات التوافق.

إلا أن بحوث كثير من العلماء مثل «**مارجريت ميد**» و«**روث بنيدكت**» وغيرهما أوضحت أن ما يصادفه الفرد من عواصف وتوترات وشدة إنما يرجع إلى عوامل الإحباط والصراع المختلفة التي يتعرض لها في حياته في الأسرة في المدرسة وفي المجتمع.

ولقد أثبتت الدراسات أيضاً أن المراهقة مرحلة نمو عادي، وأن المراهق لا يتعرض لأزمة من أزمات النمو ما دام هذا النمو يسير في مجراه الطبيعي.

وهكذا نرى أن مرحلة المراهقة مرحلة حرجة في حياة الفرد. ومن بين ما يجعل مرحلة المراهقة بهذه الصورة ما يلي:

.**الصراعات النفسية:** فالمراهق الصغير يسعى لأن يكبر ويتحمل المسؤولية ولكنه يحتاج لأن يظل طفلاً ينعم بالأمن. وهو يسعى للاستقلال ولكنه ما زال يحتاج إلى المساندة والدعم والاعتماد على الآخرين خاصة الوالدين والأسرة.

.**الضغوط الاجتماعية:** (الخارجية) وهذه كثيرة على المراهق، فعليه أن يقف على قدميه وأن يفكر لنفسه ويختار ويقرر لنفسه. ولكن عليه أن يتطابق تفكيره وسلوكه مع المعايير الاجتماعية.

.**الاختيارات والقرارات:** فعلى المراهق القيام بالاختيارات واتخاذ القرارات الحيوية التي تحدد مستقبل حياته.

- ظاهرة البطالة ويقصد بها البطالة الاقتصادية والاعتماد على الآخرين، ويقصد بها أيضاً البطالة الجنسية، فالمراهق مؤهل جنسياً إلا أنه غير مسموح له أن يمارس الجنس.

ـ الخلط في أذهاب الكبار بخصوص مفاهيم مثل السلطة والحرية والنظـام والطاعة والديمقراطيـة... واختلاف وجهات النظر بين الكبار وبين المراهقين بخصوص هذه المفاهيم.

إن مرحلة المراهقة وحدة متكاملة غير أن ضـرورة البحث جعلت العلماء يقسمونها بقصد الدراسة إلى ثلاث مراحل فرعية:

ـ **مرحلة المراهقة المبكرة:** سن ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤.

ـ **مرحلة المراهقة الوسطى:** سن ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧.

ـ **مرحلة المراهقة المتأخرة:** سن ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١.

وسيقتصر النص على المرحلتين المبكرة والوسطى باعتبارهما المستهدفتين في هذا العمل.

المراهقـة المبكـرة EARLY ADOLESCENCE (١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ سنة)

وهـي المرحلـة الإعدادية والتي مـن أبرز مظاهر النمـو فيها ما يلي:

النمـو الفسيولوجـي: في هذه الفترة يكون التغير الفسـيولوجي ملحوظـاً، وفيهـا تتغير وظائـف كل جهاز من أجهزة الجسـم بدرجة معينة. وأهم تغير هو حدوث البلوغ الجنسي.

البلوغ الجنسي: يعتبر البلوغ بمثابة «**اليقظة الجنسية**» للفرد. ويتحدد البلوغ الجنسي عند الذكور بحدوث أول قذف منوي وظهور الخصائص الجنسية الثانوية، وعند البنات بحدوث أول حيض وظهور الخصائص الجنسية الثانوية. ويعتبر البلوغ الجنسي نقطة تحول وعلامة انتقال من الطفولة إلى المراهقة.

ويسبق البلوغ الجنسي فترة نمو جسمي سريع خاصة في الطول وليس هذا النمو السريع نتيجة للبلوغ الجسمي. وأهم شيء في البلوغ هو نضج الغدد الجنسية. وهذا يحدث غالباً بين سن ١٣ ـ ١٤ سنة. أما البلوغ الجنسي فيبدأ بنمو الغدد والأعضاء التناسلية، فالمثيرات هنا داخلية، وتلاحظ هنا أهمية الغدة النخامية التي تقع في أسفل المخ والتي تستثير هرموناتها المشاعر الجنسية والدورة الجنسية وتستثير الخصيتين عند الذكر والمبيضين عند الأنثى في العمل والنشاط. وكذلك تؤثر الغدة الكظرية أو فوق الكلوية، خاصة القشرة بهرموناتها في النمو الجنسي بوجه عام إذ يسبب زيادة إفرازها زيادة وإسراع النمو الجنسي.

ويختلف سن البلوغ الجنسي لدى البنين والبنات وبين أفراد الجنس الواحد أيضاً تبعاً لاختلاف العوامل المؤثرة في النمو الجنسي. فعند البنات يتراوح سن البلوغ الجنسي بين ٩ ـ ١٨ سنة، وعند البنين يتراوح بين ١١ ـ ١٨ سنة. في حدودهما القصوى.

ويورد «**ستاتون**» و«**جونز**» ملاحظات حول التوافق مع سن البلوغ الجنسي أهمها:

البنات اللاتي يبلغن مبكراً يملن إلى:

- الخجل، مع الميل إلى الاستعراض.
- الانعزال عن جماعة رفاق السن وسوء التوافق الاجتماعي (على الأقل حتى تلحق المتأخرات بهن).
- الحاجة إلى إشراف خاص من الكبار بخصوص نشاطهن الجنسي.
- التقدم من الناحية الاجتماعية عن البنات الأخريات عندما ينضجن جميعاً.
- المستوى العام للتوافق أفضل من المتأخرات خاصة التوافق الشخصي والتوافق الأسري.
- عدم استطاعة الحياة في مستوى النضج الذي يتوقعه منهن الكبار.
- تكوين مفهوم أفضل للذات.

البنات اللاتي يبلغن متأخراً يملن إلى:

- الانعزال عن النشاط الاجتماعي، والشعور بالوحدة، وحسد قريناتهن.

ـ الخجل والقلق بسبب تأخر البلوغ.

ـ سيطرة الوالدين عليهم مما يؤخر انتقالهن من الاعتمادية إلى الاستقلال.

ـ نمو مفهوم الذات بدرجة أقل كفاية.

ـ الحاجة إلى خبرات النجاح في أي ناحية يستطعن إنجاز نجاح فيها.

ـ الحاجة إلى الاعتراف والتقدير.

البنون الذين يبلغون مبكراً يميلون إلى:

ـ السعادة، لاتجاه الأنظار إليهم وتوليهم أدواراً قيادية.

ـ التعرض للرفض إذا حاولوا الانضمام إلى جماعات أكبر منهم سناً.

ـ عدم استطاعة الحياة في مستوى النضج الذي يتوقعه منهم الكبار.

ـ الشعور بالثقة في النفس والكفاية والميل إلى الاستقلال وتكون مفهوم موجب للذات والتوافق الاجتماعي والانفعالي.

البنون الذين يبلغون متأخراً يميلون إلى:

ـ التأخر اجتماعياً ورياضياً عن رفاق سنهم.

- الخجل والقلق والوعي بالذات.
- اللجوء إلى طرق سلوكية طفلية والسعي لجذب انتباه الآخرين.
- الحاجة إلى خبرات النجاح في أي ناحية يستطيعون إنجاز نجاح فيها.
- الشعور بالنقص وعدم الكفاية والاعتماد على الآخرين وتكون مفهوم سالب للذات وسوء التوافق الاجتماعي والانفعالي.

إن معدل النمو الجسمي والفسيولوجي يؤثر في نمو الشخصية بدرجة واضحة. وهناك عدة عوامل تؤثر في موعد البلوغ الجنسي منها حالة النشاط الغددي، والحالة الصحية العامة، والاستعداد الفردي، وبعض العوامل البيئية كالتغذية.

البلوغ الجنسي عند الإناث: يحدث الحيض عند الفتاة عندما يبدأ إنتاج البويضة الناضجة وانتقالها من المبيض عبر قناة البويضات (قناة فالوب) إلى الرحم، وعندما لا يتم تلقيحها بالحيوان المنوي تنفجر وينفصل الغشاء الرحمي المعد لاستقبالها ونموها تبعاً لذلك وينزل في صورة دم أحمر قانٍ.

ويرتبط سن بدء الحيض لدى الفتاة بالطول والوزن والعمر الهيكلي والمناخ والبيئة الجغرافية. وسواء توقعت البنت حدوث أول حيض أم لم تتوقعه فإنها عادة تنتبه لحدوثه. ويجب إعداد البنت

لهذا الحدث لأن بعض البنات ينظرن في رعب وهلع إلى الحيض على أنه نزيف لا يمكن إيقافه. وقد يرتبط الحيض في هذه الصورة بعدم السرور أو بالخبرات المؤلمة.

هذا وأهم الخصائص الجنسية الثانوية التي تظهر مع السيادة التدريجية المنشطة للأنوثة Estrogens عند الفتيات: نمو الأعضاء التناسلية (قناتي البويضات والرحم والمهبل) واتساع الحوض والردفين واستدارة الأفخاذ، ونمو الصدر والثديين والغدد اللبنية، وظهور شعر العانة وتحت الإبط، وبعض الشعر الخفيف على الذراعين والشفة العليا، وخفض وعمق الصوت.

البلوغ الجنسي عند الذكور: يحدث البلوغ الجنسي عند الذكر عندما تنشط الخصيتان وتفرزان الحيوانات المنوية والهرمونات الجنسية، وتمتزج الحيوانات المنوية بالسائل المنوي الذي تفرزه البوستاتا.

ومع البلوغ يلاحظ عند البنين نمو الأعضاء الجنسية بسرعة، ويبدأ الفتى في الاستجابة للمثيرات الجنسية. وقد يعاوده الحلم الجنسي والقذف المنوي في الليل.

وحالما يبدأ البلوغ الجنسي، ينظر الفتى إلى التغيرات التي طرأت عليه باهتمام وينظر إلى هذا المظهر المعبر عن الذكورة على أنه يتضمن بين ثناياه معنى المكانة والقيمة بين أقرانه الذكور.

ويصاحب البلوغ الجنسي عن البنين السيادة التدريجية للإفرازات والهرمونات المنشطة للذكورة Androgens مما يؤدي إلى ظهور الخصائص الجنسية الثانوية وأهمها. نمو شعر العانة، وعلى الوجه (نمو الشارب والذقن) وتحت الإبط، وعلى الجسم بصفة عامة، وتغير الصوت ونمو الحنجرة الواضح، ويلاحظ أن العلامات أو الخصائص الجنسية الثانوية لا تظهر عند البنين في نفس الوقت أو العمر.

وحالما يبلغ الفتى جنسياً تتغير اتجاهاته النفسية وتتغير ميوله واهتماماته، ويمكن قياس العلاقة بين ردود الأفعال الانفعالية ومظاهر النمو الجنسي. وبالإضافة إلى ذلك تلاحظ مظاهر النمو الفسيولوجي التالية:

- نمو حجم القلب بنسبة أكبر من نمو الأوردة والشرايين.
- يزداد ضغط الدم.
- تنمو المعدة وتتسع لتسد حاجة الجسم النامي، وتنمو بقية أعضاء الجهاز الهضمي بنفس النسبة تقريباً.
- يتذبذب التمثيل الغذائي بما يؤدي إلى زيادة الشهية للأكل عند المراهق، ويؤدي إلى كثرة الأكل، إلا أنه قد يلاحظ بعض حالات فقد الشهية عند البنات مما يؤدي إلى الإعراض عن الطعام.

النمو الجسمي: تلاحظ طفرة النمو وازدياد سرعته لمدة حوالي ٣ سنوات (١٠ ـ ١٤ عند البنات، ١٢ ـ ١٦ عند البنين) وذلك بعد فترة النمو الهادئ في المرحلة السابقة. على أن النمو يستمر إلى حوالي ١٨ سنة عند البنات وإلى ٢٠ سنة عند البنين، وتصل أقصى سرعة للنمو الجسمي عند البنات في سن ١٢ سنة وعند البنين في سن ١٤ سنة.

ويتغير شكل الوجه إلى حد كبير وتزول ملاحمه الطفولية. ويزداد الطول زيادة سريعة، ويتسع الكتفان ومحيط الأرداف ويزداد طول الجذع. وطول الساقين مما يؤدي إلى زيادة الطول والقوة.

ويزداد نمو العضلات والقوة العضلية بصفة عامة. ويزداد الوزن زيادة سريعة نتيجة لنمو العضلات والعظام (عند البنات بين ١٢ ـ ١٤ سنة، وعند البنين بين ١٤ ـ ١٦ سنة).

وتنمو عظام الحوض عند الفتاة بشكل أوضح منه عند الفتى تمهيداً لوظيفة الحمل والولادة. ويشاهد اتساع الكتفين أكثر عند الفتى منه عند الفتاة تمهيداً لعمله الشاق الذي يعتمد على القوة.

وتهتم الفتاة أكثر من الفتى بالمظهر الشخصي من حيث الطول والوزن والمظهر العام وتسعى دائماً لكي تبدو «**أكثر جمالاً وجاذبية**» ولذلك نراها تقضي وقتاً طويلاً أمام المرآة.

كما يتميز النمو الجسمي في هذه المرحلة بسرعته الكبيرة التي يغلب عليها عدم الانتظام في أجزاء الجسم المختلفة، فالأنف يبدو كبيراً والوجه غير متناسق والجسم لا يتناسب طولاً وعرضاً مما يقلق المراهق بخصوص شكله ويفقده الاتزان الحركي، ويزيد من حرجه وتعثره وقلقه. ومن الطريف أن النمو الجسمي في مرحلة الطفرة هذه لا يسير في توازن تام مع مظاهر النمو الأخرى، فنجد مثلاً فتاة قد تم نموها الجسمي بينما ما زال نموها العقلي أو الانفعالي أو الاجتماعي لم ينضج بعد.

ولا شك أن ظهور بثور الشباب أو ما يسمى حب الشباب، والبشرة الدهنية عند بعض المراهقين من أهم ما يشغل بالهم ويسبب لهم متاعب نفسية. وتظهر بثور الشباب نتيجة للنشاط العام الزائد للغدد مع البلوغ بما فيذلك الغدد الدهنية في الجلد وخاصة في الوجه وعلى الذراعين.

وعندما يحل البلوغ يلاحظ تغير على الحالة العصبية للمراهق سببه سرعة النمو وما يصاحبه من تغيرات داخلية. فقد يصاب بفقر (الأنيميا) ويشعر بالإجهاد ونقص الطاقة والميل إلى التراخي وعدم الرغبة في العمل. وقد يظهر فقدان الشهية في بعض الحالات، وقد تلاحظ آلام المعدة عند البنات. وتشاهد العصبية والقلق والصداع عند بعض المراهقين. وقد يكون المرض حيلة دفاعية للهروب من المسؤوليات.

النمو الحركي: تنمو القدرة والقوة الحركية بصفة عامة. وحتى سن ١٥ يلاحظ الميل نحو الخمول والكسل والتراخي. وتكون حركات المراهق غير دقيقة، ولذلك يطلق على هذه المرحلة «**سن الارتباك**». فقد يكثر تعثر المراهق واصطدامه بالأثاث وسقوط الأشياء من يديه وشعوره بذاته، والسبب هو طفرة النمو في المراهقة التي تجعل النمو الجسمي يتصف بانعدام الاتساق واختلاف أبعاد الجسم وضرورة تعل حسن استخدام أعضاء الجسم بأبعادها الجديدة. وتؤدي التغيرات الجسمية الواضحة والخصائص الجنسية الثانوية إلى شعور المراهق بذاته وتغير صورة الجسم لديه وتوقع الكبار تحمله المسؤوليات الاجتماعية العديدة مما يزيد من الارتباك.

النمو العقلي: تشهد مرحلة المراهقة الطفرة النهائية في النمو العقلي. وتتميز مرحلة المراهقة بأنها فترة تميز ونضج في القدرات وفي النمو عموماً. ويزداد نمو الذكاء ويكون الذكاء العام أكثر وضوحاً من تمايز القدرات الخاصة. وتصبح القدرات العقلية أكثر دقة في التعبير مثل القدرة اللفظية والقدرة العددية.

وتزداد سرعة التحصيل وإمكانياته. ويلاحظ ذلك مثلاً في القراءة وإمكان تحصيل مواد مثل الهندسة والجبر. وتدل البحوث

علـى أن قـراءات المراهقين في هـذه المرحلة يـدور معظمها حول موضـوعات التسـلية كما فـي القصـص والفكاهات والموضـوعات الطريفة وخاصـة مـا يتفق منها مـع الميول الخاصـة، والكتب التي تتناول الشباب ومشكلاتهم والموضوعات الجنسية.

وتنمـو القـدرة علـى التعلـم والقـدرة علـى اكتسـاب المهارات والمعلومـات، ويلاحظ أن التعلم يصـبح منطقياً لا آليـاً. ويبعد عن طريق المحاولة والخطأ.

كما ينمو الإدراك من المسـتوى الحسـي المباشـر إلى المستوى المعنـوي الذي يمتـد عقلياً نحو المسـتقبل القريـب والبعيد. وينمو الانتبـاه فـي مدته ومـداه ومسـتواه، فيسـتطيع المراهق اسـتيعاب مشكلات طويلة معقدة في سهولة ويسر.

وينمو التذكر معتمداً على الفهم واسـتنتاج العلاقات والمتعلقات وتنمو معه القدرة على الاستدعاء والتعرف، وتقوى الحافظة، ويصل نمو التذكر إلى ذروته في نهاية هذه المرحلة.

وتزداد القدرة على التخيل المجرد المبني على الألفاظ، ويتجه من المحسوس إلى المجرد، ويتضح ذلك في الميل إلى الرسم والموسيقى ونظم الشعر والكتابات الأدبية، ويظهر كذلك في أحلام اليقظة.

وينمـو التفكير المجرد وتـزداد القدرة على التفكير والاسـتدلال

والاستنتاج والحكم على الأشياء وحل المشكلات. وتنمو القدرة على التحليل والتركيب، والقدرة على تكوين التصميمات الدقيقة. وتزداد القدرة على فهم الأفكار دون أن تكون مرتبطة مباشرة بالمراهق شخصياً.

وتزداد القدرة على التعميم وفهم التعميمات والأفكار العامة. وتنمو المفاهيم المعنوية مثل الخير والفضيلة والعدالة. وتزداد القدرة على إدراك مفهوم الزمن خاصة المستقبل والتخطيط له وتخيل ما عساه أن يحدث فيه. وتزداد القدرة على التجريد وفهم الرموز أكثر من ذي قبل. وتتضح في بحث المراهق عن معاني الأشياء وقيمتها وأهميتها.

تلعب الوراثة دوراً في وجود فروق فردية في الذكاء والقدرات العقلية. وتؤثر التسهيلات البيئية والخبرة والتدريب في فرصة تنمية ودرجة استثمار القدرة الولادية إلى أقصى حد ممكن. كذلك ييسر التوافق الانفعالي الوصول إلى الثقة ومفهوم الذات الموجب المطلوب لتحقيق النضج العقلي. على أن التغيرات العقلية في المراهقة كمية أكثر منها نوعية. وفي المراهقة تقل سرعة النمو العقلي نسبياً عن ذي قبل. وقد يشعر المراهق شعوراً داخلياً بأنه «**يعرف كل شيء**» وقد ينشغل في تجارب ومشروعات يظنها «**اختراعات**».

ويلاحظ أن المراهق الذي يترك المدرسة لعدم حصوله على

درجات تؤهله لاستكمال تعلميه، لأو لعدم تمكنه من متابعة التعليم يكابد بمشاعر النقص.

النمو الانفعالي: تتصف الانفعالات في هذه المرحلة بأنها انفعالات عنيفة منطلقة متهورة لا تتناسب مع مثيراتها ولا يستطيع المراهق التحكم فيها ولا في المظاهر الخارجية لها. وتلاحظ السيولة الانفعالية وعدم الثبات الانفعالي.

ويظهر التذبذب الانفعالي في سطحية الانفعال وفي تقلب سلوك المراهق بين سلوك الأطفال وتصرفات الكبار. وقد يلاحظ التناقض الانفعالي كما يحدث حين يتذبذب الانفعال بين الحب والكره، والشجاعة والخوف. وحين يتذبذب المراهق بين الانشراح والاكتئاب وبين التدين والإلحاد وبين الانعزالية والاجتماعية وبين الحماس واللامبالاة.

ويلاحظ السعي نحو تحقيق الاستقلال الانفعالي عن الوالدين وغيرهم من الكبار وتكوين شخصيته المستقلة. وقد يلاحظ الخجل والميول الانطوائية والتمركز حول الذات نتيجة للتغيرات الجسمية المفاجأة. وقد يلاحظ الإحساس بالذنب والخطيئة نتيجة المشاعر الجديدة خاصة ما يتعلق منها بالجنس. وقد يلاحظ التردد نتيجة عدم الثقة بالنفس في بداية هذه المرحلة.

ويكون الخيال خصباً، وفي الخيال يحل مشكلاته ويحقق رغباته.

ويفيد الخيال للمراهق إذ يساعده في تقييم جهوده الحالية في أبعاد أكثـر ومـدى أرحب. والخطـورة في أن يسـتغرق المراهـق أكثر من اللازم في خيالاته ويبتعد عن الواقع ويبالغ بصـورة درامية في تخيل العالـم المثالي والبعد كثيراً عن العالم الواقعي حتى لينفصـل عنه. ويستغرق المراهق في حلم اليقظة وينتابه القلق النفسي أحياناً.

ويعتبر الحب من أهم مظاهر الحياة الانفعالية للمراهق. فهو يحب الآخرين ويحتاج إلى حب الآخرين له. والحب كانفعال مهم بالنسـبة للحياة الانفعالية والاجتماعية للمراهق، فالحب المتبادل يزيد الألفة، ويقضـي على العـدوان، ويجعل الاتجاهات النفسـية أكثـر إيجابية. ويلاحظ أن الحب تتنوع موضوعاته وأبعاده بين الحب الوالدي، وحب الإخـوة والأخوات، والحب الجنسـي، والحـب الرومانتيكي (عاطفة وشعور بلا عمل) المشوب بالإعجاب والاحترام. ويتسع مجال الحب ليشـمل الأصـدقاء وأعضـاء الجنس الآخر. وتمتـد انفعالات الحب لتشـمل حب البشرية. وحب الفضـيلة والحق والجمال والمثل العليا. وتكون الصداقة انجذاباً مبنياً على ميول مشتركة ومشاعر متبادلة.

النمـو الاجتماعي: تسـتمر عملية التنشـئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعـي. حيث يسـتمر تعلم واسـتدخال القيـم والمعايير الاجتماعيـة مـن الأشـخاص الهامين فـي حياة الفـرد مثل الوالديـن والمدرسـين والقـادة والمقربين مـن الرفاق ومن

الثقافة العامة التي يعيش فيها المراهق. ويلاحظ زيادة تأثير الفروق في عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي في سلوك المراهق.

ويتسع نطاق الاتصال الشخصي مع السنين خاصة في حالة الشخصية المنبسطة حيث يسعد المراهق بمشاركة الآخرين في الخبرات والمشاعر والاتجاهات والأفكار. أما في حالة الشخصية المنطوية فإن المراهق يظل مشغولاً بنفسه ويستغرق وقتاً طويلاً حتى يتجه نحو الآخرين. ويلاحظ الأحاديث المستمرة بين المراهقين حول العلاقات الاجتماعية والمواعيد الغرامية مع أفراد الجنس الآخر. والمشاركة في النشاط الرياضي والجنس والأخلاق والنكت والأفلام السينمائية، والملابس والنقود، والمجتمع المحلي، ودور العبادة، والشؤون السياسية.

ويظهر الاهتمام بالمظهر الشخصي في اختيار الملابس والاهتمام بالألوان الزاهية اللافتة. وتلاحظ النزعة إلى الاستقلال الاجتماعي والانتقال من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس. ويشاهد الميل إلى الزعامة ويتميز الزعيم هنا بقوة الشخصية. وتختلف درجات الشعبية بين المراهقين فيتدرجون بين نجوم وبين عاديين إلى أفراد معزولين أو مرفوضين.

ويظهر التوحد مع شخصيات خارج نطاق البيئة المباشرة مثل

شخصيات الأبطال. وينمو الوعي الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية. ويشاهد التذبذب بين الأنانية والإيثارية. ويزداد الوعي بالمكانة الاجتماعية والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المراهق.

ويلاحظ التآلف واستمرار التكتل في جماعات الأصدقاء والخضوع لها. وقد يلاحظ النفور والتمرد والسخرية والتعصب والمنافسة، وضعف القدرة على فهم وجهة نظر الكبار وضيق الصدر للنصيحة.

وتعتبر المنافسة من مظاهر العلاقات الاجتماعية في مرحلة المراهقة. فالمراهق تلقائياً يقارن نفسه دائماً برفاقه ويحاول أن يلحق بهم ليكون مثلهم أو يتفوق عليهم، كما يظهر في المدرسة والألعاب الرياضية. وفي بعض أشكال المنافسة التي تقوم أساساً على الأنانية، أو التي يصاحبها الشعور بالخوف والخجل أو الشعور بالإثم والعدوان أو التي تنتهي بالعداء وحب الانتقام. وتشترك المسايرة مع التنافس من حيث أن المراهق يحكم على سلوكه في كل منهما حسب المعايير السلوكية التي تحددها الجماعة. وتتميز المراهقة المبكرة بأنها مرحلة المسايرة والمجاراة والموافقة والامتثال والقبول والاتساق ومحاولة الانسجام مع المحيط الاجتماعي وقبول العادات والمعايير الاجتماعية الشائعة بغية تحقيق التوافق الاجتماعي.

النمو الجنسي: في أوائل هذه المرحلة يشعر المراهق بالدافع

الجنسي، ولكنه في أول الأمر يعبر عنه في شكل إخلاص وولاء وإعجاب وإعزاز وحب لشخص أكبر سناً من نفس الجنس غالباً كالمعلم والمعلمة.

ثم يتحول الميل الجنسي تدريجياً إلى الجنس الآخر، فيتعلق الفتى بإحدى الجارات أو صديقات الأسرة أو إحدى نجمات المجتمع أو إحدى المدرسات وتفعل الفتاة مثل ذلك مع أفراد الجنس الآخر. ويأخذ بعد ذلك الشعور الجنسي مجراه الطبيعي فيحب الفتى فتاة أو أكثر من مثل سنه وتفعل الفتاة مثل ذلك مع أفراد من الجنس الآخر.

وتمتاز العلاقات الجنسية بين الجنسين في هذه المرحلة بسيادة الروح الرومانسية الخالية من أي إثارة جنسية جانحة حيث يوصف الحبيب بالأخ أو الأخت أو الملاك أو الروح.

والمراهق لكي يخفف من التوتر الجنسي لديه فإنه قد يزاول النشاط الجنسي الذاتي أو ما يسمى بالعادة السرية. مع ما يصاحبها من مشاعر الإثم والذنب والخطيئة والصراع النفسي والخوف من المضاعفات والقلق النفسي.

ويلاحظ شعور البنات بالخجل في جماعات البنين، واهتمامهن واستمتاعهن بالاتصال الجسمي في النشاط الاجتماعي المشترك. ويعتقد بعض علماء النفس أن النمو الجنسي يسبق الرغبة الجنسية بمدة تتراوح بين سنة إلى ثلاث سنوات.

ويكون الاهتمام الجنسي عند البنين موجهاً أكثر نحو الاتصال الجسمي، بينما عند البنات يكون موجهاً أكثر نحو الاتصال الانفعالي. ويلاحظ سيادة التفكير الجنسي والسعي الحثيث وراء الجنس الآخر.

ويشاهد الفضول الجنسي وشدة الشغف بالتعرف على حقيقة الحياة الجنسية وكثرة الأسئلة إلى الكبار ومن سبقوا إلى مرحلة المراهقة من الرفاق.

ويلاحظ انشغال الكثير من المراهقين بحجم وشكل أعضائهم التناسلية وينتابهم القلق بخصوص أي انحراف حقيقي أو متخيل مما يجعلهم يحاولون استكشاف الأمر بالمقارنة بأقرانهم وكثرة الأسئلة والقراءة حول هذا الموضوع.

المراهقة الوسطى MIDDLE ADOLESCENCE (١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ سنة)

إن ما يلي سيقتصر على التغيرات الأساسية بين هذه المرحلة وسابقتها مع بعض الإضافات التي ترتبط بهذه المرحلة دون ربطها بالأخيرة.

النمو الجسمي: تتباطأ سرعة النمو الجسمي نسبياً عن المرحلة السابقة. ويزداد الطول عند كل من الجنسين. ويزداد الوزن

عند كل من الجنسين. وتزداد الحواس دقة وإرهافاً كاللمس والذوق والسمع. وتتحسن الحالة الصحية للمراهق.

يزداد الطول بدرجة أوضح عند البنين حيث يلحقون بالبنات ويسبقونهن، وتصل البنات لأقصى الطول في نهاية هذه المرحلة، بينما تستمر زيادة الطول عند البنين حتى سن ١٧ ـ ١٩ سنة.

النمو الفسيولوجي: يقل عدد ساعات النوم عن ذي قبل ويثبت عند حوالي ٨ ساعات ليلاً. وتزداد الشهية والإقبال على الأكل. ويرتفع ضغط الدم تدريجياً. وينخفض معدل النبض قليلاً عن ذي قبل. وتنخفض نسبة استهلاك الجسم للأوكسجين.

النمو الحركي: تصبح حركات المراهق أكثر توافقاً وانسجاماً، ويزداد نشاطه وقوته. ويزداد إتقان المهارات الحركية مثل العزف على الآلات الموسيقية والكتابة على الآلة الكاتبة والألعاب الرياضية. وتزداد سرعة زمن الرجع وهو الزمن الذي يحتاجه المراهق بين إطلاق مثير واستجابته لهذا المثير.

النمو العقلي: تهدأ سرعة نمو الذكاء ويقرب هنا من الوصول إلى اكتماله في الفترة من ١٥ ـ ١٨ سنة. ويزداد نمو القدرات العقلية وخاصة القدرات اللفظية والميكانيكية والسرعة الإدراكية لتباعد مستويات وتنوع حياة المراهق العقلية ولتباين واختلاف مظاهر نشاطها.

ويظهـر الإبـداع creativity خاصـة في حالـة المراهقيـن الأكثر استقلالاً وذكاء أو أصـالة في التفكير والأعلى في مسـتوى الطموح والابتكار.

وتتسع المدارك وتنمو المعارف ويستطيع المراهق وضع الحقائق مـع بعضـها البعض بحيث يصـل إلى فهم أكثر من مجـرد الحقائق نفسها بل يصـل إلى ما وراءها. وتزداد القدرة على التحصيل وعلى نقد ما يقرأ من معلومات. ويميل المراهق عادة إلى التعبير عن نفسه وتسـجيل ذكرياته في مذكرات وخطابات وشـعر وقصـص قصيرة يضـع فيها رغباته ويسطر فيها مشكلاته ويسجل فيها مطامحه دون لوام ودون شعور بخجل.

وتنمو الميول والاهتمامات وتتأثر بالعمر الزمني والذكاء والجنس والبيئة الثقافية وبنمط الشخصية العام للمراهق. وتظهر في اختيار موضـوعات القراءة والاسـتمتاع والمشاهدة وتشـمل الميول العقلية والدينية والخلقية والاجتماعية والفنية...

ويظهر هنا اهتمـام المراهق جدياً بمسـتقبله التربوي والمهني، حيـث يكون من الملفت غياب هذا العامل في المرحلة السـابقة لدى أكثر المراهقين. ويلعب التعليم دوراً واضحاً في إبراز الفروق الفردية في النمو العقلي.

وفي هذه المرحلة يكون المراهق قد كون فكرة عن قدراته العقلية.

وهـذه الفكرة تكون في كثير مـن الأحيان غير دقيقـة، إذ قد تعطيه تقديـراً أقل من الواقع أو أكثر منـه. مع العلم أن تركه يحاول إعطاء تقدير دقيق وغير خاضع لضغوط اجتماعية أو نفسية قد يقارب فعلياً مستواه الحقيقي. وكلما قربت فكرة المراهق عن قدراته العقلية من الواقـع كلما مكنه ذلك من تحقيق ذاته. أما المراهق الذي يبالغ في تقييم ذاته، فإنه يقابل بكثير من المعوقات. وبالنسبة للمراهق الذي يقدر قدراته بأقل من حقيقتها فإنه يبخس ذاته ويعوق نفسـه بنفسه عن تحقيق ما يمكنه فعلاً تحقيقه.

ويلاحظ أنه في هذه المرحلة قد يكون مستوى الطموح عالياً جداً وكل الأطفال والمراهقين والراشـدين يتمنون أن يكون إنجازهم في المستقبل أعلى وأفضل من أدائهم في الماضي والحاضر.

النمـو الانفعالي: تظل الانفعالات قويـة يلونها الحماس. وتتطور مشـاعر الحب حيث يتضـح الميل نحو الجنسـ الآخر، ويميل المراهـق إلـى التركيـز على عدد محـدود من أفـراد الجنس الآخر ثم على واحد فقط.

ويخبـر المراهق الفرح والسـرور عندما يشـعر بالقبول والتوافق الاجتماعـي وعندما يشـبع حاجاته إلـى الحب والمحبـة. ومن أهم ما يجلب الفرح والسـرور فـي المراهقة النجاح المدرسـي والتوافق الانفعالي بصفة عامة.

وتلاحظ الحساسية الانفعالية حيث لا يستطيع المراهق في هذه المرحلة، غالباً، التحكم في المظاهر الخارجية لحالته الانفعالية، ويرجع ذلك إلى عدم تحقيق التوافق مع البيئة المحيطة به. ويرجع أيضاً إلى عجز المراهق المالي الذي يقف دون تحقيق رغباته.

وتظل ثنائية المشاعر أو التناقض الوجداني في هذه المرحلة. ويتعرض بعض المراهقين لحالات من الكرب واليأس والقنوط والانطواء والحزن والآلام النفسية نتيجة لما يلاقونه من إحباط وما يعانونه من صراع بين الدوافع وبين تقاليد المجتمع ومعاييره.

ويزداد شعور المراهق بذاته. وتلاحظ مشاعر الغضب والثورة والتمرد نحو مصادر السلطة في الأسرة والمدرسة والمجتمع خاصة تلك التي تحول بينه وبين تطلعه إلى التحرر والاستقلال.

ويستجيب المراهق ويعبر عن غضبه تعبيراً مباشراً في شكل مظاهر حركية متباينة ثائرة كالعدوان بالضرب والهجوم، ومظاهر لفظية كالصراخ والوعيد والتهديد والشتائم.

ويلاحظ أيضاً الخوف من بعض المواقف عندما يتعرض المراهق للخطر حيث يستجيب المراهق للخوف ومواقف الخوف ذات الطبيعة الاجتماعية والتي يدرك أنها تهدد مكانته الاجتماعية. ومن أهم موضوعات الخوف المخاوف المدرسية مثل الخوف من الامتحانات

والفشل، والمخاوف الصحية مثل الخوف من الإصابات والحوادث والعاهات والمرض والموت، والمخاوف الأسرية مثل الخوف من تفكك الأسرة، ومخاوف اقتصادية مثل الخوف من الفقر والبطالة، ومخاوف جنسية مثل الخوف من الخضوع للدوافع الجنسية وعدم التوافق الجنسي.

كذلك فإن الانفعالات ترتبط بالحالة الفسيولوجية للفرد ومن التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للانفعال. زيادة إفراز الكبد مما يساعد في الحركة العضلية وزيادة التنفس لزيادة سرعة دقات القلب لتوزيع السكر على أجزاء الجسم بسرعة. وزيادة التنفس لزيادة الأوكسجين.

ويلجأ المراهق إلى حيل الدفاع عن الذات بهدف تحقيق توازن مؤقت بين القوى الداخلية والضغوط الخارجية. ومن حيل الدفاع التي يلجأ إليها المراهق: الحيل الانسحابية مثل التبرير والإنكار والنكوص والنسيان والكبت، والحيل العدوانية مثل العدوان والإسقاط.

النمو الاجتماعي: تتضح الرغبة الأكيدة في تأكيد الذات مع الميل إلى مسايرة الجماعة ويلاحظ أن تحقيق الذات المتزايد يحدث من خلال تنمية الإحساس بالألفة والمودة. ويتضح البحث عن الذات في ثلاث جهات رئيسية هي:

- البحث عن نموذج يحتذى (مثل الوالدين والمربين والشخصيات الهامة).

- اختيار المبادئ والقيم والمثل.

- تكوين فلسفة الحياة.

ويظهر الشعور بالمسـؤولية الاجتماعية أي محاولة فهم ومناقشة المشـكلات الاجتماعيـة والسياسـة العامـة والتعـاون مـع الزملاء والتشـاور معهم واحتـرام آرائهم والمحافظة على سـمعة الجماعة. ويشـاهد الميل إلى مسـاعدة الآخرين والعمل في سبيل الغير وعمل الخير.

وتشـاهد الرغبـة فـي مقاومة السـلطة والميـل إلى شـدة انتقاد الوالدين والتحرر من سلطتهم ومن سلطة الراشدين بوجه عام. ويميل المراهـق إلى تقييم التقاليد القائمة في ضـوء المشـاعر والخبرات الشخصـية. ويـزداد الوعي الاجتماعـي والميل إلى النقـد والرغبة في الإصـلاح الاجتماعي وتغيير مجرى الأمـور بطريقة الطفرة دون دراسـة وتدرج وأناة كما يفعل الكبار. ويلاحظ الشعور بعدم الارتياح نحو بعض القوانين خاصة تلك التي تحد من حركتهم.

النمو الجنسـي: يزداد استمرار واسـتكمال التغيرات التي حدثت في المراهقة المبكرة، وتزداد الانفعالات الجنسية في شدتها وتكون

موجهة عادة نحو الجنس الآخر. ويزداد التعرض للمثيرات الجنسية، ومن المثيرات الجنسية للمراهق في هذه المرحلة المحادثات والصور والكتابات والنكات ذات الطابع الجنسي وأحلام اليقظة بالإضافة إلى أفلام الديفيدي وما تنشره الانترنت.

ويلاحظ الاتجاه إلى الجنسية الغيرية حيث تتغير نظرة المراهق إلى الميول الجنسية فيصبح شديد الميل والاهتمام بأعضاء الجنس الآخر والحديث عنهم والاطلاع على حياتهم الخاصة. وفي هذه المرحلة يلاحظ الحب المتعدد والاهتمام بالجمال والرغبة في جذب انتباه أفراد الجنس الآخر.

وتلاحظ محاولة أخذ المواعيد الغرامية المتعددة مع أفراد الجنس الآخر التي يدفع إليها عوامل مختلفة. وفي نهاية هذه المرحلة يصل جميع البنين والبنات إلى النضج الجنسي.

الذات في مرحلة المراهقة:

يحدث مع النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي تغير في الشخصية بصفة عامة وبصفة خاصة في مفهوم الذات الذي يؤثر بدوره في تنظيم الإدراك واستيعاب الخبرات وتحديد السلوك. وفيما يلي بعض الملاحظات على نمو الذات ومفهوم الذات في مرحلة المراهقة:

- يزداد الوعي بالذات والدقة في تقييم الذات، وتمكن الذات النامية القوية المراهق من أن يؤثر في بيئته وفي المواقف الاجتماعية.

- يؤثر البلوغ في نمط الشخصية بصفة عامة وفي مفهوم الذات بصفة خاصة.

- البلوغ والنضج الجسمي يستطيع حدوث تغير في الاتجاهات نحو الذات ونحو الآخرين.

- مفهوم الجسم مهم جداً في هذه المرحلة بالنسبة لكل من البنين والبنات.

- يتعدل مفهوم الذات ويعاد تنظيمه حيث تحدث تغيرات كثيرة داخلية وخارجية تؤدي إلى أن يصبح مفهوم الذات أكثر تأثيراً وغير مستقر ويعاد تكامله ويزداد تكامل الذات مع النمو. وتتعدل صورة الذات المثالية في مرحلة المراهقة.

- يتأثر مفهوم الذات بملاحظات الوالدين والمعلمين والأقران.

- قد يتأثر مفهوم الذات تأثيراً سيئاً إذا لم يفهم المراهق مبدأ الفروق الفردية وظل عاكفاً على مقارنة نفسه بسابقيه في النضج.

- يلاحظ تركيز اهتمام المراهق بنفسه وعلى خبراته وأفكاره وأوجه نشاطه.

- يبذل المراهق كل جهده لتدعيم ذاته.

- يستمر نمو الذات ومفهوم الذات تجاه «**مفهوم ناضج للذات**»، ويقرب المراهق من الراشد في سلوكه وفي اتجاهاته وقيمه وفي مفهومه الواضح عن ذاته. ويتابع مفهوم الذات نموه نتيجة للخبرات الجديدة مثل المهنة والزواج والأطفال...

- ينمو مع نمو الفرد منذ الطفولة مفهوم خاص للذات هو ما يسمى «**مفهوم الذات الخاص**» وهو الجزء السري من الذي يتصف بأن محتواه غير مرغوب فيها اجتماعياً (خبرات محرمة أو محرجة أو مخجلة...).

النمو الديني في المراهقة: تبرز ملامح النمو الديني في المراهقة ويمكن اختصارها بما يلي:

- اليقظة الدينية العامة.

- ازدواج الشعور الديني.

- تعدد الاتجاهات الدينية.

- الحماس الديني.

- الاتجاه إلى اللّٰه.

- الطقوسية.

- الشك.

- الإلحاد.

حاجات المراهقين الأساسية: يمكن تلخيص حاجات المراهقين الأساسية فيما يلي:

- الحاجة إلى الأمن.

- إلى الحب والقبول.

- الحاجة إلى مكانة الذات.

- الحاجة إلى الإشباع الجنسي.

- الحاجة إلى النمو العقلي والابتكار.

- الحاجة إلى تحقيق وتأكيد وتحسين الذات.

- حاجات أخرى، مثل:

- الحاجة إلى الترفيه والتسلية.

- الحاجة إلى المال...

السمات النفسية الأساسية للمراهقة

- الرومانسية.

- التمرد على السلطة الأبوية.

ـ التمرد على سلطة المدرسة.

ـ رفض سلطة المجتمع.

ـ الهروب.

أما على صعيد النمو الأخلاقي فقد اهتم العلماء بدراسة مسألة الأخلاق والسلوك الأخلاقي، ولم تقتصر دراساتهم على اليافعين أو المراهقين بل على الإنسان بوجه عام، ومن بين هؤلاء العلماء «**بياجيه**» و«كولبرغ». وفي هذا النص سيتم عرض بعض نتائجهم مختصرة، على أن يتم التركيز على المرحلة المستهدفة في هذا النشاط.

جان بياجيه: يتبين من خلال مطالعات ما ورد عن بياجيه بخصوص النمو الأخلاقي أنه اعتبرها تمر في مراحل ثلاث:

١ ـ مرحلة التحلل.

٢ ـ مرحلة التقليد.

٣ ـ مرحلة الاعتداد بالذات.

فيما يلي مختصر لخصائص كل من هذه المراحل، ويتم التفصيل في المرحلة المستهدفة (مرحلة اليافعين):

مرحلة التحلل: نظراً لغياب التفكير والتجربة مع ولادة الطفل

فإنــه حين يتعامل معه نفترض أنه مســائل محكومة بالمعايير والأحــكام الأخلاقية، فــإن الطفل في هــذه المرحلة في حالة خاصة تتميز بـ:

ـ انعدام القيمة للأوامر والنواهي الأخلاقية.

ـ عدم الشعور بانه ملزم بأي ضابطة أو قاعدة.

ـ سيطرة تامة للأهواء والرغبات (الإرادة).

ـ هيمنــة حالة المحوريــة (الأنوية). وهي الحالــة التي يكون فيها الطفل عاجز عن الفصــل الذهني بينه وبين العالم الخارجي، بمــا في ذلك أحكامه تجاهها، فكل شــيء له حياة، كما أن كل شيء مصــنوع حتى الجبال والبحار والكواكب قد صنعها بشر كبار، فراكموا الحجارة والصخور حتى أضحت جبلاً... وقس على ذلك.

مرحلة التقليد: في هذه المرحلة بقيت حالة المحورية مع بعض التغيــرات فيها، فقد أصــبح كل مــا يتحرك له حيــاة، والقمر عندما ننظر إليــه نجده يلاحقنا وهذا دليل وجود حياة له،... الخ. كما أن هذه المرحلة يظهر فيها أهمية الأشــخاص الكبار بالنسبة للطفل، وعليه فأهم خصائص هذه المرحلة:

ـ تقليد تلقائي (غير واع) لسلوك الكبار.

- الكبار بنظر الطفل أقوياء لذا يجب طاعتهم والإذعان لهم.
- سيطرة المحورية في أغلب هذه المرحلة.
- يربط الصلاح بمقدار التبعية والإلتزام بأوامر الكبار.
- النتائج الملموسة للعمل هي التي تعطيه القيمة وليس الدوافع والنوايا.

بعد ذلك دخل الطفل في مرحلة جديدة لها مميزات تقارب الراشدين، كما أن البلوغ الجسمي قد تحقق لدى الإناث، وهو تحقق أيضاً، أو قيد التحقق، لدى الذكور. فما هي هذه المرحلة:

مرحلة الإعتداد بالذات: تتميز هذه المرحلة بخصائص يحكمها التفكير والسعي نحو الاستقلالية ويمكن إختصارها بما يلي:

- تصاحب بروز مرحلة التفكير المجرد. بعد أن كان التفكير المحسوس هو الذي يحكم نمط المعالجة الذهنية.
- يبني العلاقات على أساس الإحترام المتبادل. وليس على أساس الطاعة والإذعان للكبار.
- يعتبر الأحكام والمعايير الأخلاقية إختيارية مرنة وليست مطلقة أو ثابتة. خاصةً مع مقارنته لإختلاف المعايير الأخلاقية بين جماعة وجماعة أُخرى.

- يلتـزم بالأخـلاق الصـادرة عنـه وعـن الآخرين مـا دام يراها متوازنة.

- يتطور حتى يصـل إلى قاعدة الميـزان في العلاقة مع الآخرين. (يحب لهم ما يحب لنفسه).

- لا يرى نفسه ملزماً بطاعة سلطة الكبار (الوالدين والمعلمون).

- لا يرى ترابطاً بين تجاهله لقرارات السلطة واستحقاقه للعقوبة. خاصة مع بروز سمة المعارضة لكل أنواع السلطة.

- لا يهتـم بالشـكل الظاهـري للأفعـال (الآداب)، بـل بالنوايـا والمشاعر التي تصاحب السلوك.

عالم آخر من علماء النفس اهتم بدراسة النمو الأخلاقي، ويعتبر مـن أهـم العلماء الذين خاضـوا هذا الميدان وقد سـاعده في ذلك العديد من العلماء. وهو العالم «**كولبرغ**» حيث قسـم النمو الأخلاقي إلى ثلاثة مستويات، وقسم كل مستوى إلى مرحلتين.

وما يلي شـرح مختصـر لخصـائص هذه المراحل، على أن يتم التفصيل في المرحلة المستهدفة:

مستويات النمو الأخلاقي عند كولبرغ:

١ ـ المستوى ما قبل التقليدي.

٢ ـ المستوى التقليدي.

٣ ـ المستوى ما بعد التقليدي.

المستوى ما قبل التقليدي: (حتى عمر ٩ سنوات)

١ ـ مرحلة التوجه نحو العقوبة والطاعة:

ـ المقياس هو النتائج المادية للسلوك.

ـ تجنبا للعقاب.

ـ اذعانا للسلطة.

٢ ـ مرحلة التوجه النسبي الذرائعي:

ـ تحقق اشباعا:

ـ للحاجات الخاصة.

ـ الحاجات الآخرين.

المستوى التقليدي: (٩ حتى ١٥ سنة)

٣ ـ مرحلة توافق العلاقات الشخصية المتبادلة (الصبي الجيد والبنت الجيدة)

ـ التغذية الراجعة من الآخرين (سعادة ورضا الآخرين خاصة الأهل).

ـ نية الفاعل وليس ما يترتب على الفعل من نتائج مادية.

ـ تحكمه الفكرة التقليدية السائدة عن الحسن والسيء.

هنا بدأت المرحلة الذهنية الحاضرة للتعامل مع مستوى أخلاقي يرتكز على التفكير المجرد، ولا يقتصر على التقليد والاسترضاء، بل على المحاكمة الذهنية للأحكام الأخلاقية. وما ينبغي توضيحه هنا هو أن دخول الطفل في هذه المرحلة العمرية لا يعني دخوله حكماً في مرحلة أخلاقية جديدة، بل قد لا يتعداها بعض الأشخاص، فالأمر منوط بالمستوى الذهني أولاً، ثم بعامل التربية والبيئة الاجتماعية. فما هي المرحلة اللاحقة التي يمكن للطفل أن يدخل إليها لو تحقق له نمو ذهني طبيعي، وبيئة اجتماعية سوية:

٤ ـ مرحلة التوجه نحو النظام والقانون: كما نرى فقد دخل القانون كعامل أساسي في المعالجة الذهنية للأحكام الأخلاقية، غير أن هذا الولوج للقانون إلى عقل الطفل يبقى محكوماً بالأمور التالية:

ـ تطبيق حرفي للقوانين السائدة.

ـ عدم ادراك خلفية القوانين.

ـ دافعه هو القيام بالواجب فقط.

ـ الالتزام بالقوانين ذاتي داخلي.

.المستوى ما بعد التقليدي: (بعد عمر ١٥ سنة)

٥ ـ مرحلة التوجه نحو العقد الاجتماعي القانوني:

ـ معايير عامة وافق عليها المجتمع.

ـ يهتم بروح القانون وليس نصه الحرفي.

ـ يتغير القانون تبعاً لمصلحة المجتمع.

ـ الموافقة عنصر أساسي في الطاعة.

تبقى المرحلة الأخيرة وهي مرحلة تحتاج إلى مقدمات كثيرة ربما لا يصل إليها الإنسان في حياته أو قد يصلها (إن وصلها) متأخراً، وهي مرحلة يصبح فيها حكم الإنسان وموقفه من العالم كل العالم، والتصرفات كل التصرفات، والقوانين كل القوانين، محكوم فقط بالمبادئ:

٦ ـ مرحلة التوجه المبدئي ـ الأخلاقي ـ العالمي:

ـ تعتمد على المبادئ والمعايير الأخلاقية الذاتية.

ـ الموافقة ترتكز على المبادئ وتحتكم للمنطق.

ـ المبادئ شاملة للعدالة والمساواة في الحقوق الإنسانية.

ـ احترام الفرد كوجود إنساني.

تجدر الإشارة إلى أن العالم «**هافيجرست**» حدد عدة مطالب للنمو

ترتبط بكل مرحلة من المراحل النمائية. وقد اعتبر «**هافيجرست أن تحقيق هذه المطالب هو الذي يوفر للمراهق استقراراً إنفعالياً وإجتماعياً وذهنياً. على حدة كل مطلب من المطالب وموقعه بالنسبة للمطالب الأُخرى لجهة الأولوية والتأثير إنما يرتكز على طبيعة المجتمع وثقافته وضوابطه الإجتماعية، بالإضافة إلى مستواه الاقتصادي.**

مطالب النمو في مرحلة المراهقة:

- نمو مفهوم سوي للجسم وتقبل الجسم.
- تقبل الدور الجنسي في الحياة.
- تقبل التغيرات التي تحدث نتيجة للنمو الجسمي والفسيولوجي والتوافق معها.
- تكوين المهارات والمفاهيم العقلية الضرورية للإنسان الصالح.
- استكمال التعليم.
- تكوين علاقات جديدة طيبة ناضجة مع رفاق السن من الجنسين.
- نمو الثقة في الذات والشعور الواضح بكيان الفرد.

- تقبل المسؤولية الاجتماعية.
- امتداد الاهتمامات إلى خارج حدود الذات.
- اختيار مهنة والاستعداد لها (جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً).
- تحقيق الاستقلال اقتصادياً.
- ضبط النفس بخصوص السلوك الجنسي.
- الاستعداد للزواج والحياة الأسرية.
- تكوين المهارات والمفاهيم اللازمة للاشتراك في الحياة المدنية للمجتمع.
- معرفة السلوك الاجتماعي المعياري المقبول الذي يقوم على المسؤولية الاجتماعية وممارسته.
- نمو والقيام بالدور الاجتماعي الجنسي السليم.
- اكتساب قيم دينية واجتماعية ناضجة تتفق مع الصورة العملية للعالم الذي نعيش فيه.
- بلوغ الاستقلال الانفعالي عن الوالدين وعن الكبار.

أخيراً، يمكننا إبراز مجموعة ملاحظات تختصر ما ورد مما ينبغي أخذه بعين الإعتبار عند التعامل مع اليافعين:

ـ البلوغ يعني:

ـ ضغط جنسي يتجاوز قدرة الفرد على ردعه. (متعدد المظاهر)

ـ إنشغال ذهني حاد بطفرة النمو.

ـ إنشغال ذهني حاد بالحاجات المستجدة (أحلام يقظة، شرود...)

ـ نمو أمراض لم تكن سابقاً واضحة.

ـ غياب الطموح العلني عند غالبية المراهقين.

ـ إستعراضات سلوكية وجسدية مقلقة بالنسبة للمجتمع المحلي.

ـ إنكشاف تشوهات غير واضحة السبب (بالنسبة للمراهق، وإن كانت ذات طبيعة مؤقتة).

ـ النمو الذهني في هذه المرحلة يعني:

ـ فوضى في ردات الفعل. (نتيجة ضعف الخبرة بالنمو الجديد)

ـ إعتراضات دون بدائل.

ـ التخطيط لردات الفعل العدوانية (لدى الأذكياء).

ـ الحاجة إلى التطمين، والإحتضان.

- موقف حاد من أي قمع ذهني أو نفسي أو إجتماعي.

- الإنضمام إلى جماعات تأخذ طابع الشلل، مع تماه بالشلل السينمائية.

إن هذه المقدمة التي بين أيديكم هي خلاصة أهم ما قدمه علم نفس النمو في دراسته لليافعين، على أن تفاصيل كثيرة يمكن الإطلاع عليها في مراجع وأبحاث ودراسات هذا العلم. تمت الإستفادة من عدة مراجع وأبحاث عند كتابتها، بالإضافة إلى بعض التصرف في مواقع عدة وجدت أنه لا بد من التدخل فيها بما يتناسب مع الثقافة المحلية، بحدود ما يسمح به البحث. غير أن ما قدمته لم يقارب فهمي للتراث الإسلامي في موضوع اليافعين، إلتزاماً مني بما طلبه الإخوة المنظمون للمؤتمر.

آمل أن يكون هذا العمل مفيداً واسمحوا لي أن أقدمه إلى أولئك الذين يحملون الهم وكلهم ثقة بأن الله هو حاكم هذا الكون ومدبره، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

مع خالص التقدير والشكر للإخوة المنظمين ولجميع المشاركين.

العوامل المؤثرة في الناشئة

إعداد: أميرة برغل [1]

محتوى المداخلة:

I – مقدمة تتضمن مسألتين:

- الناشئة والمراحل العمرية.
- الناشئة والتعلُّم.

II – العوامل المؤثرة في الناشئة:

١. أفكارهم

٢. ذكاؤهم العاطفي

٣. خبراتهم السابقة

٤. أسلوب تعامل الراشدين معهم حالياً

٥. صورة البطل في مجتمعهم

٦. شلة الرفاق

III – خلاصة تتضمن توصيات

(١) المشرفة على الإرشاد والتوجيه في مدارس المصطفى ﷺ.



I – المقدمة:

يتصدى هذا المؤتمر الكريم إلى واحدة من أهم التحديات التي تواجه المجتمعات المؤمنة بالمعتقدات والقيم الدينية، في عصرنا الحاضر.

وحيث يرتجي هذا المؤتمر، في واحدة من أهدافه، الوصول إلى صيغ ونماذج لبناء أفراد تتوافر فيهم صفات: الإيمان والعلم والوعي والروح الجهادية، ارتأيت ضرورة الإشارة، قبل التطرق إلى العوامل المؤثرة في الناشئة، إلى مسألتين

مهمتين:

الأولى: تتعلق بخصائص عمر الناشئة وعلاقته بالمراحل العمرية الأخرى.

والثانية: حول كيفية تشكل السلوك لدى الأولاد والناشئة.

وذلك لأن أية مقاربة لموضوع الناشئة (من ١٢ إلى ١٨ سنة بحسب تحديد المعنيين بالمؤتمر)، من دون مراعاة لهاتين المسألتين، لن

تعود بفوائد عملية، إن على صعيد تحليل أسباب الإشكالية أو على صعيد تحديد سبل الحل الناجعة.

ومراعاة للموقف، سنتطرق إليهما بشيء من التبسيط والإيجاز.

أولاً: خصائص عمر الناشئة وعلاقته بالمراحل العمرية الأخرى:

إن العمر الممتد من ١٢ إلى ١٨ سنة، وإن كان معتبراً من الوجهة القانونية، ملحقاً بعمر الطفولة. إلاَّ أنه، من وجهة النظر التربوية، في الإسلام وعلم النفس النمو، يعتبر نهاية مرحلة الطفولة وبداية مرحلة جديدة؛ تسمى في علم النفس بالمراهقة واصطلح على تسميتها في الإسلام بالبلوغ أو التكليف.

وفي هذا المجال لا بد من تسجيل بعض المسائل:

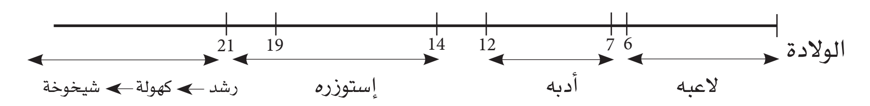
١. بالرغم من اعتبار هذه المرحلة بمثابة ولادة جديدة للإنسان نسبة لأهمية التغيرات الجسدية والنفسية والعقلية التي

تطرأ على شخصيته إلاَّ أنها ليست منفصلة بمكان عن المرحلة السابقة. إذ إن النمو عملية تراكمية؛ فكما أن صحة الوليد الجسدية والعقلية والنفسية مرتبطه ارتباطاً وثيقاً بظروف حياته الرحمية،كذلك سلامة شخصية الناشئ تعود إلى حدٍ بعيد، إلى صحة نموه في جوانب شخصيته كافة (الجسدية – العقلية –

الانفعاليـة – الاجتماعيـة – الأخلاقيـة – الروحية) فـي المرحلة السابقة.

وعليه فإن ما نواجهه من صـعوبات فـي التعامل مع هذه المرحلة ليس عائداً إلى حساسية التعامل مع المراهقين

فحسب بل يعود أيضاً إلى ما أهملناه في المراحل السابقة،وبعبارة أخرى إننا نحصد ما زرعناه.



٢. بالرغم من طفرة النمو العقلية والجسـدية التي تهب الناشئ، في هذه المرحلة، قدرات ومهارات تشعره بأنه لا

يقـل شـأناً عـن الكبـار، إلاّ أنه يفتقد إلـى الكثير مـن التجارب والخبـرات. الأمر الذي يحتـم على المربين إيلاء الناشـئ اهتماماً كبيراً والتعامل معه بكثير من الحكمة والتفهم حتى يضعوه على سكة الرشـد الحقيقي؛ وأبلغ تعبير عن أسـلوب التعامل الأفضـل مع هذا العمر، هو ما عبَّر عنه الإسلام بلفظه: إستوزره.

ورد في الحديث:

«**الولـد سيـد سبـع سنيـن وعبـد سبـع سنيـن ووزيـر سبـع سنين**» الرسول ﷺ [١].

(١) بحار الأنوار ج١٠٤

«دع ابنـك يلعـب سبـع سنين ويـؤدب سبع سنيـن والزمه نفسك سبع سنين»[1].

«احمـل صبيـك تأتـي عليه سـت سنين ثـم أدبه فـي الكتاب ست سنيـن ثم ضمه إليك سبع سنين، فأدبه بأدبك فإن قبل وصلح وإلا فخلِّ عنه»[2].

٣. إن من أهم مقتضـيات الاسـتوزار: القـرب الدائم والاحترام والمشـاورة وتفويضـ بعضـ الصـلاحيات مع إبقـاء خطوط حمراء لا يجب تخطيها.

٤. إن طفـرة النمـو الجسـدية والنفسـية والعقلية التـي يمر بها المراهق، وإن كانت تدفعه أحياناً إلى التمرد أو الجنوح ليست، إذ أحسـن التعامل معها، بسلبية دائماً. فهي التي تهبه القدرة على التفكير والتحليل والاحسـاس بالمسـؤولية والإنفتاح على معاني الكمـال والجمال والعبادة الواعية والاسـتعداد للتفاني مـن أجـل الدفاع عـن العدالة والإنسـانية والجهاد في سـبيل الله....

عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أوصيكم بالشبان خيراً فأنهم أرق أفئدة، إن الله بعثني بشيراً ونذيراً فحالفني الشبان وخالفني الشيوخ»**.

(١) (الإمام الصادق عليه السلام)
(٢) (الوسائل باب ٨٢ حديث ٢ أحكام الأولاد)

ثانياً: كيفية تشكُّل السلوك:

لا بـد للمهتمين بشـؤون الأولاد والناشـئة وبكيفيـة تربيتهم على الإيمان والفضيلة من الإلمام بشيء من التعمق والتفصيل بالنظريات التي تفسر كيفية تشـكُّل السلوك لدى الكائنات الحية، والعاقلة منها خاصة.

وقـد خطا، علم نفس النمو وعلم نفـس التعلُّم، خطوات مهمة في هذا المجال. وإن كانت، نظريات النمو والتعلّم، قد شابها، في البدء، الكثير من الجنـوح والهفوات، إلاَّ أن ما آلت إليه هذه النظريات، في عصـرنا الحاضر، يقترب كثيراً من مضـمون التوجيهات في القرآن والسنة، الأمر الذي يدعونا لدراستها بجدية وتحديد كيفية الاستفادة منها.

ونسـتطيع، بالاستناد إلى هذه النظريات، أن نفسر أسباب الكثير من السـلوكات، التي يتفاجأ بها الأهل، لدى الناشئة ونستطيع كذلك أن نتعرف على أساليب إطفاء السلوك السيّئ وإعادة تشكيل السلوك المرغـوب فيـه. وحيث أنه لا يسـعنا في هـذه العجالة الاسـتعراض المفصَّـل لهـذه النظريـات سـتكتفي بالإشـارة إليهـا وتعريفهـا بعباراتموجزة.

أهـم النظريـات المتعلقـة بتفسـير السـلوك مؤخـراً، خمس نظريات:

١. التعلُّم السلوكي التشريطي (SKINNER):

وهي النظرية التي تعتبر بأن العنصر الأساسي في انتخاب الكائن الحي لسلوك معيَّن هو ما يرافق هذا السلوك

مـن آثار محببة أو منفرة (أي الثواب والعقاب) ضـمن شـروط معينة.

٢. التعلُّم الاجتماعي (BANDURA):

وتعرف أيضاً «**بالتعلُّم من خلال المراقبة**»، **وهي النظرية التي تعتبـر أن للمحاكاة والنمذجة أثرين كبيرين على تشكيل السلوك لـدى الأولاد والناشئـة. وقـد أجرى أصحاب هـذه النظرية بحوثاً حول شروط فعالية النمذجة وكيفية تأثيرها.**

٣. الذكاء العاطفي (Golman):

وهــي النظرية التي تعتبر أن السـلوك عمليـة تعلُّمية. وأن معظم الأولاد بحاجة لمن يعلمهم المهارات الحياتية والتي

مـن أهمها فهم الذات والآخر ومعرفة كيفية التعامل معهما. وأن حسـن سـلوك الأولاد وصـلاحهم يعتمد إلى حدٍ كبير على تعليمهم وتدريبهم على عناصر الذكاء العاطفي.

٤. النمو النفسي – الاجتماعي (ERIKSON) :

وهـي النظريـة التي تعتبر أن ظهور السـلوك الجيد والسـوي في مرحلـة المراهقـة وما بعدهـا يعتمد على حسـن النمو النفسـي – الاجتماعي في المراحل السابقة والتي هي كالآتي:

الثقة في مقابل الشك	1½ الاستقلال في مقابل الخجل	3 الابداع في مقابل الذنب	5 الاجتهاد في مقابل الاحساس بالنقص	11 الهوية في مقابل الخلل في الدور	18

٥. النمو العقلي – الانفعالي (A.ELIS) :

وهـي النظريـة التي تعتبـر أن السـلوك هو نتيجة حديـث الذات الناتج مـن الأفكار والعواطـف التي تختلج داخل النفس الانسـانية، وأنه بتعديل أنماط التفكير عبر تعلُّم منطلقات أكثر منطقية وإيجابية يتعدل الكثير من السلوك.

١١- العوامل المؤثرة في الناشئة:

إنطلاقاً من هذه المقدمة فإنني أعتبر أن هناك ٦ عناصر مؤثرة في سلوكات الناشئة.

١.**أفكارهـم:** وتتضـمن اعتقاداتهـم ومفاهيمهـم وقيمهـم ومبادئهم.... التي تكونت لديهم عبر مصـادر وأساليب التعلُّم المختلفة.

والجدير ذكره هنا، أن مصادر التعلُّم لم تعد منحصرة، كما كان الحال سابقاً، في الآباء والمعلمين، بل إنضم إليهم، وبحضور أقوى، شركاء آخرون، أصبح جُلهم يسكن المنزل، نذكر منهم: التلفاز والحاسوب والانترنت.

أما التأثير، فهو عائد للأساليب؛ ولا يخفى كم يتفوق هؤلاء الشركاء بأساليبهم ومؤثراتهم الصوتية والضوئية.

ولقد كان من الممكن أن تكون قوة حضور هؤلاء الشركاء عاملاً إيجابياً، وذلك في حال التقت رسائلهم مع رسائل الأهل والمعلمين.

إلاَّ أن، واقع الحال، غالباً هوالعكس، وذلك بسبب العولمة الثقافية والاتجاهات المادية والاستهلاكية المهيمنة على وسائل الإعلام.

٢. **ذكاؤهم العاطفي:** أي ما اكتسبوه من مشاعر وتدربوا عليه من مواقف حول كيفية التعامل مع مواجهة الذات والآخر وخاصة في الظروف الحرجة وأثناء حل المشكلات.

فلقد أثبتت البحوث والتجارب بأن الإنسان لا يرث مشاعر وسلوكات بل يكتسبها بالتعلُّم والتدريب والتجربة. وأن أغلب السلوكات غير السوية ناتجة عن أفكار ومشاعر خاطئة تجاه

الذات والآخر وأن التدخل المبكر لتعليم الأولاد المهارات اللازمة كي يصححوا مشاعرهم وردات فعلهم أتى بثمار مهمة على سلوكاتهم في مرحلة المراهقة.

فمن لم يُعد مسبقاً ← سوف يخطئ قطعاً ← وسـوف يتعرض للإستنكار وللتهجم على كرامته

↓

وسيؤدي ذلك إلى

مرد / انطواء → تسلوك غير سوي

٣. **خبراتهم السابقة**: أي التي أكتسبوها عبر التحفيز والنمذجة؛ فالقاعدة التي ثبتت بالتجارب أن:

- كل ما نُحفز عليه أو نشاهد من يُحفز عليه نقوم به تلقائياً.
- كل ما لم نُحفز عليه أو نشاهد من يُعاقب عليه لن نقوم به.

وذلـك، بالتأكيد، مع مراعاة أسـس التحفيـز والنمذجة. أما في حال التحفيز والعقاب العشوائي وغياب النمذجة

فقد تأتي النتائج عكسـية (من الضروري مراجعة نظريتي التعلُّم السلوكي التشريطي والتعلُّم الاجتماعي بالتفصيل).

٤.**أسلوب تعامـل الراشديـن معهـم حاليـاً**: أهم ما يصـبو إليه المراهق هو الاعتراف به: بخصوصيته، بتفرده، بإستقلاليته. وأهـم ما يحتاج إليه: الحب والاحتـرام والعون من دون منٍ أو ارتهان. لذا:

- كل من يعترف بكيانه من الراشدين ويشعره بالحب والاحترام سوف يتعاون معه.

- وكل من يهاجم كرامته ولا يعترف بخصوصيته لن يتعاون معه بل سوف يسـعى جاهداً للتمايز عنه وقد يسعى، في الطريق، للإنتقام منه.

إن المراهق ضعيف، ولكنه يرفض الاعتراف بضعفه. وإن المراهق بحاجـة للعون، ولكنه يرفضـ أن يطلبه. ولقد ذكرنا في المقدمة أن لا تعبير، يلخص الأسلوب الأفضل للتعامل مع المراهقين، أفضل من لفظة الاستوزار.

إلاَّ أن الكثير من الراشدين لا يحسنون استوزار الكبار من إخوانهم فكيف سيحسنون ذلك مع أولادهم.

إن الكثير من الناشئة يُحرمون من الاستفادة من تجارب وخبرات الراشدين بسبب عجز هؤلاء من معاملتهم كوزراء حقاً.

٥. **صورة البطل**: يقسـم علـم نفس النمو مرحلـة المراهقة إلى ثلاث مراحل فرعية.

المراهقة المبكرة (١١-١٥)، المراهقة المتوسـطة (١٥-١٨)، المراهقة المتأخرة (١٨وما فوق).

وتتصـف المرحلـة الأولـى (١٢-١٥) برغبة المراهـق في إثارة الدهشة والإعجاب.

أما المرحلة الثانية (١٥-١٨) فتتصف بحب البروز والرغبة في توكيد الذات.

لـذا فهـو في هاتيـن المرحلتيـن، شـديد التأثر بصـورة البطل والمشاهير ويسعى جاهداً للتماهي فيهم.

ويلعب الإعلام وأحاديث الناس، خاصـة المرموقين منهم وذوي السـلطة والشـهرة، دوراً كبيراً في رسـم صـورة البطـل هذه وليس المراهق من يصنعها.

وبحسب صورة البطل المعتمدة في المجتمع:هل هو الوسيم ؟ هل هو الأكثر مالاً أو علماً أو إنسانية.....الخلوق ؟

الخـدوم ؟ المقـاوم ؟.........سـيكون سـلوك المراهق: طريقة لبسه، تسريحة شعره، طريقة كلامه.....

٦. **شلـة الرفـاق**: من أهـم حاجات عمر المراهقـة: الانتماء إلى الجماعـة وأول جماعـة يحرص المراهق على الانتمـاء إليها ويتمسك بها هي شلة الرفاق:رفاق المدرسة، الحي، النادي.... لايهم، المهم الشلة التي تشعره بوجوه وكيانه المستقل.

لـذا، فإن لشـلة الرفاق تأثيـراً كبيراً على المراهـق. ومن الخطأ مهاجمتهم أمامه، لأنه سـوف يزداد، بلا شـك، تمسـكاً وتعلقاً بهم. والأفضـل حينئـذ، رعايتهـم والاهتمام بهـم جميعاً، ريثما يكتشـف المراهق بنفسـه خطأهم. والأفضل منه مساعدة أولادنا على اختيار الأصدقاء الصالحين في العمر الأسبق.

إلاَّ أن المشكلة الأدهى، عندما تكون شلة الرفاق هذه على الانترنت ومن كل البلاد والثقافات.

وفي كل حال، علينا أن ندرك أن تأثير شـلة الرفاق على المراهق يزداد كلما:

-لم يكن لديه قيم ومبادئ ثابتة مسبقاً.

-كانت علاقته مع الراشدين متوترة.

-كانت القوانين المفروضة عليه، (في المنزل، في المدرسة...) في نظره، ظالمة.

-كان تقديره لذاته منخفضاً.

-كانت مهاراته الاجتماعية متدنية.

III- خلاصة:

لا يسـتطيع أحد أن ينكر أن توجيه الناشئة وتربيتهم، أصبح، في عصرنا الحاضر، من أهم المعضلات التي تواجه

الآباء والأمهات بل وجميع المهتمين بالشأن التربوي.

إلاَّ أن السـبب الرئيسـي في سـلوكات مراهقينا غير السوية، في نظري، ليست فقط العولمة والإعلام الفاسد

وتكنولوجيا الاتصالات... بل، وقبل كل شيء، في الخلل في آدائنا

التربوي (في المنزل أو المدرسة....) في المرحلة

العمرية التي يمرون بها حالياً وفيما سبقها.

إذ أننا فيما قبل المراهقة:- لم نجذر في نفوسـهم الإيمان باللّه الواحد الأحد.

- لم نبن عندهم الثقة والإبداع والاجتهاد.

- لم نعلمهم طرق التفكير المنطقي.

- لم ندربهم على المهارات الحياتية.

- لم نحفزهم بالشكل الذي يثبت السلوك الحسن لديهم.

- وقبل كل شيء لم نقدم لهم نماذج كافية من الأسوة.

وفي عمر المراهقة:

-لم نحترم عقولهم ونخاطبهم بأسلوب علمي ومقنع.

-لم نلزمهم أنفسنا ولم نتفهم حاجاتهم النفسية والجسدية.

-لم نقدم لهم حلولاً شرعية وأخلاقية لتلك الحاجات.

-لم نوفر لهم فرصاً كافية للإسهام بفعالية في تحمل المسؤوليات الاجتماعية.

-لم نوظف طغيان مشاعر الانسانية فيهم وننميها.

ودليلنا في ذلك أمران:

-أن من توفر لهم ذلك قدموا، بالرغم من وجودهم في هذا العصر، أروع النماذج المسؤولة، والمقاومة.

-أن اللّه عز وجل أكد في كتابه الكريم أنه «**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**» وذلك بالرغم ممّا أنبأ به تعالى من فساد في آخر الزمان.

انطلاقاً مما تقدم نقترح على المعنيين بهذا المؤتمر الكريم التوصيات التالية:

١. المبادرة السريعة إلى إنشاء مركز للأبحاث التربوية على أساس إسلامي، يأخذ على عاتقه:

-صياغة نظرية تربوية إسلامية متكاملة انطلاقاً من القرآن والسنة.

-الاطلاع على النظريات العلمية في مجال علم نفس النمو والتعلُّم ومحاكمتها وتحديد كيفية الإستفادة منها

لتحسين الأداء التربوي.

-**مد المؤسسات:** الاعلامية والتعلمية والثقافية بالأسس العلمية التي يجب أن ترتكز عليها في عملها التربوي.

٢. تكثيف البرامج الاعلامية المساهمة في التأثير على مسلكيات الأولاد والناشـئة عبر المحاكاة والنمذجة الأمر الذي يقتضي التركيز على الدراما وعلى برامج تسلط الأضواء على مشاهير في عوالم إنسانية متنوعة كالمصلحين والمخترعين وأصحاب الفن الملتزم والأيادي البيضـاء والمؤثرين على أنفسـهم ولو كان بهم خصاصة إلى جانب المقاومين والمجاهدين.

-وحيث أن للنمذجة قواعد وأصـول فلا بد أن يكون لكل مؤسسـة إعلامية لجنة تضـم مختصـين في علم نفس النمو والتربية والاجتمـاع والإعـلام يتعاونون معاً لدراسـة العمـل الفني من كل أبعاده، ومنه اسـتخدام الخطاب والأساليب المتناسبة مع العصر من دون التخلي عن القيَّم والأصالة.

٣. اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحماية مؤسسـة الأسـرة وتحسـين الأداء التربوي للآباء والأمهات فيها. ويقتضي ذلك:

- تعريف الشـباب والشابات على قدسية مؤسسة الزواج وخطورة دورها فـي المجتمـع والاحتراز مـن التعقيـدات الاجتماعية والمخـارج الفقهية التي تعقـد أمور الزواج أو تزهد الشـباب والشابات فيه.

-بلورة الأحكام الفقهية واستحداث المؤسسات التي تكفل تماسك الأسرة ورأب أي صدع يحدث فيها.

-سن القوانين التي تحمي دور الأمومة وتكرسه.

-الاعداد المسبق للشباب والشاباتلدور الزوجية والأبوة والأمومة.

٤.إدخال تعديلات وجذرية على عمل المدارس الإسلامية بالشكل الذي يتناسب مع أهمية الدور التربوي التي تطلع به وبالشكل الذي يؤهلها لإعداد أجيال مؤمنة مجاهدة خلوقة ومتعلمة في آن، وهو ما يحتاج إلى إعادة النظر في:

-المناهج والبرامج.- الأنظمة والقوانين.

-مواصفات المعلمين والإداريين وخبراتهم التربوية.- الثواب والعقاب وأساليب الضبط التربوي.

-معايير النجاح والرسوب.- تنمية المواهب والإبداع.

-أطر التعاون والتنسيق مع أولياء الأمور.- الإعداد للحياة الأسرية والاجتماعية.

٥.تأمين المراكز التي تساعد الأهل على توفير النجاح للمتعثرين دراسياً أو توجيههم مهنياً بالشكل الذي يحول دون تسربهم إلى الشارع أو العمالة المبكرة.

٦.تأمين فرص إشغال للناشئة تحت إشراف عناصر تربوية من أجل ملء أوقات الفراغ وتقطيع المرحلتن الأولى والثانية

من عمر المراهقة بسلام كالنوادي الرياضية والكشفية والمؤسسات المعنية بالخدمات الاجتماعية.

٧.ممارسة الرقابة الاجتماعية على كل ما من شأنه تسعير الغرائز وتفريغ القيم من محتواها وكسر حاجز العفة والحياء (واجهات المحلات، اللوحات الإعلانية، القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت الفاسدة، مقاهي الانترنت الفاسدة، ارتداء حجاب الموضة.........) وتفعيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطها وشرائطها.

واقع الناشئة في المجتمع

د. طلال عتريسي[(١)]

ربما لا يخلو كتاب من كتب علم النفس أو علم الاجتماع أو علم النفس التربوي من فصل يتحدث فيه عن أوصاف الناشئة أو عن المراهقين في مراحل نموهم المختلفة. ولا حتى عن العلاقة بين الناشئة أو الشباب أو المراهقين وبين المجتمع عموماً. ومثل هذا النوع من الدراسات متوفر بكثرة في الكتب والمكتبات. ومن السهل أن نعثر عليه بالعربية أو بالأجنبية...

وبما أنه ليس من المطلوب ان نكرر ما جاء في تلك الكتب والفصول... أعتقد أن علينا في مثل هذا اللقاء أن نحاول الاقتراب على مستوى المعالجة أو طرح الأسئلة من واقع الناشئة التي تعنينا في المجتمع الذي نعيش فيه.

وفي اطار هذه المحاولة يمكن القول:

ـ أن المقصود بالعلاقة التي نتحدث عنها هنا هي العلاقة مع المجتمع اللبناني.

---

(١) أستاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية

- وأن المجتمع اللبناني لا يعمل وفق نسق واحد من القيم التي يتوجه بها إلى الناشئة.

وهذا المجتمع ليس لديه التوقعات نفسها من الناشئة. لا بل يمكن القول أن هذه التوقعات قد تكون متعارضة الأسس والأهداف. ما يؤثر بطرق مختلفة على الناشئة في هذا المجتمع.

- إن هناك فارق بين الناشئة الذكور والناشئة الإناث في علاقة المجتمع بهم وفي توقعاتهم هم من المجتمع. وهذا يعني أن علينا أن نحدد عن أي ناشئة نتحدث. وأن نبين الفروقات في علاقة المجتمع اللبناني ببيئاته المختلفة مع الإناث ومع الذكور.

- لا يكفي تعميم القول أن المجتمع الذي نقصده في بحثنا هذا - أو في مؤتمرنا هذا - هو المجتمع اللبناني عموماً. بل ما نقصد فعلياً أو ما ينبغي أن نقصده ونبحث ما يجري فيه هو ما يطلق عليه المجتمع الشيعي أو البيئة الشيعية في داخل المجتمع اللبناني. لأن لهذه البيئة خصوصيات تختلف عن غيرها ولديها ما هو مشترك مع البيئات اللبنانية الأخرى من جهة ثانية. وهذا يفترض أن نبحث عن طبيعة العلاقة بين الناشئة الشيعة وبين بيئتهم الشيعية وتوقعاتهم من هذه البيئة من جهة، وفي الوقت نفسه علاقة الناشئة الشيعة مع البيئات

اللبنانيــة الأخرى ومــدى التأثير المتبادل سـلباً أو ايجاباً بين هذه البيئات المختلفة والمتجاورة من جهة أخرى. لأن دراسة هذه العلاقة المتداخلة قد تبين لنا طبيعة مصادر التأثير على الناشئة الشيعة.

- هــذا التوصـيف لأطراف العلاقــة يفرض علينا أيضــاً أن نبحث في طبيعــة كل طرف وفي التحــولات المختلفة التــي يمر بها. (أي التحولات في بيئة الناشـئة اللبنانيين عموماً، وفي البيئة اللبنانية الأوسع، وفي البيئة الشيعية الخاصة. لأن الحديث عن تحولات يمر بها المراهق أو الفتى عموماً لا تنفصل عن البيئة التي تحصل فيها وعن ردود فعل المجتمع تجاه هذه التحولات. فقد تكون بالنسـبة إلى بعض البيئات عادية وطبيعية في حين تتعامل معها بيئات أخرى باعتبارها مشكلة أو مصيبة... وهذا ينعكس بطبيعة الحال على علاقة الناشـئة مع أنفسـهم ومع المجتمع...).

- من المفترض أن تسـاعدنا معرفة التأثيرات السـابقة ليس على فهم الواقع فقط، بل وعلى وضع السياسات أو البرامج الملائمة لتطوير هذه العلاقة أو لتصويبها.

- إن فهم طبيعة العلاقة بين الناشئة الشيعة من جهة وبين بيئتهم الشـيعية والبيئـات اللبنانيـة الأخـرى (المجتمـع اللبنانـي)

وادراك ما يجري بينهم من تفاهم أو تعارض أو تأثير متبادل... إلا على ضوء الدراسات الميدانية التي يفترض أن نقوم بها. والتي تسمح لنا بمعرفة مباشرة لما يريد الناشئة من مجتمعهم وماذا يريد هذا الأخير منهم. ومن دون هذا النوع من الدراسات الميدانية تبقى مثل هذه الورقة محاولة أو اجتهاد للاقتراب من طبيعة العلاقة بين الطرفين. فعلى سبيل المثال تبين لنا من خلال دراسات أولية تابعناها في هذا المجال، إن مشكلة علاقة الناشئة (الفتيان والفتيات) مع مجتمعهم تعود في حالات كثيرة إلى رفضهم الضوابط الشرعية المتعارف عليها مثل (الاختلاط، التزين، الاستماع إلى الأغاني المختلفة، الغياب عن المنزل...) وإلى رفض السلطة الأبوية وإلى الهروب من المشاكل العائلية ومن الصعوبات الاقتصادية، وإلى المعاناة من عدم تفهم حاجاتهن (الفتيات خاصة)، ومن فقدان المرشد والموجه... ما يعني أن هذه الحاجات أو المشاكل هي التي ستفرض الأولويات المناسبة في التعامل مع هؤلاء الناشئة سواء لجهة البرامج أو الأساليب المناسبة. وربما يتجه الحل أو العلاج في حالات كثيرة إلى ما يجري في المدرسة أو إلى ما ينبغي أن يفعله المرشد التربوي أو الاجتماعي أو إلى ما معالجة مشاكل الأسرة المادية أو الأخلاقية وسواها... لأن مشكلة الناشئة هي أصلاً مشكلة

المجتمع الذي يعيشون فيه ومشكلة البيئة التي ينتمون إليها. وليست مشكلة التحولات نفسها التي يمر بها الناشئة.

- الناشئة ليسوا كتلة واحدة متجانسة. بل ينتمون إلى بيئات مختلفة ومتفاوتة اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً ودينياً وجغرافياً. وعلى الرغم من وحدة الانتماء الديني "الشعي" للناشئة موضع الاهتمام فإن هذا لا يعني التفاوت الذي أشرنا إليه. وهذا يعني أن العلاقة المفترضة يجب أن تلحظ هذه المستويات المختلفة وهي تتوجه إلى الناشئة. وأن المشاكل المتوقعة وأولوياتها لا بد وأن تختلف بين مستوى وآخر. فهل يمكن القول على سبيل المثال أن مشاكل الناشئة الشيعة في البقاع أو الجنوب هي نفسها مشاكل الناشئة في الضاحية الجنوبية أو في بيروت؟ وما هي القواسم المشتركة في هذه المشاكل وما هي الأولويات المختلفة. وبالتالي ما هي البرامج المناسبة لكل من هؤلاء الناشئة بحسب المناطق التي يعيشون فيها؟

مع الأخذ بالاعتبار الملاحظات السابقة سنحاول أن نقدم تصوراً متواضعاً حول علاقة الناشئة الشيعة بمجتمعهم، وحول التطورات المحتملة لهذه العلاقة والاقتراحات الممكنة لتكون هذه العلاقة أفضل مما هي عليه بالنسبة إلى الطرفين.

لقد حصلت تغيرات كثيرة اجتماعية وسياسية وثقافية وتربوية

أثرت على الناشئة في البيئة الشيعية. ومن نتائج هذه التغيرات على سبيل المثال الشكوى التي نسمعها اليوم في المؤسسات التربوية والتعليمية (المدرسة والأسرة) من الناشئة الذين لا يقيمون وزناً أو اعتباراً لمن هم أكبر سناً من الأهل أو من المعلمين. ويرتبط بهذه الظاهرة ذات الأصل التربوي ظواهر أخرى مثل رغبة الناشئة في البقاء طويلاً خارج البيت. وتمضية الوقت مع الأقران والرفاق في المقاهي التي زاد انتشارها بشكل لافت في السنوات القليلة الماضية في مناطق الضاحية الجنوبية حيث الكثافة الشيعية الأشد. ومن الملاحظ ان هذه الظاهرة لم تعد تقتصر على الذكور من الناشئة بل تجاوزتها إلى الاناث، وهذه الظاهرة الجديدة تحتاج إلى دراسة خاصة مستقلة، لأنها لم تكن معروفة على الاطلاق، ولم يكن المجتمع ليسمح بها بأي شكل من الأشكال...

وإذا انتقلنا خطوة إضافية في التمييز بين المستويات الثقافية والاجتماعية سنشهد في بعض البيئات الشيعية على سبيل المثال مشكلة أكثر خطورة من التمرد على الأهل أو من عدم الالتزام بالحجاب الشرعي مثل الادمان وتعاطي المخدرات والتسرب الدراسي والسرقة والانحراف... وهذا يحتاج إلى خطة عمل تلحظ التدخل الاجتماعي والاقتصادي والمدرسي. وربما تكون الأولوية في هذه الحالة هي حل مشكلة التسرب (في المدرسة الرسمية

والمدرسة الخاصة) التي تدفع بالأولاد إلى الشارع حيث يسهل الادمان والسرقة... في حين قد نشهد في بيئات أخرى أكثر ثقافة أو تعلماً مشكلة من نوع آخر وتفرض علينا أولوية أخرى في المعالجة مثل قضاء ساعات طويلة على الانترنت. والمشكلة هنا معقدة. لأن جيل الناشئة هو غالباً أكثر معرفة باستخدام الانترنت من والديه. وبما أن المعرفة هي سلطة، فإن بإمكان مستخدم الانترنت أن يتفلت من سلطة الوالدين إذا أرادوا التدخل لمنعه بحجة أن ما يقوم به يحتاج إليه في دراسته. هنا تضعف سلطة الأهل. وهذا الضعف قد يمتد إلى سلوكيات أخرى يقوم بها الأبناء تتجاوز استخدام الانترنت. (وهذا أيضاً يحتاج إلى دراسة خاصة). وفي المقابل يمكن أن نلاحظ أيضاً بروز عدد لافت من الناجحين والمتفوقين (والمتفوقات) في الشهادات المتوسطة من بين الناشئة الشيعة في المناطق اللبنانية المختلفة. وهذا يعني أن التفكير في البحث عن الحلول لمشاكل الناشئة التي يريدها المجتمع ومؤسساته المعنية لا بد أن يلحظ هذا التفاوت وتلك الفروقات بين بيئة وأخرى.

- من الملاحظ أيضاً أن الناشئة الشيعة يمتلكون حيوية سياسية ويشاركون في المناسبات التعبوية. ولكنهم في الوقت نفسه باتوا أقل التزاماً دينياً. نعرف ذلك من شكاوى المربين والمعلمين في المدارس المختلفة (بما فيها المدارس

الإسلامية والمدارس الرسمية في الضاحية الجنوبية). وهذه الشكاوى تدور حول تراجع الالتزام الديني على مستوى الزي والسلوك والثقافة الدينية حتى لدى أولاد الأسر المتدينة والفتيات بشكل خاص. (وهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة).

- إن الملاحظة التي أراها مهمة في هذا المجال أيضاً على مستوى علاقة الناشئة بالمجتمع اللبناني أن هذه العلاقة من حيث التأثير هي من طرف واحد. والمقصود أن الناشئة الشيعة يتعرضون لتأثير الناشئة الآخرين (السنة والمسيحيين... بحسب ظروف التواصل معهم في المدارس أو في أماكن الترفيه... بالإضافة إلى وسائل الاعلام المختلفة والانترنت) وهذا التأثير نلحظه بسهولة على مستوى السلوك والأفكار وتمضية الوقت... في حين أن الناشئة الشيعة حتى الملتزمين دينياً هم أقل تأثيراً بغيرهم، بسبب الانغلاق المذهبي الحاد الذي يشهده لبنان منذ بضع سنوات. وخصوصاً أن الناشئة الشيعة عموماً هم أكثر ارتياداً لمناطق مختلطة طائفياً من سواهم. ولا تعني هذه الملاحظة المزيد من الانغلاق بل ربما كان المطلوب المزيد من الوعي الثقافي والديني لتثبيت الالتزام مع تجنب الانغلاق.

- إن المجتمع يصنع غالباً للناشئة التوقعات التي يريدها منهم

سواء مباشرة أو بشكل غير مباشر، من خلال القيم التي يرفع من شأنها ويتبناها ويمجدها. فقد عرفت بعض المجتمعات تمجيد القوة البدنية، وأخرى تمجيد فنون القتال أو الصيد، وقد كانت الفاشية والنازية حركتين شعبيتين قويتين في كل من اسبانيا وألمانيا بسبب قدرتهما التنظيمية الفائقة ومظاهر القوة التي رافقت تلك القدرة.

في مجتمعاتنا المعاصرة اليوم نشهد تمجيداً لقوة المعرفة عبر التكنولوجيا ووسائل الاتصال. وفي الوقت نفسه تمجيداً للملكية. بحيث باتت المعرفة المطلوبة في خدمة الملكية. أي نعرف لنزيد ملكيتنا... هذه القيم يعيشها الناشئة اللبنانيون عموماً والشيعة منهم خصوصاً، ولكن هذا يصطدم في الوقت نفسه بالنسبة إلى الناشئة الشيعة مع تمجيد مختلف، هو تمجيد للقوة الجهادية العسكرية التي تجسدها المقاومة. وهذا التمجيد نلحظه بوضوح في وسائل الاعلام وفي الاحتفالات والمناسبات والأدبيات السياسية والدينية المختلفة. فما هي المشكلة المطروحة هنا؟

المشكلة لا تقتصر فقط على التناقض في التمجيد بين القيم. أي بين تمجيد عام (في المجتمع اللبناني) وتمجيد خاص (في البيئة الشيعية). بل نرى المشكلة الأهم على مستوى آخر. في إعلاء الناشئة (الذكور خاصة) شأن الانتماء إلى قيم المقاومة الاعلامية

والحماسية والاحتفالية والمذهبية... من دون الاهتمام كثيراً إن لم يكن أبداً بالمضمون الحقيقي والعميق (الديني والسلوكي) لهذه القيم. فيكون الانتماء هنا أفقياً وسطحياً يسهل التأثير عليه أو إضعافه. لذا لا بد من رعاية خاصة من فاعلين عدة مؤسسات تربوية وتعليمية واجتماعية ودينية... ليتحول إلى انتماء عامودي شيئاً فشيئاً أي أكثر رسوخاً...

- «أما المسألة الثانية التي لا تقل خطورة فهي في المثال الأعلى الذي تقدمه المقاومة إلى الناشئة. هذا المثال يحمل في آن السلبي والايجابي. أما الايجابي فمعروف ومطلوب. لأن الوعي على نموذج الجهاد والتضحية وقتال العدو يخلق لدى الناشئة والجيل اليافع ارتباطاً مبكراً بالقضية الوطنية أو الدينية. أما السلبي (الأخطر) فهو في رغبة الناشئة في الالتحاق المبكر والهيّن بالمقاومة هرباً من عبء التعلم والدراسة وسلطة الوالدين. أي أن هذا الأمر سيكون غالباً على حساب اهتمام الناشئة التعليمي ومتابعتهم الدراسية. ما يفضي إلى سبب جديد للتسرب الدراسي غير معروف في الأدبيات التقليدية التي تناولت هذا الموضوع... بحيث يؤدي الأمر إذا اتسع وشاع، إلى هوة مقلقة لدى جيل متحفز سياسياً وتعبوياً ومنكمش ثقافياً وتعليمياً. وثمة مؤشرات واضحة لدى من هم أكبر من

الناشئة على واقع هذا التفاوت بين التحفز والانكماش. وإذا كان ثمة مشكلة تقليدية معروفة مع المثقفين الذين لا يمتون بصلة إلى الواقع... فإننا قد نشهد في المستقبل غير البعيد مشكلة جيل جديد لا يمت إلى الثقافة بمستوياتها الدينية أو السياسية بأي قرابة. وإذا أضفنا واقع الساعات الطويلة أمام الانترنت وفي المقاعي وتراجع سلطة الأهل والمربين... ستكون التوقعات من الناشئة بعد ذلك أقل تفاؤلاً. وبالتالي مسؤولية المجتمع ومؤسساته المعنية أكثر جدية وعمقاً.

إن الخبرات التربوية والنفسية والاجتماعية تسمح بتقديم الكثير من الاقتراحات للتعامل مع هذه المرحلة من العمر لتعزيز الجوانب الايجابية وتقليص الجوانب السلبية في علاقة الناشئة مع أنفسهم ومع المجتمع. ومن هذه الاقتراحات ما يمكن العمل به مباشرة ومنها ما يحتاج إلى اعداد مستقبلي.

من ذلك على سبيل المثال:

- اعادة الاعتبار إلى السلطة التربوية. وهذه مسألة في غاية الأهمية والدقة. فمن خلالها يجب أن يعاد الاعتبار إلى التوازن بين حرين الناشئة وبين السلطة التي تراقب وتضبط وتمنع وتشكل مرجعية مفروضة. على أن يكون هذا التوازن لمصلحة السلطة وليس لمصلحة الحرية. وهذا أمر يحتاج إلى نقاش واسع (يمكن العودة إليه والتفصيل فيه...).

- تشجيع ثقة الناشئة بأنفسهم من خلال الأنشطة الرياضية والفنية، وعدم اختزال العلاقة معهم بالأنشطة الدينية فقط التي تقوم بها الهيئات المختلفة في المدرسة أو الحي أو غيرها... حتى لا يتحول درس الدين والأنشطة الدينية إلى النشاط الوحيد الممل الذي ينفر الناشئة ويضيع الهدف...

- التعرف إلى ما يشكو منه الناشئة (من خلال الدراسات الميدانية المناسبة) حتى لا نفترض أن كل ما ورد في الكتب حول هذه المرحلة هو نفسه ما يتعرض له الناشئة موضع اهتمامنا في المجتمع اللبناني وفي البيئة الشيعية. وبعد تلك الدراسات إذا حصلت يمكن فتح آفاق النقاش الصريح والصادق مع الناشئة (الذكور والاناث) حول ما يعتبرونه هموماً تثقل عليهم العيش والدراسة. مثل قضايا الحب والعلاقة مع الجنس الآخر ومع الوالدين والموسيقى والالتزام وغير ذلك...

- ابتكار الأساليب المناسبة للتوجيه الديني والأخلاقي. والابتعاد عن الوعظ التقليدي الذي لم يعد مجدياً في كثير من الحالات. وايجاد البدائل المناسبة والمقنعة لتمضية اوقات الفراغ. وباعتقادنا هذه مسألة في غاية الأهمية (وتحتاج إلى دراسة خاصة) لأن معظم المشاكل واحتمالات الانحراف مصدرها الطريقة التي يمضي بها الناشئة أوقات الفراغ. (الانترنت،

المقاهي...) لأن هذه الأوقات هي مصدر التأثير القوي على ما يفكرون فيه وعلى ما يقومون به...

- في ختام هذه الورقة قد يكون كل ما تقدم مجرد تقديرات ذات خلفية اجتماعية لواقع الناشئة الشيعة في المجتمع اللبناني، قد نختلف في مدى صوابيتها أو في مدى دقة تفسيرها لهذا الواقع. لذا إن التوصية الوحيدة التي يمكن التقدم بها تلافياً لمثل هذه التقديرات وتفادياً في الوقت نفسه لبذل الجهد في تعميم مواصفات لا علاقة لها بالمجتمع اللبناني أو بالناشئة الشيعة... هذه التوصية هي الدراسات الميدانية التي تتيح لنا معرفة مباشرة وحقيقية بواقع الناشئة. وبعد تلك الدراسات يمكن أن نحدد أولوية المشكلات وأن نضع بالتالي البرامج والخطط وأن نفكر بالأساليب المناسبة للتعامل مع تلك الأولويات. ومن المفترض ألا نتهاون في هذه القضية لأن الناشئة هم بعد سنوات قليلة فقط جيل الشباب والثروة الاستراتيجية التي يسعى الجميع بأساليب عدة إلى احتوائها والسيطرة عليها.

المحور الثاني

قراءة في مضمون الخطاب الإسلامي الموجه للناشئة

١. كلمة رئيس الجلسة

الوزير طراد حمادة

٢. قراءة في أصول الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة ومكوناته

الدكتور محمد رضا فضل الله

٣. قراءة في واقع مضمون الخطاب الإسلامي الموجه للناشئة (عرض وتقييم للتجربة)

الأستاذة زينب شريم

٤. قراءة واقع مضمون الخطاب الإسلامي، تجربة الكشاف مع الخطاب الموجه للناشئة

الأستاذ غالب العلي

كلمة رئيس الجلسة

الوزير الدكتور طراد حمادة

نبدأ الجلسة التالية في هذا المؤتمر الموفق بحمد اللّه حول الخطاب الثقافي الإسلامي الموجّه للناشئة.

وفي هذه الجلسة سيتكلّم كلّ من الدكتور السيد محمد رضا فضل اللّه في «**أصول الخطاب الثقافي الإسلامي الموجّه للناشئة ومكوّناته**». ثمّ الأستاذة زينب شريم أيضاً قراءة في «**واقع مضمون الخطاب الإسلامي الموجّه للناشئة**». والأستاذ غالب العلي في قراءة أيضاً «**واقع مضمون الخطاب الإسلامي لتجربة الكشاف مع القطاع الموجّه للناشئة**».

هذه الحصّة في الحديث سأتناول فيها مجموعة ملاحظات تتعلق بالمنهج حول الخطاب الثقافي. لماذا أختار عنوان الفلسفة؟ لأنّه بالنسبة للمعرفة العقلية المتحصّلة، الخطاب الفلسفي هو أوج الخطاب فيما يحصّله العقل. الفلسفة تناولت التربية بما فيها تربية الناشئة ونظرت دائماً إلى اعتبارها جزءاً من الفلسفة، وإن ارتبطت في الفلسفة الإسلامية بالحكمة العمليّة وفي الفلسفة الغربية

بالأخلاق. واعتُبرت هذه التربية سواءً كانت كحكمة عملية أو بمفهوم الأخلاق كما هو عند «**كانت**» مثلاً، أنّها أيضاً من الطريق الذي يوصل إلى معرفة النفس ثمّ معرفة الله سبحانه وتعالى.

وطرحت الفلسفة إشكاليات أساسية العقل الإنساني حول نبض الخطاب الفلسفي وحول حق من يملك سلطة الخطاب، ومن أين تأتي هذه السلطة سواء أكانت سلطة العالِم على المتعلّم، أو الوالد على أولاده، أو الدولة على رعاياها، أو المدرسة على الطلاب.

ما تجمّع من أسئلة حول فلسفة التربية، يجوز طرحها على القرآن الكريم. بطبيعة الحال، عندنا فلسفة إلهيّة، والحقائق كلّها متحصّلة في القرآن، وهذه الحقائق تشمل كلّ الحقيقة، وبالتالي ما يحصّله العقل المتكوّن من مجموع الأسئلة المتعلّقة بالتربية والخطاب الموجّه إلى الناشئة نقدّمه ونطرحه على القرآن، فيصبح الخطاب الذي يلزمنا الآن هو الخطاب المتحصّل من طرح أسئلة العقل الإنساني في هذا الزمن وفي هذا الإجتماع الإنساني، وفي هذه البيئة سواء أكانت لبنان أو العالم العربي أو العالم الإسلامي، في هذه المرحلة المعرفية أو البيستيمولوجية المعينة في الزمن البيستيمولوجي الذي نعيشه، في العصر الذي نعيشه، تتحصّل مجموعة من المعارف ومجموعة من المعارف الكبرى نطلقها على القرآن الكريم، نطرحها، نستنطق القرآن مثل مقولة الشهيد الصدر أو غيره قدس سره. نستنطق

القـرآن الكريم ونسـتخرج منه الخطاب الإسـلامي الـذي يجب أن نوجّهه للناشـئة، وهذا الخطاب متحرّك بحكم تحرّك العقل، ومبدع بحكم إبداع العقل وبتحرّك الزمان والمكان.

تأوّج الخطاب عندنا للناشئة لا يتحصّل إلا بزمن ظهور الإمام ﷻ، لأنّه في لحظة الظهور يكتمل المعنى القرآني ويستبين المعنى القرآني. ولكن نحن بقدر ما يكون العقل محصّلاً تحصيلاً حقيقياً وبقدر ما يكون هذا العقل مشغول وعنده حريّة، وعنده إبداع، وعنده حوافز، وعنده طرق وأسـاليب، ويجمع كلّ الخبرات وكلّ الأشـكال المتوفرة في عصره وفي زمانـه، بقدر ما يكون في هـذا الزمن وفي هذا الوقت بالذات قد اقترب بشكل أو بآخر وعلى قدر الوسع الإنساني من الخطاب الذي لا يكتمل إلاّ بظهور الإمام ﷻ، واستنباط أو استخراج كلّ المعارف القرآنية في زمن الظهور. لتتوفر هذه المسألة وهذه الطاقة يلزم بر أيي إشغال العقل وحريّة الإبداع.

سـأقرأ لكم نصـين، النّص الأول هو «**للملا صدرا**» وهو يقسّـم الناس والقرآن والفلاسـفة والأعوام، وفي رسـالته معنوَنة الأصـول الثلاثـة الذي كانت في الأخلاق، يقول بنص شـعري: «**منـذ أن وُلِد ليـل العدم يوم الوجود، لا يذكر شمسـاً كهذه الشمس. أيها الغارق ناحـلاً، ذليـلاً، خجـلاً فـي جحيـم الجسـم، وجهنـم القلـب تعالى بالبعض الجسد إلى منبر الروح، تعالى للمجاهدة بحدائق القرآن**

وتعلّق بالرّداء المحمّدي». ويكتب أيضاً: «**قلت مرّات وأقول مرّة أخرى بأني بلا قلب لا أطوي الطريق بنفسي (أي أنّه يحتاج إلى من يساعده حتى يصل. حاجة الطالب إلى الأستاذ، والمُريد إلى الشيخ، والولد إلى أبيه،...)**، «**لكن جعلوني وراء المرآت كمثل الببغاء، وقالوا قل ما قاله أستاذ الأزل، قلت: قل هذه سبيلي أدعوا إلى اللّه على بصيرة أنا ومن اتبعني**».

إذاً هذا حريّة الإنسان بأن يبدع حتى في فهم القرآن، وحتى أن يتجاوز لأن الشيء لا يوصلك.

وسأختم قولي لشعر لطيف لادونيس وهو التالي: «**ضوء يجيء من تعب الظلّ، ظلٌّ يجيء من تعب الضوء. ويقول ايضاً: نعم تحرس السياسة وتسهر، ولكن ماذا تحرس؟ وعلى ماذا تسهر؟ أهنالك شيء آخر غير الخطوات والكلمات؟ وما أبرع الشوارع في الإقتفاع، وما أبرع الجدران في التنصت...**

قـراءة في أصـول الخطـاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة

د. محمد رضا فضل الله[1]

في الإطار المدرسي يُقال للمعلّم:

«اعرف تلميذك، تضع قدمك على الطريق»

أي إذا أردت النّجـاح فـي مهنــة التعليم فعليك معرفــة من تعلّم، معرفة كافية شاملة تتضمّن:

- ثقافة نفسيّة لشخصيّة التلميذ بخصائصها العمريّة، وما يتّصل بالأنمـاط التربويّة التي خضـع لها، والأوضـاع الاقتصـاديّى والاجتماعيّة التي عاشها.

- معرفة بالمستوى العلمي الذي يكشف عن واقع معارفه، ومستوى خبراته، وما يتّصـل بـه من قيَم واسـتعدادات وقدرات وميول ومهارات.

- الإلمـام بالمحيط الذي يشـير إلـى مجمل المؤثـرات الطبيعيّة والتربوية والاجتماعيّة، والروحيّة والسياسيّة والاقتصاديّة...

(١) مدير دائرة الإشراف التربوي في مدارس المصطفى.

كل هذه الخصـائص وتلك المعارف يسـتطيع الباحث أن يحصل عليها من خلال التواصل مع أجواء التلميذ الأسريّة والمدرسيّة، ومن الدراسات والأبحاث التي تعالج تعقيدات مراحل النمو ومشاكلها.

وإذا انطلقنا من الإطـار التعليمي الخاص إلى الإطار الاجتماعي العـام، نلتقـي بهـذا التوجّه الـذي يحقّق سـلامة التواصـل ومرونة القدرة على التكيّف مع النماذج الإنسانيّة المتنوعة، فمن خلال فهم الخصائص العمريّة، ووعي الحاجات المتّصلة بها، ودراسة الظروف الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة المحيطة والمتأثّرة بها... ينبغي على الآخر أن ينطلق في سياسته معها بـ:

- أن يتعامل معها بالمستوى الذي ينسجم مع هذه الخصائص.
- أن يفهم الواقع النفسي الذي يعيشه، فيتعرّف إلى ما يحب ويألف ويرغب.
- أن يكتشف طبيعة المفتاح الذي به يدخل إلى عقله ووجدانه.

كل هـذه تحـدّد لنا طبيعـة اللغة التـي نخاطب بها الآخـر، والتي نستطيع من خلالها أن نتفاهم ونتحاور ونتفاعل.

وهنا، ومـن أجل تحديد مفـردات الخطاب الملائم للنّاشـئة، لا بـدّ وأن نحـدّد المرحلة العمريّة التي نرغب فـي تناولها، ونتطلّع إلى قدرتنـا علـى الدخول إلى عالمـه الفكـري والشـعوري، والتأثير في قناعاته ومواقفه.

إن المرحلــة العمريّة التي نرغب في التواصــل الحواري معها هي التــي تبدأ مع.... المراهقة (١٢ ســنة مرحلة التحفّز) وتســتمرّ إلى حدود الثامنة عشــرة وقد تتجاوز ذلك إلى العشــرين بحسب طبيعة العوامــل الوراثيّــة والبيئيّــة، يقابــل ذلك وجــود الولد فــي المراحل المدرسيّة التالية: (الحلقة الثالثة، والمرحلة الثانويّة).

هذه المرحلة تتّســم بتغيّــرات بيولوجيّة غيــر متوقّعة، قد تفاجئ الولــد (هبة في الطــول والوزن، ظهــور معالم الرجولــة عند الفتى، والأنوثــة عنــد الفتاة...)، فتوحي له بعالم إنســاني آخــر له حاجاته وخصائصــه ومشــاكله، ممّا يفرض عليه أن يعيد النظر بكلّ ما كان عليه، لينطلق إلى ما يجب أن يكون عليه.

إنها بداية مرحلة النّضج الذهني الذي يبلغ به الرشد العقلي حيث يتمّ فيه الانتقال من التشــبّت بالعالم المحسوس إلى العالم المجرّد، عالــم انطلاق الفكــر من إطار الماديــات إلى إطار القيّــم والمعاني والمفاهيم والأفكار.

وهنا لا بدّ لنا من أن نؤكّد ان طبيعة التعامل مع تعقيدات هذه المرحلة تتطلّب وعياً لحاجاتها، التي إذا ما استُجيب لها بحكمة ومرونة، نكون قد وفّرنا عليه كثيراً من الأزمات والتوتّرات والمشكلات التي تربك واقعه وتشوّه مستقبله، ولعلّ من أبرز هذه الحاجات:

.الحاجة إلى التقدير والمكانة: فالطفل يشعر بأنّه أصبح كبيراً، وعلى المحيطين به أن يأخذوا هذا الجديد بعين الاعتبار، لذا فهو يرفض كلّ تعامل طفولي كان الأهل قد اعتادوا عليه، سواء في المفردات الكلاميّة التي يُخاطب بها، أو بالحركات والإشارات والمواقف التي تناسب عالم الصّغار.

.الحاجة إلى التحرّر والاستقلال: المراهق من خلال شعوره بمكانته ينشد الحريّة والاستقلال، فيرفض مختلف القيود التي تحول دون اختياره، فهو يتشبّت بآرائه ومواقفه، ويشعر بأنّه بلغ مرحلة النّضج التي تجعله أهلاً لتحمّل مسؤوليّة قراراته، فأية وصاية عليه يرفضها، ويعتبرها تدخلاً في شؤونه الخاصّة. وبالأخصّ تلك التي تتعلّق بآفاقه المستقبليّة في التعلّم والعمل أو في اختيار الأصدقاء. أو في التدخّل في قناعاته الفكريّة والسياسيّة وغيرها، إنّه يكره أن تُفرض عليه الآراء، وينفر من كل تعامل يقيّد حركته من خلال خياراته.

.الحاجة إلى الانتماء: وحتّى تكتمل شخصيّته يشعر المراهق بالحاجة إلى أن يكون عضواً في جماعة تعيش آماله وطموحاته، يبثّها أسراره، وتفكّر وتهتمّ بما يفكّر به ويهتمّ.

ومن أجل أن يؤكّد مكانته وموقعه في المجتمع يطمح إلى أن يكون له رؤية في الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة، فيسعى للانتماء إلى جماعة تشاركه العقيدة والتطلّعات والمواقف،

فينخرط في أحزاب أو منظّمات يجد فيها نفسه ويحقّق ذاته.

ومع المراهقة تتفتّح قدرات المراهق العقليّة، وتتنوّع خبراته، وينتقل بتفكيره من التعلّق بالمحسوس إلى المجرّد حيث عالم التصوّرات الذهنيّة والمبادئ والنظريّات، فينطلق ليبحث عن عقيدة تقنع عقله، وترضي وجدانه، فيبدأ فترة صراع يتأرجح فيها بين الشّكّ واليقين، وينطلق في البحث عن تفسير وتعليل لكلّ ما يعرَض عليه من أفكار، وهذا يفرض أن نتسلّح بالمنطق أثناء حوارنا معه، لنحدث لديه لوناً من الاستقرار العقيدي والنّفسي.

مبادئ عامّة تحكم الخطاب الإسلامي

وحتّى يكون الخطاب فاعلاً ومقنعاً لا بدّ وأن تحكم شخصيّة المحاور بعض الخصائص التي تبعث على الثّقة وتدعو إلى الاحترام، منها:

١ ـ أن يمتلك ثقافة كافية يستطيع من خلالها أن يعرض ويشرح ويفسّر ويحلّل ويعلّل ويقيّم، ويقدّم الدليل الذي يقنع بالحوار الذي يعتمد الحجّة والبرهان وهذا هو ما نستوحيه من الآية الكريمة: ﴿**هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٦٦).

والثقافة الدينيّة في حدّها الأدنى تشمل:

- علوم القرآن والسنّة، العقائد، الأخلاق، الفقه، السيرة، المفاهيم...

- **المفاهيم الحديثة وموقف الإسلام منها:** النظريّات الماديّة، والرؤى الاقتصاديّة، حقوق الإنسان، المواطنة، العولمة، حقوق المرأة، الديمقراطيّة، البيئة، أنظمة الحكم...

٢ ـ **أن يجسّد التعاليم التي يدعو إليها:** وحتّى يكتسب المسلم المحاور ثقة واحترام الآخر، عليه أن يكون صادقاً في قوله وفعله، أميناً على ثقافته وقناعاته، ليحوّلها إلى سلوك متوازن يمثّل الأسوة الحسنة، وفي هذا الإطار يحذّر القرآن الكريم من التلوّن في المواقف، بحيث يظهر الإنسان في صورتين مختلفتين بين حين وآخر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف، الآيتان: ٢ ـ ٣) فمن يكون القدوة في تجسيد قناعاته بأفعاله، يكن فاعلاً في تأثيره، ومغيّراً في محيطه.

٣ ـ أن يعتمد الأسلوب الإنساني المرن الحكيم: والثقافة الكافية والقدوة الحسنة لا تحقّقان فعاليّة الخطاب الإسلامي إذا لم

يرافقها الأسـلوب الإنسـاني الذي يأخذ بعين الاعتبار طبيعة المخاطب من حيث:

ـ خصائصه العمريّة في أبعاده الجسديّة والانفعاليّة والذهنيّة.

ـ أجوائه الاجتماعيّة، وأوضـاعه، وأوضـاعه الاقتصاديّة، وأنماط التربية التي خضع لها.

وقد حدّد القرآن الكريم عناصر هذا الأسلوب بالآيات:

«ادعُ إلـى سبيـل ربّـك بالحكمـة والموعظـة الحسنـة، وجادلهم بالتي هي أحسن»...

«ادفـع بالتـي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينـه عداوة كأنّه ولّي حميم»...

«وقولوا للنّاس حسناً»...

بهذا الأسلوب تستطيع أن تقترب من الآخر وتتواصل معه، ليندفع هو أيضـاً إلى الاقتراب منك، والانفتاح على ما تقوله وتفعله، فتربح بذلك قلوبهم وعقولهم وكل حياتهم.

ـ في وصيّة للإمام علي عليه السلام لابنه محمّد ابن الحنفيّة:

«واعلـم أنّ الـكلام فـي وثاقـك ما لـم تتكلّم بـه، فـإذا تكلّمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك».

- **عـن سليمـان بـن مهـران قال:** دخلـت على الصّـادق جعفر بن محمّد عليه السلام ، وعنده نفر من الشيعة فسمعته وهو يقول:

«يـا معشـر الشيعة كونوا لنا زيناً، ولا تكونـوا علينا شيناً، قولوا للنّاس حسنـاً، واحفظـوا ألسنتكـم وكفّوهـا عـن الفضـول وقبـح الكلام».

- ولعـلّ أبلغ دليل علـى ذلك ما كان يسـتخدمه الأئمّة عليهم السلام من أساليب هادئة تحترم الآخر، وتدحض حجّته بالمنطق والحوار الذي يتّسم بالرصانة والموضوعيّة.

فقد ورد عن أحد تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام : المفضل بن عمر يتحدّث فيه عن انفعاله الشديد أثناء حواره مع أحد الملحدين فيقول:

«فلم أملك نفسي غضباً وحنقاً فقلت: يا عدوّ الله... ألحدت في ديـن الله، وأنكـرت الباري الذي خلقك في أحسـن تقويم، وصوّرك في أتمّ صورة، ونقلك في أحوالك حتى بلغت إلى حيث انتهيت، فلو فكّرت في نفسك، وصدقك لطيف حسّك، لوجدت دلائل الربوبيّة، وآثـار الصنعة فيك قائمة، وشواهده في خلقك واضحة، وبراهينه لك لائحة».

فقـال (الملحد): يـا هذا إن كنت من أهل الـكلام كلّمناك، فإن ثبتـت لك حجّة تبعناك، وإن لم تكـن منهم فلا كلام لك، وإن

كنت من أصحاب جعفر بن محمد، فما كان هكذا يخاطبنا، ولا بمثل دليلك يجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعت، فما أفحش في خطابنا، ولا تعدّى في جوابنا، وأنه للحكيم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا ويصغي إلينا ويتعرّف حجّتنا، حتّى إذا استفرغنا ما عندنا، وظننّا أنّنا قطعناه، أدحض حجّتنا في كلام يسير، وخطاب قصير يلزمنا به الحجّة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه ردًّا، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه. (الاحتجاج للطبرسي، ج ، ص٦٩).

من خلال هذا الخطاب الحواري يمكن أن نحدّد بعض عناصره والتي تخضع لضوابط أخلاقيّة وإنسانيّة وشرعيّة نذكر منها:

١ ـ أن نبدأ الخطاب بالكلمة الطيّبة والقول الحسن:

«ومثل كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للنّاس لعلّهم يتذّكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار». (سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٥ ـ ٢٦).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة فصلت، الآية: ٣٣).

الكلمة الطيّبة التي تمثّل كل إيجابيّات الحياة، وكلّ إنسانيّة الإنسان، التي شبّهها اللّه تعالى في عطائها وحيويّتها وامتدادها وعمقها بالشّجرة الطيّبة، التي تتجذّر بعروقها في أعماق الأرض، وتمتدّ بفروعها وأغصانها إلى الأبعاد القصوى في امتداد السّماء، وذلك بعكس الكلمة الخبيثة التي تتمثّل بالشجرة الخبيثة التي لا تملك أيّ قرار في الأرض، ولا أي امتداد في السّماء.

٢ ـ وحتّى نضمن نتائج الحوار في الاتّجاه الإيجابي الذي ينطلق من المحبّة والاحترام نتوقّف عند طبيعة اللغة التي تمثّل بُنية الخطاب، بحيث يكون سقف الحديث ملائم للمستوى الثقافي الذي يتمتّع به المخاطب، فلا نتكلّم معه بلغة لا يفهمها ولا بمصطلحات لا يفقهها.

يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم**».

أن تدرس عقول النّاس من حولك، ما هو مستواهم الثقافي؟... وما الخلفيات التي تحكم تصوّراتهم وأفكارهم؟... وما المؤثّرات التي خضعوا لها في تربيتهم؟... ما الذي يعجبهم من الكلام؟... وما الذي ينفرون منه؟.. وما الأسلوب الأفضل الذي ندخل به عقولهم ونحرّك به مشاعرهم؟...

المهمّ هو أن نختار الكلمات التي تتناسب مع عقولهم وأجوائهم.

٣ ـ الخطاب الإسلامي ينطلق من مواقع اللّقاء، يقول اللّه تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٦٤).

أن يبدأ الخطاب من التداول في القضايا المشتركة أو الخطوط العامة التي يلتقي عليها الجميع ما يفسح المجال لكسب ثقة الآخر، وردم الهوّة، وإلغاء الكثير من التعقيدات، وتجميد الكثير من الحساسيّات، وتقريب الكثير من الأفكار، حتّى إذا انتهى الأمر إلى نقطة الافتراق، كانت الطريق ممهّدة أمام الطرفين للوصول إلى القناعة المشتركة.

يقول أحد التربويين: «**دعْ صاحبك في الطرف الآخر يوافق ويجيب بـ(نعم)** »وحلِ ما استطعت بينه وبين «**لا**» لأن كلمة «**لا**» عقبة كؤود يصعب اقتحامها وتجاوزها، فمتى قال صاحبك: «**لا**» أوجب عليه كبرياؤه أن يظلّ مناصراً لنفسه.

إنّ الانطلاق نم مواطن الاتّفاق يُشعر المخاطب بالطمأنينة والثقة انطلاقاً من مشاركته في بعض قناعاته، والتصريح بالإعجاب بأفكاره الصّحيحة، وأدلّته الجيّدة ومعلوماته المفيدة... وهذا من شأنه أن يفتح القلوب، ويقارب الآراء، ويفسح المجال أمام سيادة روح الموضوعيّة والتجرّد، ليتمّ الانتقال بعدها إلى

المسائل الخلافيّة بعقلانيّة متجاوزين بذلك أسلوب التحدّي والتكفير:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية: ٤٦).

٤ ـ الخطاب الموجّه إلى النّاشئة (المراهقين) يجب أن ينسجم مع التطوّر الذهني لهم، التطوّر الذي ينتقلون فيه من التفكير المحسوس الذي يعتمد الحواس طريقاً للمعرفة إلى التفكير المجرّد الذي يعالج التصوّرات والمفاهيم والكليات العقليّة...

وهنا لا يقبل المراهق إلاّ ما يقنع، أي الذي يعتمد الدليل الذي يؤكّد الصّواب وينفي الخطأ.

على هذا الأساس كاه لا بدّ من أن ننطلق في حوارنا معه من اعتبار العقل قوّة صالحة للحكم على الأشياء، وميزاناً يزن به صحّة القضايا وفسادها، فالإسلام يطلب من المسلم الحوار على أساس المنطق الذي يثير القناعة الذاتيّة من خلال ما يسوقه من أدلّة وبراهين:

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١١١).

وفــي الوقت ذاته يطلب الإســلام مــن النّاس توثيــق الإيمان على أساس القناعة العقليّة من خلال الحجج والبراهين التي تمثّل السبيل الصـحيح للعقيدة الحقّة، رافضـاً التقليد الأعمى الذي يرتسـم فيه الإنسان خُطى الآباء دون وعي.

لذلـك يُحذّر على الداعية طرح أمور جديدة يسـارع إلى تكذيبها السـامع، لأنها لا تملك الدليل المقنع الذي يسعى إليه المراهق الذي ينشد المعرفة القاطعة.

﴿وَمِــنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْــرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (سورة لقمان، الآية: ٢٠).

٥ ـ الخـوف مـن أن يتحوّل الخطاب إلى جدل عقيـم، لا يُراد منه إلاّ تسـجيل المزيد من مواقف عرض العضلات، والمزايدات الجدليّة التي لا تقدّم ولا تؤخّر في الموضوع:

«**وقالوا قلوبنا في أكنة أن يفقهوه**»...

بل المهمّ أن تشـعر الآخـر أنّك وإيّاه رفيقان فـي رحلة البحث عن الحقيقة، فتحترم وجهة نظره، وتعالجها بحكمة، فلا مهزوم ولا منتصر، فليسـت مهمّة من يدعو إلى اللّه تعالى أن يحقّق الغلبة ليشـبع غريزة العظمة في ذاته، بل أن تمارس إنسانيّته في إعانة خصمه على التحرّر من رواسبه المنحرفة، ثمّ الأخذ بيده إلى طريق الحقّ والصّواب:

«ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم ولا يلقاها إلاّ الذين صبروا»...

بهذا الأسلوب الحواري الإنساني الرصين الهادئ تستطيع أن تحول أعداءك إلى أصدقاء ينطلقون معك فيما تفكّر فيه، وما تعمل له، ثمّ تعقّب الآية بأن هذا الأسلوب يحتاج إلى أن يربّي الإنسان ذاته، فيضبط انفعالاته، ويتسلّح بمزيد من الصّبر، ويتمتّع بحظّ عظيم من الإيمان.

٦ ـ أن لا تُشعر الآخر بأنّك تنطلق من أفكار مسبقة لا يمكن التنازل عنها، أي أن لا تتعصّب لقناعاتك، ولا تلجأ بفرضها عليه، لتؤكّد أنّها الحقيقة المطلقة، بل أن تقف على مسافة واحدة من الرأيين، لتنطلق إلى الحوار الأخوي الهادئ الذي يعتمد المنطق، منسجماً في ذلك مع حوار النبي ﷺ مع المشركين.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة سبأ، الآية: ٢٤).

فالنبيّ ﷺ وهو الحقّ المطلق لم يعطِ نفسه صفة الهدى، ولم يدمغ خصمه بصفة الضّلال، بل ترك المَجال لمعالجة الموضوع أن يتحرّك بحريّة، كأمر قابل للأخذ والردّ، وهذا من شأنه أن يمزّق الهالة المقدّسة التي تتركها المعتقدات في نفوسهم، إنها تمثّل روح

الحياد الفكري في ميدان الصّراع العقائدي، بحيث يتخلّى الطرفان عن صفة العناد والتعصّب، حتّى أن الأمر قد يبلغ فينا إلى أن نتنازل عن بعض قناعاتنا إذا أثبت الآخر بطلانها، لتكن لدينا الشجاعة بالقول: نحن مخطئون في هذا الأمر، ومعك حقّ، ونحن قد غيّرنا رأينا... إنّ هذا الأمر يجعلك تقترب من الآخر، ويقترب منك، ويطمئن إليك، ويعيش موضوعيّتك، فيبادلك الموقف، فيتنازل عن الخطأ ولا يتعصّب له.

٧ ـ أن تحترم شخصيّة الآخر، وتلتزم في حوارك معه الآداب الإسلاميّة المعتبرة:

ـ أن تصغي لحديثه بانتباه وتركيز.

ـ أن تحذر مقاطعته أثناء الكلام، فتفسح له المجال بان يعبّر بحريّة.

ـ أن تتجنّب أسلوب التعجّب والاستغراب والدّهشة الذي يوحي بالسخرية والاحتقار والجهل.

ـ أن تظهر الهدوء، وتحذر الانفعال، وتتجنّب الثورة مهما تحدّاك الآخر، ونال من مقدّساتك.

ـ أن تقبل النّقد دون غضب، وتتنازل عن رأيك إذا أثبت الآخر خطأه.

فالمهمّ هو الوصول إلى الحقّ والحقيقة، وأن تعامل بروحيّة «**رحم الله من أهدى إليّ عيوبي**».

ـ أن تحتــاط في تعابير خطابك مع الآخر، فتبتعد عن لغة التكفير والسـباب والشّـتائم، التي تُغلق عقل الآخر، فينطلق ليتشـبّت بآرائه، ويثأر لقناعاته، على أساس أنّها تعادل كرامته وعنفوانه وبالتالي كل كيانه.

ورد فـي القرآن الكريم في إطار أسـلوب الحوار الذي نصـح اللّه تعالى به موسى عليه السلام وهارون عليه السلام:

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَــى ﴾ (سورة طه، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤).

«**إيّاك ومما يُعتذر منه**». **حديث نبوي**

«**إنّي لأكره لكم أن تكونوا سبّابين**» الإمام علي عليه السلام

على المسلم أن يحترم فكر الآخر، كما تريد أن يحترم هو فكرك، أسـلوب العنف والتحدّي والسـباب هو أسـلوب الفاشـلين الضعفاء الذيـن لا يملكون الحجّة التي تسـكت وتقنع، ولا الأسـلوب الإنسـاني الذي يرغّب ويقرّب.

المهمّ هو أن نبتعد عن روحيّة التعصّـب والانفعال التي يحاول كلّ فريق أن يدمّر الآخر، وأن يشوّه صورته.

أن ننطلق في حوارنا بكلمات الحب والاخلاص، أن تنطلق من القلب لتقع في القلب الآخر دون استئذان... ان نُشعر الآخر بأنّ دورنا في الحوار هو دور الأخ الرفيق الناصح الباحث عمّا ينفعه ويريحه ويسعده.

ويجسّد كل هذا الواقع في الخطاب الإسلامي الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حواره مع الزنادقة:

جاء في الروايات أن ابن أبي العوجاء وابن طالوت وابن المقفّع وبعض الزنادقة قد اجتمعوا في موسم الحجّ بالمسجد الحرام، والإمام الصّادق عليه السلام فيه يوم ذاك وقد اجتمع عليه الناس يفتيهم ويجيب عن مسائلهم بالحجج والبراهين، فقال القوم لابن أبي العوجاء: هل لك في تغليظ هذا الجالس، وسؤاله عمّا يفضحه عند هؤلاء المحيطين به، فقد ترى فتنة النّاس به.

فأجابهم: نعم.

ثمّ تقدّم نحوه وقال: يا أبا عبد الله، أفتأذن لي بالسؤال؟

فقال له الإمام عليه السلام: سَلْ ما شئت.

فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر (مكان الطواف)، وتلوذون بهذا الحجر (الحجر الأسود)، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدد، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر، من فكّر في هذا وقدّر، عَلِمَ أنّه فعل غير حكيم، ولا ذي نظر.

فقال له الإمام الصـادق عليه السلام: إنّ من أضـلّه اللّه وأعمى قلبه، استوخَ الحقّ ولم يسـتعذبه، وصار الشيطان وليّه... هذا بيت استعبد اللّه به خلقه، ليختبر طاعتهم في إتيانه على تعظيمه وزيارته، وجعله قبلة للمصلّين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدّي إلى غفرانه.

فقـال له ابن أبـي العوجاء: ذكرت يـا أبا عبـد اللّه، فأحلت على غائب.

فقال له الإمام عليه السلام: كيف يكون ـ يا ويلك ـ غائباً مع من هو مع خلقه شاهد، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، يسمع كلامهم، ويعلم أسـرارهم، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان، تشهد بذلك آثاره، وتدلّ عليه أفعاله.

فسكت ابن أبي العوجاء ولم يدرِ ما يقول، وانصرف من بين يديه، وقال لأصحابه: سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة فألفيتموني في جمرة.

فقالوا له: اسـكت، فواللّه لقد فضـحتنا بحيرتك وانقطاعك، وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه.

فقـال: «**إليّ ما تقولون هذا، إنّه ابن مـن حلق رؤوس من ترون، وأومأ بيده إلى أهل الموسم**».

٨ ـ أن نسـتخدم في حوارنا مع الآخر الوسائل النّظيفة مهما كانت النتائـج، إذ لا يجـوز أن نلجأ إلـى مبدأ الغاية تبرّر الوسـيلة،

فنستعين بالأفكار الباطلة، أو الجدال بالباطل لنقضي به على مقاومة الخصم.

«**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن**» (سورة العنكبوت، الآية: ٤٦).

﴿**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا**﴾ (سورة الكهف، الآية: ٥٦).

وفي وصيّة للإمام الصادق عليه السلام وهو يشاهد حوار أحد أصحابه:

«**لا تمزج الحقّ بالباطل، وقليل الحقّ يكفي عن كثير الباطل**» البحار ج٩، ص٣٠٩.

إن الموقف لا يمثّل صراعاً بين فئتين يريد أحدهما أن يتغلّب على الآخر، ليحشد على ضوء ذلك كل ما يملكه من أسلحة سواء كانت حقاً أو باطلاً، ليكسب المعركة بالغلبة.

إنّ المؤمن لا يتعقّد من الهزيمة إذا ثبت الحقّ في الطرف الآخر، إنّه مع الحقّ الذي يملكه الخصم في نطاقه الخاص، بنفس القوّة التي يكون فيها ضدّ الباطل الذي يعيش في حياتنا في بعض لحظات الإنحراف.

الحوار يجب أن يدور ما بين أدلّة، لا بين غرائز.

قراءة في واقع مضمون الخطاب الإسلامي الموجه للناشئة- عرض وتقييم للتجربة

الأستاذة زينب شريم[1]

قبل الدخول في القراءة في واقع مضمون الخطاب الاسلامي الموجه للناشئة، بل قبل عرض وتقويم تجربتي الخاصة لا بد من الوقف على تعريف معنيّي مضمون الخطاب الاسلامي والناشئة.

مضمون الخطاب الاسلامي الموجه للناشئة: هو تزويد المتعلم الناشئ بالروح العلمية من خلال النص الاسلامي الموجه اذ ليس المطلوب ان يصبح عالماً بل ان يصبح باحثاً عن الحق خالياً من الامراض التي تحرف الانسانية عن اهدافها.

الناشئة: هي من تملك العلم المطبوع الذي ينبع من طبيعة الانسان بالتكوين.

من هنا فإن هدف مضمون الخطاب الاسلامي هو نقل العلم المسموع الى العلم المطبوع (القابليات).

عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قوله «**العلم علمان علم**

(١) مديرة مجمع أهل البيت عليهم السلام التربوي - الإمداد.

مطبوع وعلم مسموع، ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع».

التعليم رسالة الانبياء والناشئة هي من دعا الاسلام الى الاهتمام بها تعليماً وتوعية من خلال تنمية العقل خلال مراحل التعليم. ودعوة الاسلام الى التعلم هي البدء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ خَلَقَ الْإنسَانَ مِنْ عَلَق اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

(سورة العلق) ١-٥.

الاسلام والتربية

ان مسالة الاحسان والمحبة هي احدى المسائل التربوية الاسلامية واذا كانت التربية هي ذلك النشاط الانساني الذي رافق الكائن البشري منذ وجوده فهي ظاهرة انسانية، وشأن الانسان فيها كشأنه في الظواهر الاخرى، طبيعية، اجتماعية، كونية او انسانية مثل التفكير واللغة والحضارة كل هذه الظواهر هي موضع اهتمام الكائن ومحور نشاطه الفكري والجسدي من اجل حفظ بقائه فالتربية هي سلوك فطري وطبيعي لا غنى عنه فالدور الذي انيط بها كبير والمهام الموكولة اليها عظيمة... مما حدا بالبعض لاعتبارها «**الاداة الوحيدة التي يمتلكها الراشدون ليجعلوا ممن لم يبلغوا سن**

الرشد بعد راشدين»... ومنهم من رأى انها «**القادرة على الانتقال بالانسان مما هو كائن الى ما ينبغي ان يكونه**» (ابن سينا) اما اميل دوركهايم فقد رأى انه «**عن طريقها يصبح الانسان كائناً اجتماعياً**» اي انها عملية تطبيع اجتماعي منظم للجيل الناشئ.

من هنا تبرز بجلاء اهمية دور الخطاب الاسلامي الموجه وفعاليته وتأثيره على الناشئة فنحن اليوم امام قضية تزداد تعقيداً مع التحام العلم الحديث بالتكنولوجيا وتوجيه البحوث التطبيقية لخدمة اهداف محددة، اي بمعزل عن القيم الاخلاقية، اذ بات من المسلم به اليوم ان التمييز الحاد او ربما الفصل بين العمليات الذهنية والعواطف والمشاعر بحجة الحرص على موضوعية العلم وحياده، هو امر لا يمكن تبريره لان الافعال كل الافعال انما هي نتاج انساني ينطوي على المشاعر والفكر معاً.

قيمة الدين

ذهب الكثير من علماء العصر، لا سيما في الثقافة الغربية الى التقليل من قيمة الدين واخراجه من واقع الحياة الانسانية الى الهامش، فيتعاملون مع الدين معاملة الفنون الجميلة يقبلونه فنياً (فالمتدين نظير الشاعر) فالشاعر يتخيل اشياء ويخاطبها والمتدين يختلي في معبده لمناجاة ومخاطبة ربه.

بماذا سنجيب بل كيف اذا سئلنا: ماذا فعلتم بدينكم؟ وكيف حافظتم على ثقافتكم وعلى ما انزلنا عليكم من الحقائق والمعارف؟...

فلنعد لهذه الاسئلة اجوبة ولا بد اننا مسؤولون «**وقفوهم انهم مسؤولون...**»

وبناءً عليه فلقد حضرت بعض الاجابات ليومي هذا ولوقفةِ يوم بين يدي عزيز جبار:

١. ان اول ما يجب علينا نحن المثقفين المسلمين، او نحن العلماء، هو اتقان معارفنا الدينية من الكتاب والسنة والاحاديث ومن العقل.

٢. الاطلاع على الثقافات الاجنبية وما عندها من نظريات سواء كانت خاطئة ام مصيبة اذ اننا لن نصل الى مستوى الرد عليها ما لم نصل الى كنهها.

٣. تخصيص قسم كبير من امكانياتنا وطاقاتنا للامور الثقافية لان التقدم والتطور العلمي لا يفيدنا اذا خسرنا هويتنا وثقافتنا ومعرفتنا لانفسنا.

٤. تركيز بحثنا على الكشف عن بعض جوانب النمو العقلي المعرفي لدى الناشئ (المتعلم) وربط ما يتحقق له من نمو

في هذه الجوانب مع ما يتبع معه من اساليب ونماذج التعليم، مع تحديد اثر القيم على عملية التعليم ـ التعلم.

٥. السعي الى ردم الهوة بين القيم الاخلاقية وبين تعاريف هذه القيم لدمجها كمفردات في نصوصنا التربوية ونهجنا العلمي، اذ اننا لن نصل تربوياً ولو استعنا بكل البراهين العلمية، ما لم تتم مسألة تقييم نتائج مسيرة التعليم والتعلم بناءً على المعرفة الحق للانسان وموقفه من الكون وعلومه وعلاقته بالله تبارك وتعالى.

هدف مضمون الخطاب الاسلامي بات واضحاً من خلال ما تقدم بأنه سبيل المعرفة الحقيقية التي تبعث على الطمأنينة والرضا تجاه اسمى الاماني البشرية وان القوة المتمثلة بالنور وبالروح وبالعشق الالهي والوجدان العاطفي كلها حقائق متفرقة تؤدي الى الحقيقة المطلقة المضيئة التي ما ان يتسنى للعقل البشري الكشف عنها حتى تتنور لديه دروب العلم والمعرفة الانسانية.

ولعلي اتوجه لنفسي اولاً وللحضور الكريم بسؤال اين نحن اليوم من حقول المعرفة الانسانية، بل كيف يمكن لنا قياس نتيجة عمل الناشئة في عالم باتت المفاهيم القيمية فيه رهناً بأذواق الناس واهوائهم وعرضة للأخذ والرد بين مد التكنولوجيا وجزرها في هذه القرية الكونية؟

ان الاجابة على مثل هذه الاسئلة تكمن في احساسنا وشعورنا بواجبنا الديني في عصر مشرق بالتقدم ومظلم لجهة غلبة الاوهام والشكوك وسلاحنا هو امتلاكنا للامكانيات والوسائل التي يمكن ان تساعدنا في اخذ كل ما هو مضيء وتوظيفه في مسيرتنا التربوية ومناهجنا التعليمية - التعلمية التي هي الاساس في اعداد الاهداف من اجل بلوغ الغايات.

لعل الغاية من قراءتي المتواضعة انما تكون في لفت انظار التربويين والعلماء المختصين بضرورة تجديد النظر في اعمالهم وبرامجهم لناحية اتقان المعارف الدينية لان الثقافة لها ركنان اساسيان الرؤية الكونية والقيم.

وحيث نشير هنا الى الثقافة الاسلامية، مضمون الخطاب الاسلامي، ونركز على ابقائها وتقويتها، فنزيد بذلك هذين الاساسين قوة ومتانة اما باقي العلوم من فنون وآداب وعلوم مادية فهي تابعة لتلك الاصول والاركان فإذا خسرنا هذين الركنين اي الايمان والقيم فلا يمكن تعويض تلك الخسارة وتداركها، بما ان موضوعنا يتمحور حول تأثير الخطاب الاسلامي على الناشئة من خلال عرض وتقييم للتجربة كان لكم علي الحق بأن اسلط الضوء على موقعي كتربوية مسؤولة في خضم هذا الاهتمام المكثف بالمؤسسات التربوية وبالانسان في مراحل نشأته الاولى.

وامـام تكليفي كمربية اقف امام قول امير المؤمنين الامام علي عليه السلام «**العمـر قصيـر والعلـم كثيـر، فخـذوا من كل علـم ظروفه ودعوا فضوله**».

لذا كان لا بد لي من الاختيار والانتخاب قبل القيام بأي عمل، ولا معنى للاختيار دون تفكير، لذا كان علي ان افكر في العمل الذي اريد انجـازه وتوقع ردود فعله وملازماته وما هي الآثار التي يخلفها بل ما هي عاقبته؟

ولان التربيـة هـي مـن اخطـر الافعـال الانسـانية واكثرهـا دقة فموضـوعها الانسـان في المراحل العمرية التي تسـبق سـن الرشد اي اكثر مراحل عمر الانسـانية حساسـية وهي احـدى وجوه التغيير المطلوب بإلحاح واذا شـاء لنا المولى تعالى ان نكون ممن يساهمون في هذا التغيير علينا اولاً ان نغير ما بأنفسنا، وان نسعى الى الاستفادة مـن كل التعريفـات حـول التربيـة والمأخوذة مـن ازمنـة وثقافات مختلفة والتي تلتقي على ان التربية هي مسـاعدة الناشئ على تنمية اسـتعداداته باتجاه الكمال. ان ما يدعونا للتغيير في مجتمعنا يعطي الاولويـة المطلقة لتغيير نظرتنا التربوية من خلال البحث عن معنى الكمـال فـي التربية هذا الكمـال التربوي القابـل للقياس من خلال الدراسـة العلمية سواء كان هدفنا الكشف عن جوانبه او على المدى البعيد التخطيط لاهداف وطرائق ووسـائل تخدم مضمون الخطاب الاسلامي فيه.

وتجربتـي قائمـة علـى تغذية العلاقـات الانسـانية وتوظيفها في مجـال التربية والتعليم بالاخذ عن تعاريف مختلفة فمنهم من عرّف العلاقات الانسـانية في مجال التربية بأنها ميدان من الادارة يهدف الـى التكامل بين الافـراد في محيط العمل بالشـكل الـذي يدفعهم ويحفزهم الى التعاون ثم الانتاج من خلال اشباع حاجاتهم الطبيعية والنفسية والاجتماعية، ومنهم من عرفها على انها مأخوذة من ذات الانسان خصائصها قائمة على المعاملة الطيبة القائمة على المحبة المستمدة من القيم الانسانية السوية التي جاء بها الاسلام.

وبصـفتي مديرة مدرسـة، بدأت مهمتي مع فريق العمل الذي هو على اتصال مباشر مع الناشئة داخل حرم المدرسة من خلال عشر نقاط:

١. ابقيت على غرفة مكتبي بين العاملين والمعلمين وباب المكتب مفتوح دائماً.

٢. نقل الاحساس بالرضا الوظيفي الى فريق العمل.

٣. الدعوة الى اظهار العمل المتقن واظهار الاحترام له وللفريق.

٤. اظهار عنوان الاسلام فوق كل عمل وتعزيز الانتماء التربوي.

٥. بث روح التعاون بين الفريق (وتعاونوا على البر والتقوى)[١]

---

(١) المائدة ٢

٦.الدلالة على اهمية التشاور بين اعضاء الفريق وبين الفريق والادارة (وامرهم شورى بينهم)[١].

٧.ابتكار اساليب تخفف وطأة الآلية المفرطة في العمل.

٨.منح الفرص للتقدم والانجاز (تحفيز تنويه)

٩.الاهتمام بالمناسبات الخاصة والعامة والاتيان على ذكرها.

١٠.جعل الصدق لهجة الخطاب بين اعضاء فريق العمل ومع الناشئة.

اما بالامور التي تتعلق بالادارة مباشرة مع جيل المتعلمين (الناشئة) باعتبار الناشئة محور العملية التربوية وهدفها الاول، فقد حرصت على ان تتمحور العلاقات الانسانية مع التلاميذ حول نقاط خمس:

١.العدل في المعاملة توزيع نظرات المحبة بالتساوي والاهتمام بكل التلاميذ دون تخصيص حالات اقله في الحالات الطبيعية.

٢.نقل ايماني بقيمة الفرد لكل متعلم ودفع الجميع الى التحصيل من خلال رفع المعنويات وجعل كل منهم يحس بقيمة نفسه.

٣.التواصل مع التلاميذ يومياً من خلال تفقد الصفوف حتى ولو من اجل القاء التحية.

(١) الشورى ٣٨

٤. القيام بالارشاد والتوجيه ومتابعة الحالات الخاصة بصفتي ايضاً مديرة الارشاد والتوجيه في المدرسة.

٥. التركيز على النشاطات اللاصفية والرحلات الترفيهية لتدعيم العلاقات الانسانية بيت التلاميذ وبينهم وبين فريق العمل والادارة.

اهمية العلاقات الانسانية في العملية التربوية

تؤدي العلاقات الانسانية دوراً هاماً في اثارة الدوافع لتحقيق اعظم كفاية وبالتالي تحقيق اهداف التربية فهي تعمل على تخفيف وطأة العمل واثارة الدوافع للإنتاج وتنسيق الجهود وحفزها ورفع الروح المعنوية بين افراد الجماعة التي تساعد على تعاونها من اجل تحقيق الاهداف المشتركة، كل هذا لا يمكن تحقيقه دون الايمان بالقيم والمبادئ وبقيمة الفرد نفسه وقيمته داخل الجماعة للحصول على الانسجام في العمل وتكامله بين المدير والمشرف والمعلم والطالب والمحيط.

فالادارة بحد ذاتها ليست حالة او ظاهرة بل هي عنوان يدير مجريات الامور في حياة الافراد، وتجربتي المتواضعة هذه انما هي مستمدة من خلاصة عصور من التجارب التي مر بها الانسان لها عناوين معنوية ومادية وباختصار بالنسبة لي شخصياً الادارة لم

تكن يوماً غاية بل وسيلة لتحقيق اهداف العمل وخدمة الانسان.

انني بما تعلمته من الاسلام اسير نحو من اعلمهم خطوة وبالتالي عليهم ان يتعلموا المسير بهدي الاسلام.

نستنتج مما ذكر ان الانسان لو اراد ان يربي نفسه واولاده او الآخرين تربية اسلامية فعليه ان يهتم بمسألة العبادة لجعلها الركن الاساسي في المسيرة التربوية لان لها تأثيراً كبيراً في سائر اتجاهات الانسان.

ولقد نجحت مدارسنا الاسلامية بفضل اللّٰه تعالى على نهج هذا النوع من التربية ونحن ما زلنا بحاجة الى جملة من الاشياء نتوجه اليها والاهتمام بها في تربيتنا وفي المرحلة الاولى في انفسنا وفي اولادنا وفي مسيرة التعليم والتعلم وعلى رأسها الشعور والاحساس بالعبادة بمعناها الحقيقي.

ومن اهم المسائل التي طرحت بشأن تعليم الناشئة في التربية الاسلامية مسألة المحبة والحقيقة، فهناك عبارة مشتركة في جميع الاديان متواجدة في المسيحية واليهودية والزردشتية والبوذية وفي الاسلام وهي (احبب للآخرين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك) فهذا الدستور الموجود في مضمون الخطاب الاسلامي انما هو دستور عام ومطلق اذ يرجع عمل العودة في كل مسألة الى حب الانسانية اي رعاية مصالح الناس واي مصلحة للناس اهم من

التربية الصحيحة التي تفتح ابواب تقوية شعور البحث عن الحقيقة، فغريـزة البحـث موجـودة عند كل انسـان بنسـبة معينـة وهي التي تدفعه لطلب العلم والكل يعلم بأن الاسـلام دعا الى طلب العلم منذ القـرن الاول بل بدأت القراءة والكتابة والتعليم والتعلم وتعلم اللغات المختلفة منذ زمن الرسـول الاكرم ﷺ وان العلم الذي بدأ بالعلوم الدينية ووصـل الى العلوم الطبيعية والفلسـفية وغيرها كان اساسه واصـله تشجيع الاسلام ودعوته الى تحصيل العلم مع تأكيد الاسلام على مكارم الاخلاق، هذه هي مدرسـة الاسـلام وهذا هو دور العقل الذي يفكر ويحسب ويقيس لان التعاليم الاسلامية اكدت على التفكير كشـرط اساسي للسيطرة على مصير النفس والمجتمع، ومن عوامل التربية للنفس واصـلاحها التعود على التفكير اذ ان هناك اشـارات ودقائـق في القرآن الكريم والسـنة يؤيدها الاعتبـار العقلي وهي ان وراء هـذا الاعتبـار العقلاني امراً آخر حقيقياً وهـو الادراك القلبي والوجدانـي والروحي، وهـذا الادراك له قدرة عالية على الاتصـال تختلف عن باقي القدرات فما نعرفه من الاتصال المعرفي او العلمي هو اتصال مادي جسماني مكاني وربما يكون بواسطة سلك او ضغطة زر او حل مسـألة علمية معينة او اجراء تجربة او حصـول نتيجة من خلال القياس، لكن هناك اتصـال آخر لا سـلكي تكفي الاشـارة فيه ويكفي التوجه للوصول.

هنـا مع هـذه القيمة الروحية اذا شـاء الانسـان علمـاً علم واذا شـاء اسـتطاع يعني انه ليس علم من انفسـنا انما العلم هو علم اللّه سـبحانه وتعالى وتبقى الروح هي المحور الذي يتمحور العقل حولها من معلمين ومتعلمين.

مجموعة توصيات.

- علينـا كتربوييـن ان نواكـب مسـيرة العلـم باكتشـاف المعالم الواضحة بعيداً عن التشويه.

- وعلينا ان نزرع في نفوس الناشئة (من نعلمهم) الرحمة والمحبة كعلاج وقائي يسـتبق مرض قسـاوة القلب الذي قد تتسبب به بعض الاساليب الخاطئة في التعليم.

- وعلينـا ان نؤمـن بـأن الحضـارة ليسـت اشـياء بـل حالـة في اشخاص.

- وعلينا احياء الاهتمام الديني كقوة خلاقة في ثقافتنا.

- وعلينا ان نؤمن بأن الدين لا يزال ذخيرة الحضارة التي نستفيد من مخزونها ليتجسد اهدافاً في معارفنا.

- وعلينا ان نجعل من التخطيط في التعليم ـ التعلم قيمة.

- وعلينا ان نؤمن بضرورة العلم من اجل العمل.

-وعلينا ان نؤمن بأن اسمى المعارف وابقاها واكثرها قرباً من الحقيقة تلك التي تمكّن الانسان من ايجاد علاقة سليمة بينه وبين ذاته.

-وعلينا التيقن بأن الناشئة التي بين يدينا هي امانة اللّه وهي مسؤوليتنا يوم السؤال.

ايها المربون ايها العلماء علينا ان نسعى الى تطوير انفسنا ومواقعنا واداراتنا لان السياسات المغلوطة لا تبدلها القوانين بل يبدلها الانسان.

قـراءة في واقـع مضمون الخطـاب الإسلامي الموجه للناشئة في كشافة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف نعدهم للحياتين

الأستاذ غالب العلي[1]

تمهيد

تسـتقبل كشـافة الإمام المهـدي عجل الله فرجه الشريف الفتيـة والفتيـات من عمر السادسـة وحتى السادسـة عشـر، ويتمّ توزيعهم – ضمن ما يُعرف كشـفيًّا بالفوج – على الوحدات الكشـفيّة بما يتناسب مع أعمارهم؛ فالذيـن تتراوح أعمارهم بين سـت وثماني سـنوات يلتحقون بفريق البراعـم، والذيـن تتراوح أعمارهم بين تسـع وإحدى عشـرة سـنة يلتحقون بمرحلة الأشـبال/ الزهرات، والذين تتراوح أعمارهم بين اثنتي عشرة وأربع عشرة سنة يلتحقون بمرحلة الكشافة/ المرشدات، والذين تتراوح أعمارهم بين خمس عشرة وسبع عشرة سنة يلتحقون بمرحلة الجوالة/ الدليلات.

والأغلبيّـة السـاحقة من المنتسـبين إلى الجمعيّة هـم من أبناء البيوتات الشيعيّة، على اختلاف انتماءاتها الفكريّة والسياسيّة، وعلى

(١) معاون المفوض العام في كشافة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

اختــلاف درجات التزامها الدينــي، وإن كانت الأكثريّة من الوســط المؤيد والموالي لمسيرة الجهاد والمقاومة.

وهم كغيرهــم من الأطفــال والفتية والفتيات، لهــم احتياجاتهم وميولهم ورغباتهم في كل مرحلة من المراحل العمريّة التي يصنّفون فيها، و التي تتوزّع على الأبعاد الأربعة للشخصيّة: العقلي، والجسمي، والانفعالي، والاجتماعي.

أ- السمات العامة للخطاب:

يقــول اللّه تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[1]

وورد عــن أمير المؤمنين عليه السلام: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا.

انطلاقًــا مــن الآية الكريمــة والحديث الشــريف حدّدت كشــافة الامــام المهــدي عجل الله فرجه الشريف أهدافهــا العامّة لتربية أجيال صــاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف ،فجاءت كالآتي:

- بنــاء جيل إســلامي صــالح على منهــج ولاية الفقيــه، والإعداد لنصرة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

(١) – سورة القصص، ٧٧

إحياء تعاليم القرآن الكريم والقيم الإنسانيّة في قلوب الناشئة.

- تربية الأجيال على المواطنيّة الصالحة، وتنمية حسّ المسؤوليّة وروحيّة العمل الجماعي وحب الآخرين ومساعدتهم والاهتمام بالنظافة وحماية البيئة.
- حث الكشفيين على طلب العلم والتحصيل والاجتهاد، وتعزيز مبدأ الاعتماد على النفس.
- اكتشاف وتنمية مواهب وطاقات الكشفيين الذهنيّة والبدنيّة.
- ومن هذه الأهداف العامّة تمّ اشتقاق أهداف كل مرحلة من المراحل الكشفيّة الأربعة، وسنعرض نموذج أهداف مرحلة الجوالة:

• الالتزام بالواجبات الدينيّة وتجنّب الرذائل والتحلّي بالأخلاق الحسنة.

• تكوين فهم متميز لحركة التمهيد وترجمته في السلوك العملي.

• ترسيخ مفاهيم القرآن والجهاد والولاية والمسجد والجماعة وتطبيقاتها العمليّة.

• تطوير المهارات الخاصة بقيادة المجموعات.

- تنميـة حس العمـل الجماعي ورفع مسـتوى الفاعليّة في عمل المجموعات.
- تكوين فهم واضـح لخصـائص مرحلة الشـباب واستغلالها إيجابيًا.
- تنمية القدرات الجسديّة وما يلازمها من قدرات نفسيّة.
- تنمية المشاركة والمساهمة بأنشطة خدمة المجتمع.
- التمسّـك بالحقـوق وأداء الواجبـات فـي الحياة الشخصـيّة والاجتماعيّة.
- زيادة الاهتمام بالعلم والتعلّم وتنمية المخزون المعرفي.
- المساهمة في تنمية قدرات الإبداع والابتكار.

والملاحظ ممّا تقدّم أن الأهداف العامّة وأهداف المراحل ركّزت على ثلاثة محاور رئيسيّة هي:

-علاقة الناشئ بالله تعالى

-علاقة الناشئ بالآخرين والمجتمع

-علاقة الناشئ بنفسه وذاته

ب- كيفيّة إعداد الخطاب

كشافة الامام المهدي ﷻ هي احدى مؤسسات المجتمع المدني تساهم في ارتقائه من خلال مساهمتها في تربية الاجيال، الذين يشكّلون الدعامة الاساسيّة لقيام أي مجتمع، لذا تأخذ دورها الطبيعي الداعم للمؤسسات التربويّة المعنيّة بتنشئة الأجيال، وهي تعمل إلى جانب الأسرة والمدرسة وباقي المؤسسات التربويّة لنمو متكامل لشخصيّة الفرد في جوانبها المختلفة، لكنّ الخطاب الاسلامي الموجّه للناشئة في كشافة الامام المهدي ﷻ يتميّز بتركيزه على الجوانب العمليّة في حياة الفرد ويستهدف سلوكياته على وجه الخصوص، فنحن لا نكرّر جهود المؤسسات التربويّة المختلفة بل نعمل على التكامل معها ومساندتها في تحقيق أهدافها.

ونظرًا لأهميّة الخطاب وحساسيّته فإن الجمعيّة صاغت خطابها وضمنته في مناهجها التربويّة الكشفيّة واصداراتها المختلفة معتمدة على السياسات التالية:

- التوازن والتناسق بين المضمون ومستوى النضج العقلي للكشفيّين والناشئة عمومًا
- التركيز على المفاهيم والقيم التي تستهدف السلوك وتحث على العمل والتطبيق.

-ربط مضــامين الخطاب بمظاهر الحياة والأشياء الموجودة في البيئة.

-تعريفهــم على أهل البيــت عليهم السلام في المراحـل الأولى (إحياء مناسبات...)، ثمّ إنشاء علاقة عمليّة تربطهم بهم.

-ربط الكشفيين حسيًّا بما يرمز للإسلام (المساجد- المقامات- علماء الدين- عوائل الشهداء- أضرحة الشهداء).

-تنميــة التفاعـل العاطفــي مـع القضــايا الإســلاميّة من خلال الأنشــطة التي تركّز على التعبير والتفاعل العاطفي والنفســي (عاشوراء مثالاً).

-إبراز الإســلام في كل المجالات: الجهاديّة، البيئيّة، الصــحيّة، العلميّة، الجسميّة، الفنيّة، لتقديمها بقالب إسلامي موجّه.

-إيلاء الجانب الروحي عناية خاصة بالتركيز على الأنشطة التي تعزّز هذا الجانب.

-إحاطة المفاهيم الدينيّة والمســائل الدينيّة بهالة من القداســة من خلال ما يرافق تقديمها وعرضها.

-توفيــر الفرص للإعراب عــن الإنعكاســات الإنفعاليّة العاطفيّة (المنبر - المسابقات والمباريات..)

-تكريس مفاهيم الحوار والمشاركة والتعاون، والصبر، التضحية،...

-قولبة الخطاب بقالب فني إبداعي وبطرق ووسائل جذابة تستند إلى المشاركة والتفاعل و...

-لحظ خصوصيات الذكور والإناث فيما يختص بكل منهما.

-التركيز على المواضيع التي تلبي احتياجات الفئة المستهدفة في ضوء متطلبات العصر.

وفيما يلي عناوين سلسلة الورش التربويّة المعتمدة في الأندية الكشفيّة الصيفيّة لمرحة الكشافة/ المرشدات كنموذج لاستظهار خصوصيات الخطاب الموجّه للناشئة:

الجزء الأول	الجزء الثاني	الجزء الثالث
الحبّ في الله والبغض في الله	المعجزة الخالدة	شجرة النبوة
الصّلاة	نمهّد لمولانا بقيّة الله	ورثة الأنبياء
رضاهما واجبي	أنا مكلّف إذًا أنا أقلّد	يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
الوفاء للقائد	في محضر الشهداء	الصيام.. زكاة الأبدان
كيف أختار صديقي	أبدأ يومي بالصدقة	صادق أمين
أتطوّع لخدمة المجتمع	الغناء مورث النفاق	اللسان.. ميزان الإنسان
قدوتنا في الحياة	نحو حياة بلا غضب	صون العفاف (مرشدات)

الجزء الأول	الجزء الثاني	الجزء الثالث
أقوم بواجبي الإجتماعي	آدابنا الاجتماعيّة	أسرارنا
البلوغ مسؤوليّة (مرشدات)	تعالوا نتحاور	علماؤنا المبدعون
اللباس الشرعي (مرشدات)	معًا نخطّ الطريق	كلنا للوطن
وقتي من ذهب	فن التشبيك	الطاقة
كيف أحمي وطني	كيف أطالع كتابًا	فنون ومهارات
هل أنت قوي الشخصيّة	بيئتنا أغنى	أنا رياضي
اعرف عدوّك	الخطيب الناجح	سلوكي الرياضي (كشافة)
ماذا علّمني الفشل عن النجاح	صحتي في غذائي	منزلنا الآمن

ج- كيفيّة ايصال الخطاب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]

تعمل كشافة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف على إيصال خطابها للناشئة متوسّمة وسائل وأساليب متعددة، منبثقة من ماهيتها وهويتها،

(١) سورة المائدة، ٣٥.

ودورها في هذا المجال عبارة عن عمليّة تعاون، وإسهام، وتوفير للظروف، والمساعدة في اكتشاف الإنسان لنفسه وقدراته وطاقاته وقواه الكامنة والخبرات التي يمكنه تحصيلها، ليقوم الفرد بنفسه وبمعيّة الآخرين ببناء شخصيّته وصقلها وتهذيب نفسه. ويمكن تناول أبرز الوسائل والأساليب المعتمدة في إيصال الخطاب الاسلامي للناشئة وهي الآتية:

١- التربية بالقدوة

تلعب التربية بالقدوة الدور الأكبر في توجيه سلوك الأفراد، لذا يتمّ التركيز على مواصفات القائد الذي سيقود العمليّة، ليكون سلوكه هو الباعث على سلوكيات الأفراد؛ لأننا لسنا بصدد إيصال معلومات مجردة أو القيام بعمليات حسابيّة، بل هدفنا هو سلوك الإنسان.

٢- الطريقة الكشفيّة

اعتُمدت الطريقة الكشفيّة -كطريقة مبنيّة على مبدأ التربية الذاتيّة- طريقة فضلى لإحداث التغيير المنشود في السلوك، بتبنّي الفرد أهدافه السلوكيّة، وتحمّل مسؤوليته في تربية وتزكية نفسه، في إطار تشجيعي وتحفيزي من قبل القائد المباشر والقادة المشرفين. فالوعد والقانون، والتعلم بالممارسة، ونظام الجماعات الصغيرة، والتقدّم الشخصي، والحياة في الطبيعة، ومعاونة الراشدين والإطار

الرمزي كلها عناصر تميّز الطريقة الكشفيّة في التربية، والتي تعمل في إطار تكاملي لتحدث عمليّة التغيير في السلوك.

٣- البرامج والأنشطة

إنّ كلّ الأنشطة والبرامج التي ننفذها تندرج في إطار التربية المتكاملة، والنشاط الأسبوعي هو الحلقة الأقوى، والتفاعل الإيجابي بين القائد والأفراد هو العنوان الأبرز، فمن خلال اللعبة والأهزوجة والنشيد والنشاط التوجيهي والمباراة والرحلة والاحتفال والمخيم والزيارات والمشاركات العامة... نوجّه سلوك الفرد ونبني الاتجاه. فالنشاط الأسبوعي إلى جانب الإحياء العاشورائي والنوادي الكشفيّة الصيفيّة والإحياء الرمضاني والمشاركات في الأنشطة والمناسبات الدينيّة والجهاديّة الوطنيّة والأنشطة الترفيهيّة التربويّة المختلفة – هي كمجموع – تعبّر عن القالب التربوي الذي من خلاله نوجّه الفرد لإحداث التغيير في السلوك بما يحقق الأهداف المرجوّة.

٤- السياسات التربويّة

- اعتماد الأساليب المشوِّقة التي تتناسب مع حاجات ومتطلبات كل مرحلة عمريّة.
- الاهتمام بالخلفيّة التربويّة للبرامج والأنشطة.

-الاستفادة من الطرائق الحديثة في إيصال الأهداف التربويّة.

-التأكيد على استخدام الأسلوب الحواري في تقديم المفاهيم.

-التركيز على الجوانب السلوكيّة في المواكبة والتقييم.

-التأكيد على الممارسة العمليّة والتطبيقات والتجارب لترسيخ المفاهيم النظريّة.

-تعزيز البرامج الروحيّة والعباديّة.

-التأكيد على خلق الفرص والمواقف المساعدة على إبراز القدرات والمواهب.

-العمل على تحقيق الهدف التربوي الواحد بطرق وأساليب مختلفة ومتعدّدة.

-التركيز على التربية الذاتيّة ومحوريّة الفرد في العمليّة التربويّة.

د- نموذج تطبيقي (مرحلة الجوّالة)

تعتبر عشيرة الجوّالة هي المرحلة الأخيرة في التدرّج الكشفي، وتتألف من مجموعة من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و١٧ سنة، يتوزّعون على مجموعات صغيرة تسمّى كلٌ منها «**رهطًا**»، وتتكوّن العشيرة من رهطين إلى أربعة أرهاط، ويتراوح عددها بين

١١ و ٣٥ فردًا، وتُدار بواسطة مجلس إدارة يتألّف من: قائد عشيرة الجوّالة، ومساعدي قائد العشيرة، والرائد الأكبر، ورواد الأرهاط، ومساعدي رواد الأرهاط.

ويتولّى مجلس إدارة العشيرة المهام التالية:

- يبحث جميع المسائل التي تخصّ العشيرة سواء الإداريّة أو الماليّة أو الفنيّة.
- يناقش المجتمعون أوضاع الأرهاط، ويقدّمون التقارير عن شؤونها، ويبدون ملاحظاتهم، ويقترحون برامج وأنشطة لتطوير وتنمية وتأهيل الارهاط.
- يضع خطة العشيرة وبرنامجها السنوي.
- يشكّل لجان مختصّة تشرف وتتابع تنفيذ النشاطات.

والغرض من تقسيم العشيرة إلى أرهاط هو إتاحة الفرصة لتدريب الجوّالة على القيادة وتحمّل المسؤوليّة، والتعاون، والاعتماد على النفس، وكشف الطاقات والمواهب؛ ولأنّ الفرد يميل للانتماء إلى مجموعة حيث يتمكّن فيها من إشباع رغبته في الانتماء، وتحقيق ذاته، واختبار قدراته، إيجاد الجو الذي يفتقده في البيت والمدرسة.

كما أنّ نظام الأرهاط يفسح المجال أمام الجوّال للتعبير عن نفسه، ومواجهة الجماعة ومخاطبتها، والمشاركة في اتخاذ

القرارات، والاضطلاع بالمسؤوليات (مهما صغر حجمها).

وترتكز العمليّة التربويّة على نظامين أساسيين هما:

١- التقدّم الشخصي

هو مجموعة المطالب (الأهداف التربويّة) التي يجب على الجوّال -خلال فترة سنتين- أن يسعى لتحصيلها بذاته بالاعتماد على نفسه وبدافع شخصي وبمعاونة قائده في مجالات متعدّدة، من خلال مبادراته ومشاركاته التي تؤهله لاجتياز المراتب الثلاثة في حلقة الجوّالة (الإعداد، التدريب، الخدمة العامّة).

وهذه المطالب تهدف إلى:

- إكساب الفرد المعارف والمهارات والسلوكيّات التي تنمّي قدراته، بناء شخصيّته بما يتناسب مع احتياجاته وبما ينسجم مع الأهداف التربويّة لمرحلة الجوّالة.
- تحقيق الرسالة التربويّة للجمعيّة بشكل عام، ويُترجم نظام التقدّم الشخصي بسجّل خاص، يُعرف بسجّل التقدّم الذي يحوي متطلبات القبول في العشيرة ومطالب التقدّم بالتفصيل البالغ عددها ٢٦٤ مطلبًا موزّعة على سبعة مجالات: الديني، والوطني، والفنون والتقاليد الكشفي، والصحي والبدني، والاجتماعي، والبيئي، والعلمي. وعلى الجوّال أن يبادر إلى

تحصـيل ٧٠٪ من المطالب بذاتـه، وعندما يوفّق لمطلب من المطالـب يطلب توقيع قائد العشـيرة على سـجله فيما يعني المطلـب الذي حققه، وبهذه العمليّة يتقدّم الجوّال للحصـول على المراتب الثلاثة في حلقة الجوّالة[١].

٢- الأوسمة

إنّ للحوافـز أهميّة كبرى فـي النظام التربوي للحركة الكشـفيّة، حيث تنطلق من خصوصيات الفتية والشباب، لتدفعهم باتجاه تحقيق الأهداف التربويّة، لذا تُعتبر الأوسـمة في منهج الحركة الكشفيّة من أهـمّ الوسـائل التربويّة لتنمية قدرات الشـباب، و تشـكّل أحد أركان برامج التربية الذاتيّة؛ لأنّها تهيئ للكشـفي الفرص لاكتشـاف ميوله واسـتعداداته، و تنميـة مهاراته، وإتقان أعماله، وتدفعه للتخصـص والتجديد والابتكار، وتنمّي فيه روح المثابرة والإقدام؛ فتعوّده البحث، وتدفعه للتجريب، وتحفزّه للتفكير والإبداع. فيستفيد من إنجازاته في حاضر حياته ومستقبلها، بما يعود بالفائدة عليه وعلى المجتمع.

والوسـام هو شارة يضـعها العنصر الكشـفي على بذّته الكشفيّة إشارة إلى تفوّقه وجدارته وتميّزه في جانب من جوانب شخصيته.

وتنقسـم الأوسمة إلى قسـمين: أوسـمة الكفايات هي التي تُمنح

(١) - المراتب الثلاثة: الإعداد، والتدريب، والخدمة العامّة، كما مرّ سابقًا.

للعنصر الكشفي بعد تحقيقه مطالب المراتب الثلاثة، وأوسمة الهوايات هي التي تمنح للعنصر الكشفي بعد تحقيقه مطالب محددة في مجالات تختصّ بمَلَكاته وخبراته، وتنسجم مع رغباته وميوله الشخصيّة، والتي يتميّز بها عن غيره من الكشّافين. وهي عبارة عن ستّة عشر وسامًا موزّعة على أربع مجموعات هي:

- **مجموعة أوسمة الهداية:** قارئ القرآن / الهدى / الباحث / المطالع
- **مجموعة أوسمة الخدمة:** عاشق الحسين عليه السلام / صديق البيئة / الدليل / المسعف
- **مجموعة أوسمة الفتوّة:** الفتى الكشفي / الرحّال / المخيّم / الفتى الرياضي
- **مجموعة أوسمة المهارات الفنيّة:** المدرّب / المسامر / فتى الحاسوب / المصمم الفني

إننا باعتماد أوسمة الكفايات نسعى إلى تنمية القدرات البدنيّة والعقليّة والاجتماعيّة والانفعاليّة وفقًا للخصائص السنيّة للفتية والشباب، وباعتمادنا أوسمة الهوايات نسعى إلى استكشاف الميول والملكات الشخصيّة لدى الأفراد وفقًا للفروق الفرديّة وصولاً إلى تنمية الذّات.

ولتحقيق التنمية الشـاملة والمتوازنة للفرد، يجب أن يكون هناك ترابط بين تحصـيل أوسـمة الكفايات وتحصـيل أوسـمة الهوايات، ليكون كلٌّ منهما حافزًا لتحقيق التقدّم.

ولمساعدة الجوّال على التقدّم وتحصيل المطالب تعمل الجمعيّة على تأمين المناهج الكشـفيّة التربويّة المعتمدة للتدريب والتوجيه، وتعمل على إيجاد المواقف التربويّة التي تتناسب مع طبيعة الأهداف المطلوبة من خلال البرامج والأنشطة والمشاركات التي تنظّمها، وأهمّها:

- اجتماعات العشيرة الأسبوعيّة.
- اجتماعات مجلس إدارة العشيرة النصف شهريّة.
- مشـاركات عامة مع العشـائر الأخرى في إطار حركة الأنشـطة الكبرى (مسيرات، رحيل، رحلات، تجمعات...).
- تنظيـم أنشـطة ثقافيّـة دينيّة مـن قبيل الاحتفـالات والدورات والمحاضرات...
- المشـاركة في تنظيم وتنفيذ مشـاريع وأنشـطة الفوج الداخليّة والخارجيّة.
- تنظيم مسـابقات ومباريات واختبـارات في مختلف الاتجاهات والموضوعات.
- المشـاركة في دورات وبرامـج التأهيل والتدريـب التي ينظّمها

الفـوج أو القطـاع أو المفوضـيّة (دورات ثقافيّة، دورات رواد، مخيمات...).

- إقامة المخيمات الكشفيّة التدريبيّة والتربويّة.
- إقامة الأنشطة الكشفيّة المختلفة (سهرات، تجمعات، احتفالات، مراسم...).
- تنفيذ مشـاريع وأنشطة خدمة الناس والمجتمع (توعية صحيّة، توعية بيئيّة، دعم المحتاجين، مسـاعدة المسـنين والجرحى والمرضى...).
- تنظيم الرحلات الخارجيّة الخاصة بالعشيرة.
- المشاركات المختلفة في أنشطة الآخرين.
- بالإضـافة إلـى الأنشـطة التعليميّـة والتدريبيّـة المختلفة التي تنفّذها العشيرة والأرهاط.

ممّا تقدم يتبين أن الخطاب الإسلامي الموجّه للناشئة في كشافة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف هو خطاب تربوي عملي ممنهج يُبنى على الجانب المعرفي، ثمّ يتخطّاه إلى التطبيق والممارسة، ممّا ينعكس اتجاهات تُبنى عليها سلوكيّات الكشفيين في حاضر حياتهم ومستقبلها.

وقد أظهـرت الوقائع الفوارق الإيجابيّة لصـالح الكشـفيين على من عداهم من الناشـئة ممّن يعيشـون في المجتمـع الواحد والبيئة

نفسها، فهم أكثر انضباطًا، وتفاعلاً، ومشاركة، ومواضبة، والتزامًا، وانفتاحًا، وتحمّلاً للمسؤوليّات، وصبرًا، وثقة بالنّفس، وخدمة، وجهوزيّة، واستعدادًا...

وبناء عليه فإنّ عبارة «**نُعدُّهم للحياتَين**» تختزن مضمون الخطاب الإسلامي الموجّه للناشئة في كشافة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف.

المحور الثالث

أساليب الخطاب الإسلامي الموجه للناشئة

كلمة رئيس الجلسة

الدكتور محمد رضا فضل الله

١. الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة

الشيخ مصطفى قصير

٢. الأسلوب الأنجح لخطاب الناشئة: الوسائل السمعية والبصرية

الدكتور يوسف ملك

٣. اطلالة على واقع الأساليب المعتمدة في خطاب الناشئة

الشيخ علي سنان



كلمة رئيس الجلسة

الدكتور محمد رضا فضل اللّه

موضـوع هـذه الفترة هو الأسـلوب الأحسـن. وسـأحاول أن أبدأ مداخلتي القصيرة إن شاء اللّه بقصّة صغيرة

يقـول: «**في يـوم جميل مـن أيّام الربيـع، جلس ولـدٌ أعمى قرب إحـدى البنايات، وأمامه قبّعةٌ فارغة مـن النقود، وفيها ورقةٌ كُتب عليهـا أنـا أعمـى أرجوكم المساعدة. مـرّ رجلٌ أديب أمـام الأعمى، أخذ عدداً من القروش من محفظته ووضعها في داخل القبعة، ثمّ تناول الورقة من القبعة وكتب عليها عبارةً أخرى. بعد الظهر، عاد هـذا الرّجـل ليرى كيف سـارت الأمور، وفوجىء حيـن رأى القبعة مـلأى بالنقود. لمـاذا؟ ما الذي تغيّر؟ ما الـذي كتبه في الورقة؟ إنّما كتبه هو: «اليوم هو يومٌ جميل، وأنا لا أستطيع أن أراه»**.

الإثنـانِ قالا الحقيقة، ولكـنّ الثاني كتب بطريقـة مختلفة أثارت العاطفة حول عمق المأسـاة التي يعيشـها هذا الولـدً. المهم هو أن نعبّـر بطريقـةٍ مختلفة.هذا هـو دور الكلمة الطيّبة فـي تركيز القيم وغيرها.

يقول اللّه سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

القول الأحسن أو الخطاب الأحسن، هو ذلك الذي يحترم الخصائص العمرية للمخاطب بالشكل الذي ينسجم مع المستوى الذهني له. هو ذلك الذي يستجيب لحاجاته الأساسيّة من محبة وتقدير واحترام وانتماء. هو ذلك الذي ينتخب المفردات والمصطلحات والتعابير التي يفهمها ويألفها ويرغبها، ويشعر بالإحترام من خلالها. هو ذلك الذي يؤكّد حسن التواصل، فيوثق علاقات المحبّة والمودّة والأخوّة والتعاون والإنسجام.

الخطاب الأحسن هو الذي يحمل في طيّاته ثقافةً إضافيّة تمثل حاجةً له، فتطوّر معارفه وتركّز قناعاته، وتعدّل من سلوكه ومواقفه. هو الذي يعترف بالآخر، فيحترم آراءه ويصبر عليها، ليعالجها بحكمة ومرونة ومنطقٍ وموضوعيّة. هو الذي يعتمد الآداب الإسلاميّة في الإصغاءً والحوار، فلا تعجّب ولا دهشة ولا تساؤل، بل تقديرٌ وإيجابيّة. هو الذي يُشرِك جميع فعاليات الشخصيّة الماديّة والفكريّة والروحيّة والعاطفيّة من خلال تنوّع الوسائل والمهارات الحياتيّة.

كلّ ذلك يفرض علينا أن نمتلك ثقافة التنوّع في الأساليب التي تعالج الفروقات الفرديّة، فما ينسجم مع فرد قد يكون هو الأحسن بالنسبة إليه، فقد لا يكون كذلك بالنسبة لشخصٍ آخر.

ولنا في هذا اللقاء عرضٌ للخطاب الإسلامي الموجه للناشئة مع

سماحة الشيخ «**مصطفى قصير**» مدير عام مؤسّسة التربيّة والتعليم - مدارس المهدي ﷺ، والوسائل السمعيّة - البصريّة مع الدكتور «**يوسف ملك**»، بالوسائل التعليميّة المتنوّعة التي تعتمد في المواقع التربويّة - التعليميّة مع سماحة الشيخ «**علي سنان**» نائب المدير العام لجمعيّة التعليم الديني الإسلامي (مدارس المصطفى).



الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة

الشيخ مصطفى قصير[1]

أهمية الموضوع:

أطفال اليوم هم مفاتيح التغيير وبوابة التطوير وتحقيق ما نصبو إليه في المستقبل،رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام : «**عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير**».

كما أن أطفالنا اليوم دائرة المنافسة الحادة بيننا وبين كل الناشطين في العالم الذين يرسلون أفكارهم وثقافتهم عبر مختلف الوسائل والتقنيات التي تدخل بيوتنا ومها جعنا بدون استئذان، وقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام : «**بادروا أحداثكم [أولادك] بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة**».

من الواضح أنّه لم يعد بالإمكان حبس الأطفال والناشئة في بيئة مغلقة ومحصورة ثقافياً وتربوياً، وبات من العسير إخضاعهم لنمط خاص من التوجيه والتعليم بغية ضمان الاتجاه التربوي لهم،

(١) مدير عام المؤسسة الاسلامية للتربية والتعليم.

بعد أن شـهد العالم المعاصـر ثـورة المعلوماتية والاتصـالات التي جعلت الناشـئ أمـام بحر هائل من المعلومات، وفي مواجهة سـيول مـن الخطابات تبث بشـكل حي عبـر المواقع الالكترونيـة والقنوات التلفزيونيـة والمطبوعات الورقية والالكترونية وغيرها من الوسـائل والوسـائط، التي تحمل إليه الغث والسـمين والضار والنافع والمفيد وغير المفيد، الأمر الذي يصّـمه عن الاستماع إلى الخطاب الثقافي والتربوي التقليدي الذي يتلقّاه في الأسـرة أو المدرسـة، ويشغله عن الالتفـات إليه، الأمـر الذي يدعو إلـى تحديث الخطاب الإسـلامي الموجّه للناشئة مضموناً وشكلاً وأسلوباً بما ينسجم مع الواقع القائم للوصول به إلى مستوى الجذب والتأثير والمنافسة.

وإذا كان الكلام البليغ هو المطابق لمقتضيات حال الخطاب، فلا بدّ من تجديد دراسـتنا لمقتضـيات أحوال المخاطبين من الأطفال والناشـئة من جهة القدرات اللغوية والأحوال النفسـية والاهتمامات والاسـتعدادات الذهنية، يجب أن يرتقي الخطاب الثقافي الإسلامي ليتناسـب مع كل ذلك مضـموناً، وليكون قادراً علـى جذب انتباههم وتلبية حاجاتهم والأخذ بأيديهم وبأذهانهم نحو الهدف المرتجى.

إن الأسلوب الوعظي الذي كان يغلب على الخطاب الثقافي الموجّه للناشـئة لم يعد مقبولاً، ولم يعد قادراً على التأثير ومنافسـة المواد المهيمنة على اهتمامات أطفالنا. حتى الأسـلوب التعليمي المدرسي

لم يعد لوحده كافياً لتحقيق الأهداف دون الاستعانة بالطرق والأساليب والوسائل المعينة الأخرى.

مضمون الخطاب:

يخضع المضمون الثقافي الإسلامي الموجّه للناشئة لعدة حاجات:

أولاً: الحاجات الأساسية التي تلحظها الشريعة الإسلامية وإن لم يلحظها الناشيء، وهي مادة ثقافية واسعة تتضمن ما يلي:

أ- المعارف العقائدية الضرورية، كالتوحيد والنّبوّة والإمامة والإيمان بالآخرة والحساب والثواب، بما يناسب الاستعدادات الذهنية والعقلية للمرحلة العمرية.

ب- المعارف الفقهية التي تلامس المرحلة التي يعيشها الناشئ أو تلك التي هو مقبلٌ عليها.

ج- القيم والأخلاق الفردية والاجتماعية الضرورية.

د- العادات العبادية والصحية والاجتماعية.

هـ - السير التاريخية التي تربط الناشئ بتاريخ الإسلام وخاصة المعصومين، والتي تتضمن دروساً وعبراً ومواقف تربوية.

ثانياً: الحاجات التي يعبّر عنها الناشئ عبر أسئلته التي يطرحها

علـى والديـه أو على المرّبين، وهي حاجـات تظهر نتيجة حب الاسـتطلاع، أو الملاحظة، أو التواصـل مع الزمـلاء، أو غير ذلك مما يدفعه للبحث والاستفسار وطرح الأسئلة وقد لا يكون المضـمون هنا مناسباً للمرحلة العمرية، مما يفرض نوعاً من الصياغة الدقيقة تطوّعه حسب الواقع.

ثالثـاً: الحاجـات التربويـة التـي يحدّدهـا المربّـون مـن الأهل والمعلميـن لمعالجـة حالة أو انحراف يتعرض له الناشـئ في حياته اليومية مما يستلزم التصويب والعلاج.

مهما يكن، فيجب أن يكون المضمون متّصفاً بالبساطة المفهومية وبالمستوى المتناسب مع الاستعدادات الذهنية للناشئ، ويمثّل حاجة فعلية أو قريبة من الفعلية.

صياغة الخطاب:

في صياغة الخطاب الثقافي الإسلامي لا بدّ من رعاية ما يلي:

أولاً: اعتماد البسـاطة المناسـبة للمرحلة العمرية لغة ومفهوماً، وتبسـيط المصـطلحات والأفـكار بما يجعل المضـمون قابلاً للفهم والاستيعاب.

ثانياً: الابتعاد عن الطريقة الوعظية المباشرة.

ثالثاً: استخدام أنماط حديثة للخطاب غير المباشر، كالحوارات والأساليب القصصية والمسرحية والألعاب وغير ذلك.

رابعاً: التزام الحدود الشرعية، لأنّ أي خطاب محكوم بأسقف وحدود شرعية، لأنّ الخطاب الهادف لا يجوز أن يسعى لتحقيق هدف على حساب هدف آخر.

وسائل الخطاب الثقافي:

١-القصة:

تمثّل القصة أسلوباً ناجحاً في زرع القيم والعادات بطريقة سهلة وغير مباشرة، وفي ايصال الكثير من المفاهيم وصور السيرة التاريخية، لكن هذا يتطلب الإلفات إلى ما يلي:

أ- الصياغة الأدبية الجذّابة والجميلة، وحبك فصول القصة وأحداثها بطريقة تستدرج القارئ إلى المضي فيها حتى النهاية.

ب- وضع الأهداف التربوية والمفاهيم الدينية والقيم والعادات الاجتماعية فيها بطريقة ذكيّة تنساب بشكل طبيعي في أحداثها دون إقحام. وهذا هو بيت القصيد. إنّ القصص الأجنبية التي ترجمت إلى العربية أو تمّ اقتباسها والتي تملأ رفوف المكتبات تتمحور حول موضوعات وحول اهتمامات تزرع في نفوس الأطفال من حيث لا ندري، فهي تتمحور حول الأميرة والبحث عن المال وعن الشهرة أو الانتقام، وأحيانا تقوم ببناء

موقف سلبي من امور طبيعية يعيشها الطفل في واقعه من خلال تقديمها بصورة منفّرة مع البعد عن الصواب.

نحن بإمكاننا أن نكتب قصصاً للأطفال تتمحور حول قيم العدالة والمودّة والرحمة والتعاون والوفاء والصدق والإخلاص والاستقامة وغيرها من القيم الإسلامية التي نريد أن يتربى عليها الجيل.

ج- الإخراج الفني الجميل والجذاب، فإنّ الطفل يقرأ الصورة قبل أن تقع عينه على الكلمات، إنّ قراءة الصورة لا يحتاج إلى مهارات كبيرة ولا إلى بذل جهد على خلاف الكلمات، فالرسوم والصور تفرض نفسها على الطفل وتشدّه إليها، ولذا، فإنّ الرسام والمخرج يجب أن يكونا على مستوى من الثقافة والوعي بحيث يدرك أهمية كل العناصر الموجودة في الصورة، فهي ليست مجرد حشو وملء فراغ وديكور بمقدار ما هي وسيلة تعبير وأداة تأثير، فيجب أن تكون موجّهة بإتقان، وأن تكون قادرة على إيصال الرسالة المطلوبة بوضوح وقوّة وجاذبية.

٢-الرسوم المتحرّكة:

غالباً ما يشاهد الطفل الرسوم المتحركة بدافع التسلية، ولكنها شئنا أم أبينا فهي وسيلة تربية وتثقيف وتوجيه، فلا يمكن إغفال تأثيرات الرسوم المتحركة على سلوك أطفالنا وتشكيل مواقفهم،

إنّ الميل نحو استخدام العنف مثلاً لتحقيق الأهداف قد يكتسبه الطفل من مجموعة من أفلام الرسوم المتحركة التي تبعد الطفل عن استخدام أسلوب التفكير والبحث عن الوسائل المنطقية. أفلام الرسوم المتحركة التي يشاهدها أطفالنا في الغالب وضعت من قبل الآخرين على أساس قيمهم وعاداتهم وحاجاتهم، وقد تكون وضعت لأهداف تجارية محضة، وربما لوحظ فيها أهداف تربوية فاسدة عن عمد.

من الممكن إذا لم يكن من الضروري العمل على إنتاج دائم ومستمر لرسوم متحركة تناسب المراحل العمرية وبحرفية عالية تركّز على محاور تربوية مغايرة لما هو موجود في السوق.

ولكي يتحقق هذا الهدف يجب ان ترعى انتاج هذه الوسائل مؤسسات تحمل تخصصاً تربوياً اسلامياً فبل التخصص الفني، لان العبرة بصياغة الاهداف التربوية والثقافية بدقة وبما يناسب الشرائح المستهدفة قبل العمل على وضعها في القوالب الفنية بالتأكيد.

٣-الأفلام الروائية:

أيضاً هي وسيلة خطاب ثقافي إذا أُحسن اختيار الرواية والسيناريو والإخراج وجودة التمثيل والمؤثرات الاخرى، يمكن لهذه الوسيلة أن تؤدّي دوراً فاعلاً يتجاوز بتأثيره المحاضرات والكتب والدروس وغيرها.

ويكمـن التأثير في كون الطفل لا يمل مشـاهدة الافلام لسـاعات متواصـلة ويبقى منشداً اليها متسـمراً امامها دون تعب ويتابع بدقة كل التفاصـيل وترسـخ في ذهنه، بل هو لا يملّ من تكرار المشـاهدة لنفس الفيلم، بينما يشـعر بالملل سـريعا عند الاستماع للموعظه ولا يتحمل تكرار استماعها على الاطلاق.

وتبقى العبرة في المضـمون الموجّه والأسلوب الجذّاب، إنّ انتاج أفلام الأطفال والناشئة أكثر صعوبة وتعقيداً من إنتاج أفلام الكبار، كما أنّ خطابهم كذلك أصعب بكثير.

٤-الكتاب المدرسي:

هذه الوسيلة في الخطاب الثقافي الاسلامي أهميتها تكمن في كونها واقعاً قائماً لا زال معتمداً حتى الآن، لكنّ الكتاب المدرسي يجري فيه ما يجري في القصة من حاجته دائماً إلى التحديث واختيار الأسلوب الجذّاب وتدعيم الكتاب بالرسوم الموجّهة، ووسائل الإيضاح.

الكتـاب المدرسـي اليـوم لم يعـد بغنى عن القصـة المنفصـلة والرسـوم المتحركة التي تتمّم له دوره وربمـا الأفلام والألعاب التي باتت جزءاً من الكتاب تقدّم عبر أقراص رديفة، بل ربما تتجه الامور الى التحول نحو الكتاب الالكتروني بالكامل وعليه فتشـكل الوسـائل المسـاعدة خطوة على هذا الطريق. فلم يعد الكتاب المدرسي بغنى عن تطعيمه بالوسائل الأخرى التي تتكامل معه.

الكتـاب المدرسـي النـاجح هو الذي يحرّك المتعلّـم نحو التفكير والاستكشـاف والتحليل والاسـتنتاج، قبـل أن يقّـدم للتلميذ الهدف التعليمي، لان الطفل غالباً لا يفضل الاسلوب التلقيني.

٥-المسرح:

المسـرح من الأسـاليب المؤثرة جـداً في التوجيـه والتعليم، لأنّ المسـرح يصـنع واقعاً ملموسـاً ويعالج إشـكاليات معاشـة باسلوب محسـوس عبـر التمثيل فيمكن اسـتخدامه كأسـلوب فـي الخطاب الدينـي والثقافي الإسـلامي، لكـن يجري فيه مايجري في القصـة وبقية الوسائل من حيث المضـمون والصياغة الادبية ومهارة الاداء والاخـراج والمؤثرات المتنوعة التي تعطي العمل المسـرحي قوة في التاثير ومخاطبة الاحاسـيس المتنوعة. اننا نعاني من فقر مدقع في الانتاج المسـرحي بشـكل عام والموجه للناشئة بشكل خاص، فضلاً عن المسرح الذي يحمل مضموناً دينياً وقيمياً هادفاً.

٦-الألعاب الالكترونية:

الالعاب والمسابقات الالكترونية وسيلة قابلة للانتاج بدون الكثير من التعقيدات، وهي وسيلة شيّقة، تمزج بين التسلية المحبّبة للناشئة والتدريب على الملاحظة والاستكشاف والتفكير والاستنتاج، ويمكن مـن خلالهـا ايصـال المفاهيـم الثقافية، هنـاك محـاولات موفّقة شهدناها لادخال هذا الاسلوب الى الساحة الاسلامية لكنها لا زالت

في بدايــة الطريق من حيث التنــوع والجودة والانتشــار، مقارنة بما يملأ الدنيا ويغرق اسواقنا من ألعاب الكترونيّة خطيرة تتمحور حول العنــف والقتل والاحتيال وجمع المــال والثروة وامثال ذلك مما نحن بحاجة الى استبداله بما يخدم اهدافنا التربوية والثقافية.

الصعوبات والتحديات

رغم أهمية ما نشــهده اليوم من نقلة نوعية باتجاه مأسسة العمل التربوي الإسلامي، وتطوير وسائل الخطاب الثقافي الإسلامي بشكل عام والموجه للناشــئة بشــكل خاص، ورغم النجاحات التي تحققت حتــى الآن، إلا انــه لا زال هنــاك العديــد مــن الثغــرات والكثير من الصعوبات التي تحتاج إلى تذليل، لقد انتقلنا من المبادرات الفردية التي كانت سائدة لقرون في تحديد أولويات الخطاب وطريقة عرضه واختيار وســائله، إلــى العمل المنظم والممنهج، ومــن النظرة الآنية والتشــغيلية إلى الرؤية الإستراتيجية والشــمولية، لكننا إذا قارنا ما تحقق مــع حجم الحاجــات الفعليــة والمســتقبلية، وإذا قارنا جودة المنتج مع ما يعرضــه المنافسون لنا ولثقافتنا، سوف ندرك ما يجب فعله وما يجب العمل عليه وهو كبير جداً.

وتواجه المؤسســات التعليمية والثقافية في ســبيل إنتاج الخطاب الثقافي الإسلامي المناسب على مستوى المضمون والكيفية ومهارات المثقف والمربي والوسائل المساعدة صعوبات عدة أهمها ما يلي:

١-صعوبة الخروج لدى الكثيرين من النمطية التي تربّى عليها الأجيال السابقة، والطريقة التقليدية التي كانت معتمدة في الخطاب الثقافي، والتي بات تأثيرها اليوم محدداً في ساحة محتدمة في المنافسة.

٢-النقص الكبير في الإعداد والتأهيل المسبق للمربين والمتصدين للشأن التثقيفي في مجال الخطاب الثقافي الموجه للناشئة وفق تقنيات العصر وأساليبه المتطورة، فان الأكاديميات التي تعنى بتخريج المربين نجحت بإعداد معلم وفق المناهج الأكاديمية المعتمدة ولكنها لم تلحظ أبدا دور هذا المعلم في بناء الثقافة الإسلامية، ولم يتم توفير البدائل في ساحتنا الخاصة، والجهود المبذولة في الإعداد على أهميتها لا زالت دون المستوى المطلوب والمناسب، والمبادرات القائمة لم ترتق إلى مستوى العمل الممنهج الثابت.

٣-غياب أو ندرة العديد من المهارات المهمة المطلوبة لتطوير الخطاب الثقافي، وصعوبة توفير بعض الاختصاصات الفنية في الوسط الإسلامي المتدين والمثقف اسلامياً لإثراء الساحة بمتطلباتها من الوسائل والتقنيات، وتسخير التطور التقني لخدمة الخطاب الثقافي الإسلامي بشكل عام والموجه للناشئة بشكل خاص.

٤-مشكلة التأخر في الصياغة المنهجية للمادة التقافية المطلوبة فـي مختلف الأوسـاط العاملة في هذا الحقـل، فنحن لا نجد منظومة القيم مصـاغة بطريقـة منهجية حديثة لتوضـع في تصـرف العامليـن في التربيـة، ولا نجد السـيرة مثلا مدونة بطريقـة منهجيـة تعليميـة مهذبة تعكس ما يجب عرضـه من مواقف للاعتبار والتعلم والتحليل والاستنتاج... (لو علم الناس محاسن كلامنا لاتبعونا).

٥-الكلفة العالية لإنتاج الوسائل الحديثة المساعدة والمؤثرة، مما يعني ضـرورة تبني الجهات الممولة لهذه المشاريع، كما يجب إنشـاء مؤسسـات إنتاج وتسويق للوسائل السـمعية والبصرية والمقـروءة تتمكـن من عرضـ هذه المـواد بأثمان مناسـبة، وزهيـدة، حتـى لا تتحمل جهة واحدة كلفـة الإنتاج وتعجز عن اسـتردادها، خاصـة مع الأوضـاع الاقتصـادية الصعبة لدى أغلبية الشرائح المستهدفة.

إننا إذ نطرح هذه الصعوبات لا نعني أننا نعلق على إيجاد الحلول، وإنما نعتبر أن تجاوز الصـعوبات يسرع العمل ويسهل الوصول إلى ما هو أفضل بلا شك.

في الختام:

يبقى هنا أن نشير إلى أنّ ما تقدّم يفرض الحاجة إلى مجموعة من الاختصاصات الفنية والمهارات التي تحتاج إلى إعداد مسبق، وإلا فسنبقى نسترجع صدى نداءاتنا دون جدوى.

- نحتاج إلى مجموعة كبيرة من الخبراء الماهرين في مجال أدب الأطفال لكتابة القصة والمسرحية وإعداد السيناريوهات.
- نحتاج إلى مخرجين مسرحيين ومخرجي أفلام على مستوى عالٍ من الاحتراف.
- نحتاج إلى ماهرين في صناعة أفلام الكارتون والرسوم المتحركة والالعاب الالكترونية.

لكن يجب أن يكون هؤلاء جميعاً يحملون خلفيات ثقافية إسلامية تمكّنهم من صبّ نتاجاتهم في القوالب الفنية التي تراعي الأهداف الإسلامية وتراعي شروطها وحدودها، وهذا ما يجب ان تعمل عليه مراكز التوجيه والارشاد والجهات المانحة التي تقوم بدعم الدراسة الجامعية، وهذا من أهم الاستثمارات في عصرنا الحاضر.

الأسلوب الأنجح لخطاب الناشئة:
الوسائل السمعية والبصرية

د. يوسف ملك[1]

الخطوط العريضة للدراسة:

- **الباب الأول:** التعريف بالوسائل السمعية والبصرية: ماهيتها وكيفية تأثيرها على الفرد.
- **البـاب الثاني:** واقع الوسائل السمعية والبصرية في مجتمعنا اللبناني والعربي والعلاقة بين المحطات التلفزيونية وخاصة منهـا الفضـائيات ومكامن الثغـرات التي يتسـلل منها الغزو الفكري إلى الشباب.
- **الباب الثالث:** الحلول والمقترحات

الباب الأول: التعريف بالوسائل السمعية والبصرية

التعريف:

عرفت الوسائل السمعية والبصرية على أنها أجهزة وأدوات وهي

(١) أستاذ في الجامعة اللبنانية.

بمعناها الشامل تضم جميع الطرق والأدوات والأجهزة والتنظيمات المستخدمة في نظام ما بغرض تحقيق أهداف محددة فالوسائل السمعية والبصرية بمفهومها التقليدي وباختصار عبارة عن قنوات الاتصال التي تنقل أو تنتقل بواسطتها المعرفة.

الوسائل السمعية:

هي تضم الأدوات التي تعتمد على حاسة السمع ومن بينها التسجيلات الصوتية وأجهزتها والمقصود هنا هو كل جهاز يستخدم لتسجيل الأصوات أو تسجيلها وقراءتها بواسطة مواد سمعية تسمى التسجيلات الصوتية.

الوسائل البصرية:

هي تضم الأدوات التي تعتمد على حاسة النظر ومن بينها النصوص والصور على أنواعها (الصور الثابتة، الرسومات، الرموز، ألخ.).

الوسائل السمعية-البصرية:

هي ما يعرف بالإعلام المرئي والذي غالبا ما يكون مصحوبا بالنص والصوت فنسميه الإعلام المرئي والمسموع وهو كل عملية بث تليفزيوني أو إذاعي توصل للجمهور إشارات أو صوراً أو أصوات أو كتابات من أي نوع كانت وذلك بواسطة القنوات والموجات وأجهزة البث والشبكات وغيرها من تقنيات ووسائل وأساليب البث أو النقل.

كيفية تأثير الوسائل السمعية والبصرية على الفرد

يعتبر الإعلام المرئي والمسموع من أبلغ وسائل التخاطب، ويلعب دوراً مهماً في النهوض بالبنية الفوقية للمجتمع بصـفته أداة لتنمية الوعي وهو يشكل الركيزة الأساسية لأي مجتمع، فهو وسيلة من وسائل نشـر الآراء والأفكار التي تمس غالبية المواطنين. وهو في الأسـاس وسيلة من وسـائل التعبير عن الرأي، موضوع لمصلحة الفرد، حيث يضـمن له حقه في الحصول على المعلومات عن طريق تنوع مصادر الإعـلام، والإعلام المرئي والمسـموع يتميز على إنه عامل تشـويق يثيـر اهتمام الأفراد كما يتميز بقدرته على إثارة نفسـيتهم والتأثير بهم نفسيا وعقليا.

مـن المعروف بـإن المعلومات والمعارف تعتمد بشـكل أساسـي على الذاكرة سـواء أكانت الذاكرة لفظية أم بصرية. فالذاكرة هي الميـزة التي تتـرك للمعلومات والمعارف المكتسـبة آثارا تتقوم بها التجربة ويتعدل بها السـلوك. وترتبط الصورة المتحركة كالأفلام التلفزيونية أو السـينمائية بالذاكرة التي تسـتطيع تحريك المخزن وإحيـاء ما بات راكدا بمجرد اسـتثارتها بموقف أو صـورة أو حدث أوكلمـة.

الصورة المتحركة والتأثير الفوري:

وهي خاصة تتميز بها الصورة. فهي تشعر المشاهد أنه يمر بالخبرة نفسها التي تعرض أمامه Le spectateur s'identifie au personnage، مما يساعده على تسريع تثبيت المعرفة. كما أنها تزيده إحساسا بأهمية ما يشاهده. فهذه أمور تجذب انتباه المشاهد وتدفعه دفعا للتعرف عليها.

إن الصورة هي فن من الفنون الحديثة، فن مكاني واقعي، تقوم على ارتباط وتآلف الأبعاد الثلاثة التالية: المرسل - الخطاب - المستقبِل. فالمرسل هو المربي الذي يحسن انتقاء الصورة التي يتخذها وسيلة لتوجيه خطابه المعرفي وجعله مشوقا. والمستقبل هو المشاهد الشاب الذي يستجيب للبرنامج التثقيفي. وهذا النوع من الوسائل يسرع في عملية توصيل المعرفة.

إن الصورة تخاطب حاستي السمع والبصر في آن واحد وهذا سر نجاحها في تحقيق المعرفة وذلك بسبب الطبيعة التلازمية لهذه الثنائية، إذ لا يمكن تصور فصل الصورة عن الكلمة في الصورة المتحركة كالأفلام وأشرطة فيديو. فالمرء يتفاعل بنسبة ١٠ بالمائة مما يقرأه و٢٠ مما يسمعه و٣٠ مما يراه و٧٠ مما يراه ويسمعه.

بعد هذا العرض عن كيفية تأثير الوسائل السمعية-البصرية على الأفراد لا بد أن نذكّر بكيفية عمل دماغ الإنسان. فدماغ الإنسان

مقسـوم إلى قسـمين القسـم الأيسـر وهو مسـؤول عـن اللألفاظ، المنطـق، التفكيـر والعمليات الحسـابية بينمـا القسـم الأيمن فهو مسـؤول عن الحدس، المشـاعر، الحس الفني، الموسـيقى ومعرفة الأشـكال. فيجب أن يكون هناك تعاون ما بين القسم الأيسر والقسم الأيمن من الدماغ لكي تتكون المعرفة وبالتالي تنشـط الذاكرة. فما بـك من الصـورة المتحركـة التي تحاكي القسـمين معـا وفي نفس الوقت. هنا تكمن أهمية اسـتخدام الوسـائل السمعية-البصرية في تنشئة الشباب لكي تكون أكثر فعالية.

الباب الثاني: واقع الوسائل السمعية والبصرية

في مجتمعنا اللبناني والعربي والعلاقة بين المحطات التلفزيونية وخاصـة منها الفضـائيات ومكامن الثغرات التي يتسـلل منها الغزو الفكري إلى الشـباب قال عَوْفَ بْنَ مَالك أَتَيْتُ يوما النَّبِيَّ فَقَالَ اعْدُدْ سِـتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَة، فذكر منها فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ بيوت الْعَرَبِ إِلا دَخَلَتْهُ.

ان أخطر ما يواجه به المسلمون اليوم، ذلك الغزو الوافد إلينا عن طريق القنوات التلفزيونية الفضائية، تلك الفتنة التي لم يبق بيت من بيوتنـا إلا دخلته، فمع بداية كل يوم تبدأ جيوش من وسـائل الإعلام نشـاطها المحموم لتغـزو حرمة مجتمعنا، وتقتحم على شـعوبنا في الغرفات خلوتهم، مئات من الفضـائيات تلعـب دورا خطيرا في قلب

مفاهيم الشباب واهتماماتهم، وتفتح أبوابها وأبواقها وتسخر أدواتها وإمكانياتها للفكر الانحلالي الذي يسيطر على بعض المجتمعات.

من هنا جاءت هذه الدراسة في البحث عن العلاقة بين الفضائيات ومكامن الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري إلى الشباب وسائر فئات المجتمع العربي والإسلامي تلك الفضائيات المتنوعة في برامجها، تمثل امتدادا لقضية الغزو الفكري التي تبناها العدو عبر مراحل صراعه مع أمتنا العربية والإسلامية، سواء كانت هذه البرامج هي بذاتها برامج غربية أو محاكاة لها.

والذي يؤرق الأعداء أنهم مع ما بذلوا من جهد جهيد، وجدوا على مشارف القرن الجديد، رجالا يحملون قضية الأمة ويحفظون حدودها ويزيدون من صلابة مناعتها، فلا يزال في الأمة من يؤرقهم، وهذا ما دعا الأعداء لأن يزيدوا من حملتهم المسعورة ضد الأمة ويضاعفوا من خططهم المبتورة ومؤامراتهم لإفسادهم العرب والمسلمين وإخراجهم من مجتمعهم ودينهم، وجعلهم دمى يحركونها كيفما أرادوا، يقول تعالى:

﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَتِلُونَكُم حتى يَرُدوكُم عَن دِينكُم إِن استَطَاعُوا وَمَن يَرتَدِد منكُم عَن دِينِه فَيَمُت وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولئكَ حَبِطَت أَعمَلُهُم فِي الدنيَا وَالآخِرَةِ وَأُولئِكَ أَصحَبُ النارِ هُم فِيهَا خَلِدُون ﴾. واستغلالا للتقنية الإعلامية الحديثة في انتشار الصورة المرئية عبر القنوات الفضائية

ظهرت حرب الفضـائيات كغزو جديد، غزو لا تشارك فيه الطائرات ولا الدبابات ولا القنابل والمدرعات، غزو ليس له في صفوف الأعداء خسـائر تذكر، ولا نفقات كبيـرة تبذل، ولكنه علـى الرغم من ذلك يؤدي إلي هدم جيل الشـباب في صـفوف العرب والمسـلمين. وهنا تجدر الإشـارة إلـى أن اليهود وقفوا علي أهميـة الإعلام وتأثيره في حياة الشـعوب، فقد هبوا للاسـتئثار به وتصـريفه وفق ما يريدون، فشـبكات التلفزة العالمية الشـهيرة تقع تحت سـيطرة اليهود. (ما تخفوش)

إن هذا الغزو القادم إلينا من الفضاء يفعل ما لا تفعله الطائرات ولا الدبابـات، ولا الجيوشـ، إنه يهدمُ العقائد الصـحيحة والأخلاق الكريمة والعادات الحسنة والشيم الحميدة والعادات الجميلة، ومتى تخلـت الأمة عـن عقيدتها وأخلاقها وقيمها سـقطت فـي المجهول والانحلال. مئات من الفضائيات تلعب دورا خطيرا في قلب مفاهيم الشـباب واهتماماتهم، فهي تصرف هم الشباب وتحول اهتماماتهم مـن الالتفـاف حول العقيـدة والانتصـار لديـن الله، والاندفاع نحو خدمة الأمة إلى الاهتمام بالمظاهر والانغماس في الشهوات والتعلق بالأضواء والسطحيات، حتى غدا الشباب وهو في زهرة عمره، يتطلع إلـي البطولات وإبراز الذات، أو النجاح في التقاط علاقات محرمة، أملاها عليه فيلم سينمائي أو قصة مكتوبة أو برنامج مذاع أو دعايات

مكثفة. أثبتت الدراسات العلمية وجود علاقة بين ما يشاهده الشباب وبين الانحراف، فقد أثبتت دراسة بحثية على الشباب أن نسبة ١٦,٧٪ فقط يشاهدون برامج توجيهية (دينية، ثقافية، علمية) في حين نسبة ٥١٪ يشاهدون البرامج الرياضية، بينما ٦٤,٢٪ يشاهدون برامج مثيرة كالأفلام والمسلسلات والمسرحيات.

ولاشك أن نوعية البرامج التي يشاهدها الفرد لها أثرها الواضح في سلوكه، والعكس صحيح، فمن يشاهد البرامج المثيرة للغرائز قد تكون دافعة للجنوح من خلال ما يكتسبه المشاهد منها من مواقف تدفعه لتقمصها ومحاولة تقليدها.

أظهرت بعض الدراسات أن نسبة ٣٢٪ من المنحرفين يقلدون بعض المشاهد التي يشاهدونها في الأفلام، كما أكدت دراسات أخرى أن مشاهدة برامج العنف قد تؤدي إلي سلوك عدواني مستقبلا، وأصدرت منظمة اليونسكو الدولية تقريرا عن خطورة برامج الإعلام على الشباب حيث اعتبرت المنظمة أن أفلام العصابات تؤدي إلي اضطرابات أخلاقية تكمن وراء الجرائم المختلفة، كل ذلك يدل علي حجم تأثير وسائل الإعلام بمختلف أنواعها المقروءة والمسموعة والمرئية على الشخصية العادية فضلا عن الفئة الشبابية، وتبين هذه الدراسات مقدار ما تبثه من دواعي الشر وأسبابه، وتقديمه لفئة سريعة التأثر والانجذاب إليه، خاصة وأنه يُعرض في صورة

تأسر أصحاب النفوس المضطربة. لقد جعلت هذه الفضائيات أغلب الناس عاكفين في بيوتهم على التلفزيون متنقلين من قناة إلى قناة، بحثا عن متعة، أو لذة، أو حتى سعادة زائفة، حملتها أفلام هابطة، وسلوكيات ساقطة، وعقائد فاسدة.

أن ما تنقله وتبثه محطات التلفزة اليوم في العالم من أنواع الفتن والفساد والعقائد الباطلة والدعوة إلى أنواع الكفر والإلحاد، مع ما يبثه من الصور النسائية، ومجالس الخمر والفساد، وسائر أنواع الشر الموجودة في الخارج بواسطة التلفاز، يجعل من الواجب علينا التنبيه على خطورتها، مع وجوب محاربتها والحذر منها، وحتى انه دعى بعض التيارات في الدول الإسلامية إلى تحريم استعمالها في البيوت وغيرها، وتحريم بيعها وشرائها وصناعتها أيضا، لما في ذلك من ضرر وفساد وتعاون على الإثم والعدوان ونشر الكفر والفساد بين المسلمين. إن الواجب على كل مسلم ومسلمة الحذر من ذلك والتواصي بتركها والتناصح في ذلك عملا بقول اللّه عز وجل:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَي البـِرِ وَالتقوَي وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَي الإِثمِ وَالعُدوَانِ وَاتقُوا اللهَ إِن اللهَ شَدِيدُ آلعِقَاب ﴾[1].

هناك الكثير من نماذج ما يعرض على الشاشات المصرية والشاشات اللبنانية من فلتان وفسق وخرق لحرمات المنزل: نوم

(١) المائدة: ٢

الفتيات والشباب خارج منزل الأهل، زواج صوري، سكن منفرد، خمر ألخ (مسلسلات رمضان). (تضمين مناهج الدراسات السينمائية مواد ذات علاقة بأخلاقيات مجتمعاتنا)

فقد أظهرت إحصائية علمية ضمن رسالة جامعية بعضا من السلبيات المنعكسة علي الأسرة بسبب متابعتها للقنوات التلفزيونية وخصوصا الفضائية، وجاء ضمن ذلك أن نسبة ٨٥ ٪ من جمهور المشاهدين يحرصون علي مشاهدة القنوات التي تعرض المناظر الإباحية، ونسبة ٥٣٪ قلت لديهن تأدية الفرائض الدينية، ونسبة ٣٢٪ تراجع تحصيلهم الدراسي، ونسبة ٤٢٪ يتطلع للزواج المبكر ولو كان عرفيا، ٢٢٪ من النساء تعرضن للإصابة بأمراض نسائية نتيجة ممارسة عادات خاطئة. ومن التأثير الخطير الذي تحدثه متابعة معظم هذه النوعية من الفضائيات إضعاف عقيدة الولاء.

قررت عارضة الأزياء سيندي كروفورد منع ابنتها من حضور السلسلة التلفزيونية Hannah Montana لأن البرنامج يحولها إلى فتاة فظة أحيانا. وتقول كروفورد إن ابنتها باتت تكلمها بوقاحة وازدادت عنجهيتها بعد أن حضرت عدة حلقات من الدراما الشهيرة التي تحكي قصة طالبة مدرسية تعيش حياة سرية كنجمة موسيقية مشهورة وتؤكد كروفورد أن تلك الدراما مميزة جدا إلا أن ابنتها لا تتعلم منها إلا الأفكار السيئة والتي لا تتماشى مع أسلوب تربيتها.

الباب الثالث: الحلول والمقترحات

- كان طبيعيا لقنوات تكرس لمثل هذه البرامج ألا تعير اهتماما للبرامج الدينية والأخلاقية والتي تدعو إلي القيم والفضيلة، فمن العجب أن أغلب المحطات التلفزيونية وخاصة منها الفضائيات ما زالت تتعامل مع الإسلام كشعار ديني للتبرك به عند افتتاح البرامج، حيث تقدم عدة دقائق تلاوة من القرآن الكريم وكذلك عند الختام، مرورا بنقل شعائر صلاة الجمعة والأعياد، والإشارة إلى مواعيد الأذان، فضلا عن تقديم الأحاديث الدينية في دقيقتين قبل نشرات الأخبار، كما هو معروف وفق الأساليب اليومية النمطية القديمة ذات الأسلوب التلقيني الخطابي الجامد، الأسلوب الخال من إثارة كوامن المعرفة وتلقيها والتشويق بوسائل الجذب المشروع، بالرغم من أن روح العصر تفرض علينا الابتكار والجدة والإبداع وإيجاد وسائل تشويق، تجذب الأطفال والشباب، ومن ثم الانطلاق نحو محطات تلفزيونية أرحب وأوسع لإيصال صورة المجتمع الشرقي والإسلامي الحقيقية إلى الناس.
- من هنا توجبت الدعوة إلى إنشاء محطات تلفزيونية إسلامية، وأصبح الأمر ملحا منذ أن ظهرت الأقمار الصناعية الرقمية واستخدمت في مجالات البث التليفزيوني، وخصوصا بعدما تعرضت المنطقة العربية الإسلامية للعديد من القنوات الفضائية

الغربيــة، التي حملت أفكارا وثقافــات تختلف عن ثقافتنا وقيمنا، فهذه القنوات تهدد الهوية الثقافية العربية والإسلامية، علما بأنه شــعرت بعض المؤسسات بالمســؤولية وأسهمت في إنشاء العديد من القنوات الفضــائية، التي يغلب عليها النمط الإسلامي، وكان أحد الأهداف التي تسعى إليها هذه القنوات تحسين صورة العرب والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية والرد على الافتراءات التي تقدمها وسائل الإعلام الغربية عن الإسلام.

- إن حاجتنا لمحطات تلفزيونية أرضــية وفضــائية إسلامية حاجة ماســة، فلو سخرت قناة كاملة لإرشاد الناس إلى ما فيه خيرهم، وتحذيرهــم مــن الخرافات والبدع، ورفع راية الفضــائل وكشــف عوار الرذائل، لكان ذلك زبدة الخير في هذا العصر الذي يبحث عنه الخلص من المســلمين، بل ما زالوا في تلهف إلى رؤيته على أرض الواقع.

- إن الطموحــات الإعلاميــة تكمــن فــي إطــلاق أقمــار صــناعية إســلامية كمــا أطلقنا قمــرا صــناعيا عربيا ومصــريا، لأن هذا القمر يهدف إلى الدفاع عن الدعوة الإسلامية، كما أن الغاية من هذه المنظومة أيضــا هي الوصــول إلي الجمهور الأجنبي باللغات الأجنبية، والتوجه صوب الولايات المتحدة الأمريكية وصوب دول أوروبا الغربية.

- كما أنه أصبح من الضروري الآن تعديل أو تغيير الصورة المكونة عن الإسلام والدول الإسلامية لدى الدول الأجنبية، وهذا يستلزم التوجه إليهم بلغتهم، وهو ما بدأت فيه بعض الدول العربية والإسلامية، ونشير إلى أهمية إنشاء قناة باللغة العبرية للوصول للرأي العام الإسرائيلي، وشرح وجهة النظر العربية والإسلامية.
- مشروع القناة الهادفة هام جدا ويجب أن تبذل له الكثير من الجهود والطاقات، ويجب أن ترصد له موازنة ضخمة، حتى يستطيع المنافسة في خضم هذه القنوات، ولذلك لابد أن تكون البداية قوية حتى تعطي مصداقية وقبولا منذ بدء البث وليس بعد حين.
- من الأسس التي يجب أن تقوم عليها تلك القناة الإسلامية أن تعتمد الشمولية فيما تقدمه، فهي تقدم المادة التربوية والثقافية والدينية فضلا عن المواد الترفيهية ضمن الضوابط الإسلامية، ويجب أن تكون القناة عامة لكل أفراد المجتمع، الطفل له نصيب، والمرأة كذلك فضلا عن الرجل وشريحة الشباب بجنسيه مهمة حتى تكون القناة بديلا معقولا عن الغثاء النازل من الفضاء، أما لغة الخطاب فتكون بسيطة وعامة وتستهدف المشاهد العادي، ولا بأس من وجود مواد للمثقفين والنخب الاجتماعية، ويمكن لها أن تنافس وبقوة في ظل الزخم الفضائي الهابط والممل،

فالناس أصابها الضجر من القنوات الأخرى التي لا تحترم عقل المشاهد ولا ذوقه، ولا تعبأ بخلفيته الدينية وقيمه الاجتماعية، ولا نشك في أنها بإذن الله سوف تنجح، ليس بالضرورة ماديا لكن من المؤكد إسلاميا وأدبيا، فالناس يتلمسون مثل هذا المشروع وينتظرونه.

- وليس من مهمة القناة جمع الناس حول قضايا معينة، بل يكفي أنها تؤدي دوراً توعويا في قضايا الأمة الكلية، وتدعم قضايا المسلمين وعلى رأسها قضية الصراع اليهودي في فلسطين وسائر المضطهدين من المسلمين.

- فالقناة الإسلامية الهادفة، ليست قاصرة على البرامج الدينية بكافة وسائلها ولكنها أوسع من ذلك، فهي تقدم مواد دينية ومواد تعليمية عامة، ومواد ترفيهية لأفراد الأسرة لكن كل ذلك داخل الإطار الإسلامي، بمعني آخر أنها تقدم كل شيء بشرط ألا يخالف أصول الدين وضوابطه المحددة والمتفق عليها.

- ولا يخفى على أحد أهمية القنوات الفضائية لسعة الرقعة التي تصلها من أرجاء العالم أولا، ولزيادة أهمية جهاز التلفاز في حياة كل فرد تقريبا في المجتمعات العالمية عامة وفي مجتمعاتنا الشرقية خاصة، ولأن المجال مفتوح فإن الفضائيات التي تقدم أنواع عديدة من برامج الترفيه لاقت رواجا عند فئات مختلفة

من المشاهدين، ووسط هذه المعمعة لابد من بروز رسائل الخير ووسائط الحق، فلا بد أن نحدد أولوياتنا.

- وإذا كان عالمنا الإسلامي والعربي يحفل بخطوط حمراء عديدة، فعلى القنوات المختلفة أن تختار بين الوصول للجميع مما يفي إرضاء الجميع مع التنازل عن بعض الأهداف، أو عبور بعض الخطوط الحمراء لتحجب رسالتها عن بعض الفئات، والحل الوسط هو الذكاء في المعالجة والمداراة بعيدا عن المماراة والتورية بعيدا عن التعرية.

أنواع البرامج التي من الممكن أن تبث:

طبيعي أن تجد تباينا في حاجة الناس للبرامج المرئية واهتماماتهم بها، ولذلك لا بد من تغطية رغبات الناس وميولهم المتنوعة ولكن التركيز لا بد أن يكون على محاور أربعة محددة هي:

١- المحور التربوي الذي يهتم بسلوك الناس وتوجيههم نحو إصلاح الدنيا ونجاح الآخرة.

٢- المحور الثاني هو التعليمي الذي يهتم بإيصال المادة الشرعية الضرورية للإنسان وما يناسب عرضها مرئية. (بعض المسلمين يفتقدون للحجة القوية في وجه من يشكك في ديننا)

٣- المحور الثالث هو الثقافي وهو بطبيعة الحال يحمل التنوع بداخله.

٤- أما المحور الرابع فهو الترفيهي والترفيه في هذه القناة جزء مكمل مطلوب وليس مقصود بذاته ورغم حاجة هذا المحور لضوابط عديدة إلا أنه لا يمكن إغفاله بل يجب صياغته بالطريقة المناسبة.

ما نحتاج إليه هو أن تحدد محطاتنا التلفزيونية ،والفضائية منها القضايا الفعلية التي يحتاجها الطفل العربي وإعداد برامج تنمى القيم وتحافظ على العادات التي نشأ عليها وتحثه على التحلي بأخلاق المجتمع الذي يعيشه ولابد من إنتاج أفلام وحكايات إسلامية بأسلوب مبسط تؤثر إيجاباً في عقلية الطفل وتساعده في المحافظة على عاداته التي نشأ عليها وقد تساعد البرامج الهادفة في إدراك الأطفال لمفهوم الانتفاضة مثلاً فنحن نرى أطفالنا اليوم متفاعلين مع ما يشاهدونه في الأخبار وفي برامج الكبار وسيكون الأثر أكبر لو توجهت لهم برامج تناسب إدراكهم وتوضح مفهوم النزاع وجرائم إسرائيل ضد الإنسانية....

المراجع

- د. بشير عبد الرحيم الكلوب، التكنولوجيا في عملية التعلم والتعليم، دار النشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٢

- د. فخر الدين القلا، د.محمد وحيد صيام، تقنيات التعليم، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٤-١٩٩٥

- الفضائيات والغزو الفكري، بحث من إعداد د. محمود بن عبد الرازق الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد \(htm.١/٤٣٦٢/http://islamport.com/w/amm/Web)

- د٠ حنان سليم أستاذ الصحافة بجامعة أسيوط ؛ «**الفضائيات العربية اغتالت براءة الطفل العربي !**»، عربيات: ممدوح الصغير Oct ٦، (www.arabiyat.com/arabiyat/culture/stars/١٥١. html) ٢٠٠٢، ٠٨:١٤

- الآثار المترتبة على الرسوم المتحركة أبو رعد محمد السبيعي

(htm.http://saaid.net/arabic/ar١٩)

- ينسخون من القنوات الإباحية ويعرضون على أبنائنا وكر نشر الفاحشة والرذيلة ينهار أمام حراس الفضيلة !: تغطية ومتابعة: يوسف بن ناصر البواردي (.http://www.suhuf.net

(htm.is١٣/٢/٢٠٠٠jaz/jun/sa

www.almualem.net

www.alyaseer.net

إطلالة على واقع الأساليب المعتمدة في خطاب الناشئة

الشيخ علي سنان [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا و نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

مقدمة:

نعيش اليوم في عالم متغير يشهد انفجاراً معرفياً هائلاً تنوعت فيه أساليب الخطاب، وتعددت فيه المرجعيات والتبست فيه المفاهيم والأفكار، لذلك كان لا بد من تأصيل القواعد ومنهجة الأفكار وفقاً للرؤية التي يرتكز عليها البحث، والمنظومة القِيَمِيَة التي تتبنى عليها هذه الرؤية، وهذا ما يتطلب منّا الوقوف على بعض القضايا لإيجاد المحددات البنيوية والفكرية التي تتأسس عليها هذه الرؤية، لاعتماد الأساليب والوسائل اللازمة لمعالجة مكامن الخلل فيها، والوصول إلى نتائج منسجمة ومتوافقة مع الأنساق المعرفية والعملية التي تنضوي تحت لوائها.

(١) نائب مدير عام جمعية التعليم الديني الإسلامي.

تطور مفهوم الخطاب:

ارتقى مفهـوم الخطاب وتدرج مع المراحـل التاريخية المتعاقبة فانتقل مـن حال الخطاب الذي يعني طرفـاه المتكلم والمتلقي، وما بينهما الموضـوع المرسَل، إلى وجود نسـق في التفكير ومنهاج يعبر عن الأفكار والتصـورات التـي لم يعد الخطاب معها مجرد أسـلوب للتبليغ، وطريقـة للتعبير عن الرأي والموقف، ولكنه أضـحى الوعاء المعبّـر عن الروح والعقيدة والفلسـفة والمذهـب، وإلى هذا المعنى تنصـرف الأذهان عند الحديث عن الخطاب الإسلامي، باعتبار أنّ المقصـود هو الأسلوب الذي يخاطب به المسلمون العالم، والمنهاج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم وآراءهم ومواقفهم التي يريدون إيصالها إلى القطاع الأوسع من الرأي العام العالمي.

تعريف الخطاب:

الخطاب في أبسـط تعريفاته هو اللغة في طور الاستعمال، أي أنّه في حال وسـط بين اللغة والكلام، فإذا كانت اللغة هي مادة الكلام، فـإن الخطاب هـو القواعد والمعاييـر والأعراف التـي تحكم انبناء الكلام وتوجه مساره وتضبط توجهاته، من هنا يصبح معنى الخطاب بمفهوميه التربوي والفلسفي» الأعراف والمبادىء التحتية التي تشكل الخطاب التربوي وتنتجه وتتحكم في رسالته المنتجة»[1].

(١) - المقصود بالأعراف والمبادىء التحتية الأسس والمرتكزات التي ينطلق منها الخطاب.

التناغم بين المشروع الثقافي والخطاب الإسلامي:

وانسجاماً مع الرؤية التكاملية في البحث، ومن خلال المعطيات السالفة الذكر، وحيث يشكل الخطاب وسيلة إيصال المشروع الإسلامي للناس، لذلك ينبغي أن يكون هناك تناغم بين المشروع الثقافي والخطاب الإسلامي فأحدهما رهن بالآخر ومتوقف عليه، وهذا ما ركز عليه القرآن الكريم كثيراً في سبيل إرساء معالم الفكر والوعي الإسلاميين والقدرة على إيصاله إلى البشرية؛ فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِه وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَ لا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٣].

وهذا ما يجب أن يسري على واقعنا المعاصر فننتج خطاباً يعمل بكل أنواعه وأساليبه ووسائله على فهم روح العصر، ودراسة الواقع الذي سيتلقى الخطاب، منطلقين في ذلك من مكونين:

الأول: مرجعية الشريعة وما تفرضه من منطلقات وضوابط.

(١) (النحل: ١٢٥)
(٢) (طه: ٤٤)
(٣) (فصلت: ٣٤)

الثانــي: ما فهمه البشر واســتنبطوه من النصوص الشرعية، وما نتج عن ذلك فكرًا كان أو فقهًا أو علومًا وأدبًا، وهو فرعٌ للمكون الأول ومؤسس منه وإليه.

معوقات أمام الخطاب الإسلامي:

هل ينطبق ما تقدم على واقعنا؟ في الواقع ساحاتنا الإسلامية مؤطـرة فـي كيانات سياسـية وتربويـة واجتماعيـة متغايرة ومن الطبيعــي أن ينعكــس ذلــك علــى الخطــاب التربــوي فيميــل إلى الأدلجـة بهـدف حمايـة الأنظمـة المتمترسـة وراءه، ولكنــه في الوقت نفســه خطاب متعدد ومتغير بتعدد الفئات والمصــالح من جهــة، والتشــكيلات الاجتماعيــة والثقافيــة والسياســية من جهة أخــرى. وهــذا مــا يجعله عرضــة للنقد مــن قبل الفئــات والقوى المناهضــة للســلطة، وبالتالــي مــدار ورشــة عمل إصــلاحية من قبل الجهات الرســمية لتضمن بقاءه وصــلاحه، ولتضمن بقاءها وســيادتها ببقائه.

وبالعودة إلى المصطلح فإن هذا الخطاب وقع مصطلحه في دائرة الالتباس، لا ســيما في المنهج المتبع حيث يتم اســقاط مصطلحات وتوظيفهــا خــارج ســياقاتها الطبيعية، ويتجلى ذلك فــي العديد من الممارســات الثقافية التي تحاول أن تضــفي على المصطلح دلالات حديثــة وتعمــل على انتزاعــه من حقــل معرفي، وتســتعمله في حقل

معرفـي آخر دون أن تراعي خصائصـه التي اكتسـبها ضـمن حقله الأصل، الأمر الذي يغذي المصطلح بمفاهيم غريبة.

وهناك اتجاه يعمل على نقل المصطلح من ثقافة إلى أخرى، دون أية مراعاة لخصائصه التي اكتسبها من البنية الثقافية الأصلية التي نشأ فيها وتشّكل، عدا عن تجاوزه لخصائص الثقافة التي يصار إلى استخدامه فيها.

ومن العوائق التي تواجه الخطاب وتجعله في حال توتر وارتباك أنّه نحا إلى التركيز على المعرفة التقنية وتأهيل الكوادر التكنوقراطية، وذلـك بسـبب الهيمنــة التكنولوجية علـى الثقافة المعولمـة، وثانياً بسبب الإهمال المتعمد لقضايا الانسان والمجتمع، ما أوجد ردة فعل قاسـية على مسـتويين، إمّا الاتجاه نحو العلميــة المطلقة بعيداً عن روح المسؤولية المستقاة من روحية الانسان، والمعارف المتعلقة به، أو الانشداد إلى أصـولية مفرطة تدعو إلى قراءة جامدة للنصوص، أنتجت خطاباً متطرفاً وصـل إلى ذروته تجاه الآخر غير المعترف به أصلاً.

وهــذا مــا يدفعنــا للبحث عن مسـببات المشـكلة، فهـل أنّ ذلك يعـود إلى مجرد خلل وظيفـي طارئ؟ أم إلــى مجموعة من العوائق والعراقيـل والمشـكلات البنيوية تأصـلت في بنية النظـام التربوي والتــي كانت نتيجة إغماءة تاريخية طالـت النظام التربوي في بعض

مراحل تطوره ونمائـه، ما يتطلب إجراء تغييرات عميقة وبنيوية؟ أم أنها أزمة شـمولية متعددة العوامل ومتسمة بالتشابك العلائقي، أي أنّها أزمة منشأ نشأت منذ تشكيل النظام التربوي؟

مكونات الخطاب التربوي ومنطلقاته:

مـا يعنينا هنا بالتحديد الخطاب التربوي للناشـئة، والمقصـود به المادة الخطابية التي ينتجها المعلم الداعية في نشـاط من نمط خاص، وفي إطار مؤسسة ما (تتمثل هنا في المدرسة ـ الجامعة...)، وهو كسـائر أنـواع الخطاب، ولكـن الألفاظ تتكون من هيئة خاصـة ومكـررة في آن واحد. ما يسـتدعي وجـود نوع مـن التعقيد في هذا المجال لوجود تشـابك في هذا الخطاب مع أطراف العملية التربوية الآخرين (الأهل، البيئة العامة، المجتمع، وسائل...). أما المرجعية المعرفيـة والاجتماعية للخطاب المدرسـي: فتتمثل في مرجعيتين: مرجعيـة ظاهـرة ومعلنـة، وهـي التعليـم والتكوين ونشـر المعارف والإعـداد للحياة العامة، ومرجعية ضـمنية مسـكوت عنها تكمن في تمرير خطاب السلطة والنظام القائم.

وبما أن العمل التربوي مبني في الأساس على دعائم ثلاث نفسية (الناشـئة) وتربوية (المعلـم) ومعرفية (المنهـاج)[1] ولذلك فإن

(١) ـ المقصود بالمنهاج (المحتوى ـ الأهداف ـ الاستراتيجيات ـ التقييم).

إطـار العلاقة بين هـذه المكونات يفرض نوعية الخطاب المسـيطر والمنظم، والتصـورات التدريسية والنفسية والمعرفية الناتجة عنه، وتلك الفلسـفة المطبقة في العمل المدرسي، ومدى ملاءمة خطابنا التربوي مع روح العصر الذي نعيش، وهذا يتطلب وجود مدرسة قادرة على استيعاب التطورات والمستجدات، متسلحة في عملها برؤية كلية تتكامل في مناهجها وسياسـاتها العلوم والمعارف، ولكن المدرسـة باعتمادها مناهج متباعدة ومنفصـلة، بدت عاجزة عن القيام بهذه المهمة، وتنازلت طوعاً أو كرهاً عن حراكها الاجتماعي.

إن العملية التربوية لا تنحصـر في المجال المدرسي، بل توسعت مـع عصـر العولمة وأضـحت مسـاحات الخطـاب التربوي واسـعة والأسـاليب المتبعـة فـي تلقين النشء متنوعة وعديدة، والوسـائل المسـتخدمة في هذا المجال تمتلك إمكانات وموارد بشرية وعلمية وماليـة هائلـة، والتي يجـب أن تحمل في مضـامينها قيمًـا ومبادئ تربويـة واعية للنشء، فلا تنسـاق إلـى أطروحات تُلبس المفاهيم وتنحـرف بالقيـم فـي اتجاهات غيـر سـوية، وهذا مـا يدفعنا إلى دراسة المنطلقات الفكرية للخطاب التربوي وتحديدها، فهل تنطلق في مضـمونها مـن قـراءة الواقـع والمسـتقبل واحتياجاتهما، ومن نتاجات العلوم الإنسـانية التـي تقرأ حقيقة الطالب ككائن إنسـاني له متطلبات واهتمامات ،على التعليم مراعاتها ووضـعها في صـميم

الخطاب؟ أم هو خطاب لا يستند في جوهره إلى أي أسس معرفية أو سيكولوجية أو تربوية، ويقوم في صميمه على غايات سياسية ذات طبيعة إيديولوجية تسعى إلى دمج الفرد في ثقافة ذات بعد واحد، استبدادية في غاياتها، تقليدية في حقيقتها، ثابتة وجامدة ومضادة للمرونة والابداع في مواصفاتها؟

خصائص الناشئة:

باعتبار أن التربية عملية مستمرة، فإنّ هذا لا يعني إغفال المراحل العمرية التي تسبق الناشئة، ولكن ضرورة البحث المقيدة بالناشئة تدفعنا إلى تسليط الضوء على خصائص هذه الشريحة الاجتماعية للنأي بها بعيداً عن المشاكل ومن دون إغفال الظروف والملابسات والمستجدات على المستويين الشخصي والاجتماعي العام، وهذا يتطلب منّا بداية تحديد معنى الناشئة وفك الالتباس مع مفردة المراهقة.

فمعنى الناشئة كما وردت في المعاجم العربية: نشأ الطفل تعني شَبَّ وقرب من الإدراك أي البلوغ، وكذلك المراهقة تعني قرب البلوغ، أما علم النفس المعاصر فيقول عن المراهقة: هي المرحلة التي تلي البلوغ وهي غالباً من الثانية عشرة إلى التاسعة عشرة أو الحادية والعشرين. مع الإشارة إلى أنّ كلمتي المراهقة والبلوغ كثيراً ما تستخدمان على أنهما مترادفتان، في حين أن البلوغ يعني النمو

الجنسي، والمراهقة تعني التدرج نحو النضوج البدني والجسمي والجنسي والعقلي والانفعالي.

ونحن إذ نتناول مرحلة الناشئة التي نعتبر أنّها تمتد من الثانية عشرة وحتى الثامنة عشرة ومنهم من يمتد بها إلى العشرين، وهي مرحلة التوزير كما يعبر عنها في الأدبيات النبوية (من ١٤ ـ ٢١)، عن رسول الله ﷺ، قال: «**الْوَلَدُ سَيِّدٌ سَبْعَ سنينَ وَ عَبْدٌ سَبْعَ سنينَ وَ وَزيرٌ سَبْعَ سنينَ فَإِنْ رَضيتَ خَلَائقَهُ لإِحْدَى وَ عشْرينَ سَنَةً وَ إِلَّا ضُرِبَ عَلَى جَنْبَيْه فَقَدْ أَعْذَرْتَ إِلَى اللَّه**».[1] أي هي بكل الأحوال ما يشمل بحسب المتعارف طلاب الحلقتين الثالثة والرابعة وبدايات المرحلة الجامعية.

أ ـ المرحلة الأولى (١٣ ـ ١٥ سنة):

تعد هذه المرحلة بداية مرحلة جديدة عند الناشىء، ويصحبها سلسلة تغييرات جسمية واجتماعية وانفعالية يرغب الشباب فيها في الظهور أمام الآخرين بشكل مختلف، حيث يبدأ اهتمامهم بالمظهر الشخصي، والتنافس العلمي لتحقيق ذواتهم، وإثبات القدرات، وهنا يميل الطلاب إلى الإعجاب بالشخصيات البطولية التي تبدو مختلفة، وبالتالي محاولة محاكاتها، ومن ذلك: موضوعات المغامرات، والرحلات، والشجاعة، والمنزلة الاجتماعية العليا وغيرها.

(١) ـ الري شهري محمدي، ميزان الحكمة، الدار الإسلامية، بيروت، رجب١٤٠٣هـ، ج١، حديث٤٠٨، ص٧٥ـ٧٦.

ب ـ المرحلة الثانية (١٦ ـ ١٨ سنة):

وتعد هذه الفترة من أخطر مراحل حياة الشاب، وفيها تتبلور الشخصية وتكتسب خصائصها الحياتية المقبلة، وهنا ينبغي أن نؤصل فيهم مفهوم الثقافة بكل مشاربها، والاستفادة من طبيعتهم البيولوجية لتشكيل ميولهم وتوجيهها من خلال الانتقال بتفكير الشاب إلى البحث والمناقشة والوصول إلى علة الأشياء نتيجة للقناعة لا فرض الواقع، وذلك سينمي ثقته بذاته واحترامه للآخرين.

وفي هذه المرحلة يبدأ إعداد الشاب للحياة العملية، أو الانتقال إلى مراحل علمية جديدة «**الجامعة**»، أو الدخول في معترك الحياة العملية العامة، وبذلك يرسم لنفسه طريق المستقبل.

من هنا يمكن القول إن هذه المرحلة العمرية متميزة ولها خصوصيتها، وعلى الرغم من ذلك فإنّ هذه الشريحة الهامة من المجتمع لم تلق الاهتمام الكافي في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وهذا خطأ يجب تداركه والإشارة إليه حتى نضع الأسس السليمة للتربية العصرية في هذه المرحلة العمرية، وتأليف الكتب ووضع المناهج المناسبة وتعميمها على كل بيت ومدرسة ووسيلة إعلام كي تتوحد لهجة الخطاب التربوي الموجه للناشئين ونقضي على الازدواجية والاختلاف في أساليب التربية ومنطلقاتها لدى المجتمع،

حتى نساهم في إرشــاد الجيل إلى السلوك السوي وفق معايير متفق عليهــا تنــأى به عن الضـياع في حمــأة اللاإنســجام بيــن الخطاب والممارســة العمليــة للحياة، وصــولاً إلى بناء أجيال ســوية ومبدعة ومجتمع مستقر.

معالجة المشاكل عند الناشئة:

قبل الولوج في معالجة مشــاكل النـاشئة وتحديد أساليب الخطاب الموجه إليهم، فإنَّ المســألة الأســاس تكمن في أن نحســن تربيتهم على أسس سوية وسليمة تنزع فتائل الانحراف السلوكي لديهم، وهذا مــا يحفزنا إلــى اعتماد أنماط التربيــة الوقائية، ﴿**يا أَيُّهَــا الَّذينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَــكُمْ وَ أَهْليكُمْ ناراً وَقُودُهَــا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِــدادٌ لا يَعْصُــونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَــرُونَ**﴾ (التحريم،٦) التــي إذا لــم نمارسـها، لا شـك أنّ جملة من المشــاكل، ومن خلال أســباب وعوامل متعددة ســتدخل إلى دواخل النـاشئة وتفسد عليهم هذه المرحلة، ومن منطلق أنّ المشاكل لا يعود منشأها لدى الناشئة إلى عامل بعينه دون العوامل الأخرى، فقد تكون هذه المشــاكل نتاج البيئة المنزلية أو المجتمع الأوســع، وقد تكون طارئة أو مزمنة. وأياً كان الأمــر فهــي تحتاج إلى مراجعــة منهجنا وأســاليبنا في التعامل معها، وفي هذا المجال سنورد بعض المشكلات التي في حال أحسنّا التعامل معها وتمكنّا من معالجتها واســتخدمنا الخطاب الملائم في

مخاطبة الناشئة، لما وقعنا في أزمات في تربية ناشئتنا، والتي هي أخطاء منهجية تترجم بأساليب شتّى، منها:

١. **صعوبة مناقشة مشكلات الناشئة مع أولياء أمورهم:** وإخبارهم بما يفعلونه، ومرد ذلك في غالب الأحيان إلى حال التباعد بين أفكارهم وأفكار أولياء أمورهم، ما يجعل الناشئة يلجأون إلى أمثالهم، لاسيما الذين لا يجدون من يسمعهم أو يصغي إليهم لمساعدتهم على حل مشكلاتهم التي يعانون منها، فيشكلون جماعة خاصة بهم على أمل مساعدتهم في إيجاد حلول مناسبة لها، وتخليصهم من المعاناة التي تؤرقهم بسببها، ولذلك دعا الإسلام إلى معاشرة ذوي الفضائل، كما في الحديث عن الإمام علي عليه السلام: «**معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب**»[(١)].

وهذا ما يحفزنا إلى معالجة مشاكلهم بإتاحة الفرص لهم للمناقشة والحوار، وحسن الاستماع لهمومهم ومشاكلهم بمزيد من التفهم والتفاهم والحب والصداقة.

٢ - **اعتبار تصحيح الأخطاء وحده هو منهج التربية:** يمثل تصحيح الأخطاء عند بعض المربين المنطلق الوحيد للتربية، وعليه فالتربية عندهم تبدأ من تحديد قائمة بالأخطاء والملحوظات، ومن ثم ترتيب البرامج لتصحيحها وتلافيها،

---

(١) - غرر الحكم ٩٧٨٥.

فتمثل الأخطاء المنطلق الوحيد في رسم البرامج، والمعيار الوحيد في تحديد نوعية ما يقدم للناشئة، ولهذا الأسلوب آثاره السلبية التي تتمثل بمحدودية تأثيره في تنمية الشخصية، وسيطرة لغة النقد التي تولد حالاً من الإحباط والشعور بالفشل والنقص على الدوام.

٣ - **تجاهل الخطأ حتى يستفحل**: إن المشكلات الكبيرة لا تولد دفعة واحدة، بل هي تحصل بفعل تراكمات تتكدس في مراحل متعاقبة، فبدل أن يعمل القيّمون على معالجة أسبابها واستيعابها وإزالة آثارها، تترك حتى تستفحل، وهنا يصبح من الصعب معالجتها إلاّ بزوال أسبابها، ويتأتى ذلك من خلال خطة مدروسة تسلط الضوء على المشكلة، وتضع لها الحلول المناسبة بالمبادرة إلى متابعتها لعلاجها وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: **﴿فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ﴾**[1].

٤- **الإفراط في العقوبة**: كما أن إهمال العقوبات وتعطيلها مخالف لأمر الله تعالى، فالإفراط فيها ووضعها في غير موضعها هو الآخر مخالف لأمر الله تعالى، ومؤدٍ لتعطل مقاصد العقوبة وفواتها.

(١) نهج البلاغة ،الكتاب ٣١

٥ - **الإفراط في الواقعية:** وفيها يتم تبرير الأخطاء والدفاع عنها بحجة الواقعية، وهذا ما ينعكس أيضاً على الأهداف والبرامج ويعمل على تكريس الأخطاء وإعطائها صفة المشروعية، فتسود روح التساهل المفرط المؤدية إلى حال من الفوضوية، وهي نقيض المثالية في التعامل التي تتمثل في التشدد فلا يقبل المرء عذر من تأخر عن موعده ولو لدقائق قليلة.

٦- **إهمال البعد الزمني في تصحيح الخطأ:** يؤدي إهمال البعد الزمني في التفكير إلى اتباع سياسة حرق المراحل، التي يتوقع صاحبها تحقيق مبتغاه قبل إنضاج الظروف المحيطة بها، وهذا حكماً لا ينطبق على معالجة الأخطاء التربوية المتراكمة ـ التي أصبحت تشكل جزءاً من كيان الشخص وتربيته، وترسبت لديه من خلال مؤثرات عدة ـ في أيام قصيرة، أو من خلال توجيهات بخطأ هذا السلوك، ووجوب نهج السلوك الآخر.

٧- **إحراج الواقع في الخطأ:** ليس من أهداف تصحيح الخطأ إصدار حكم بإدانة صاحبه وإثبات التهمة في حقه، لذا فالجدل الطويل حول إثبات التهمة، أو السعي للتصريح بالاعتراف بالتقصير والوقوع في الخطأ أمر لا مبرر له. ولذلك فإنه من الضروري عندما يأخذ المربي في حسبانه مراعاة مشاعر الناشئة وعواطفهم، ويكون همه منصباً على الإصلاح والتغيير عليه أن لا يسعى لإحراج صاحبه.

٨- **المبالغة في تصوير الخطأ**: إن الاعتدال سنة الله تعالى في الكون أجمع، وحين يقع الخطأ فليس ذلك مبرراً للمبالغة في تصوير حجمه والحديث عنه. إن تحويل الحادثة إلى ظاهرة، والمشكلات الفردية إلى قضايا عامة، وربط المشكلات المعقدة بقضية محددة؛ كل ذلك إفراز للمبالغة في التعامل مع الأخطاء وتجنب الاعتدال.

٩ - **الاحتفاظ بصورة سلبية عن المخطئ**: يتطلع كثير ممن يقع في الخطأ ويلومه الناس على ذلك أن يثبت لهم أنه قد تجاوزه، وأن يغيِّر هؤلاء النظرة السلبية التي ارتسمت لديهم تجاهه.

١٠ - **الاقتصار على الأسلوب المباشر وحده**: وذلك بالحديث المباشر الصريح أنَّ هذا الأمر المعين خطأ، وأن الشخص الذي قام بذلك العمل قد أخطأ. ومن الأجدى التفريق بين الموقف وشخص صاحبه، فينسب الخطأ إلى الموقف دون ملامسة كيان الشخصية. وثمة أخطاء تستوجب الحديث الصريح المباشر عنها، وثمة حالات لا يسوغ أن يتجاوز وصفها والحديث عنها هذه الكلمات أو مشتقاتها أو ما ينوب عنها، لكن ذلك لا يعني الاعتماد على هذا الأسلوب وحده.

سمات الخطاب الإسلامي الناجح:

وهذا ما يستدعي منّا العمل للتأسيس لخطاب إسلامي ناجح من سماته الأساسية:

١ ـ **اختيار الموضوع:** وهذا الأمر يحتاج لدراية وخبرة وحكمة من قبل من يطلق هذا الخطاب، كي يطرح موضوعاً يناسب المتلقّين ويراعي ظروفهم، ويعالج ما في أذهانهم من تساؤلات، أو ما يحتاجه واقعهم من فكر ومفاهيم.

٢ ـ **الوضوح:** وهذا يحتاج لقدرة على العرض وبلاغة القول، ولغة سهلة المنال للمتلقين، أما أن يطرح المرسِل خطابه في المواقع كافة بالأسلوب نفسه بين مدينة وريف، وبين بادية وحواضر، وبين جامعة ومصنع، فهذا ما يقود الخطاب إلى غير ما يريد صاحبه، وفي هذا الصدد يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّا معاشر الأنبياء نكلم الناس على قدر عقولهم**»[(١)] وبعبارة أخرى مراعاة مقتضى الحال، حيث تراعى في الخطاب المستويات كافة، سواء العمرية منها أوالعقلية، وبتحديد أدق الفروقات الفردية.

٣ ـ **فهم الموقف:** واستيعاب الواقع المحيط، ومكونات المجتمع

(١) ـ الكافي، ج١، ص ٢٣.

الذي يوجّه إليه الخطاب لأن هذه الأمور تقود إلى حسن اختيار الموضوع.

٤ ـ **التفريق في الإسلام بين النص بمكوناته:** (الكتاب ـ أحاديث المعصومين عليهم السلام) باعتبارهما مصدر التشريع، وله صفة الثبات، وبين الاجتهاد وما أفرز من مذاهب فقهية ومدارس كلامية، وضرورة لحظ التحولات والمستجدات في واقع المسلمين وما يقوم في مجتمعاتهم من مشكلات.

من أساليب التربية:

تعد التربية بالقدوة أسلوباً متميزاً في منظومة أساليب التربية في أي مجتمع. بل تعد أهمها على الإطلاق؛ ذلك لأن النشء يتأثرون بالمربي الذي يتعامل معهم في المواقف والحالات التي تجمعهم معاً. حيث يتوافر للإنسان ميل طبيعي نحو محاكاة من يراه مناسباً له من الأفراد في شكله وأقواله وأفعاله بل وفي إشاراته ، وذلك إذا توافرت شروط معينة في المقتدى به، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾.[١]

وتتعدد مجالات القدوة، فلا تنحصر في المعلم أو العالم، بل تتوافر في أي مكان يتواجد عليه أناس ويتفاعلون معاً وهذا يصدق

(١) (الأحزاب:٢١)

على المدرسة والأسرة والمسجد وجماعة الرفاق ووسائل الإعلام والأندية الرياضية والاجتماعية والأدبية. لذا فالكل مطالب بأن يكون قدوة على من يقوم على شؤونهم.

ولعل الخطوات الرائدة والمؤسسة لهذا العنوان، وهي منطلقة من صميم المنظومة القيمية الإسلامية، ومن هدي نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتتمثل بعناوين أبرزها:

١ ـ الوعظ الطيب والإرشاد المؤثر بالكلمة الصادقة التي تخاطب الوجدان مباشرة ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1] على أن يكون الداعية قدوة حسنة في سلوكه.

٢ ـ **زرع الثقة في نفوس الناشئة**: ويتمثل ذلك في الالتزام بقواعد سلوكية ثابتة حتى يسهّل على الناشئة سلوكهم، وليشعر كذلك كل من يتعامل معنا أن قراراتنا قد أعدت ودرست بما فيه الكفاية، بل هذه أفضل صورة ممكنة لها، عندها نكون قد بنينا الثقة على أسس ثابتة، وسوف تقوى هذه الثقة كلّما تأكد الناشئ من صحة قراراتنا وصدقها.

٣ ـ **الوفاء بالوعود**: علينا أن نحرص على الوفاء بالوعود، فإذا وعدت فعليك أن تفي؛ فإن استحال عليك الوفاء فعليك أن

(١) (النحل ١٢٥)

توضح سبب ذلك، وإلا فإن الثقة التي من المفروض أن تقوى بيننا وبين أبنائنا تصبح مهددة. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التأكيد على الوفاء بالوعود لأبنائنا: «**أَحِبُّوا الصِّبْيَانَ وَارْحَمُوهُمْ وَإِذَا وَعَدْتُمُوهُمْ شَيْئاً فَفُوا لَهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ إِلَّا أَنَّكُمْ تَرْزُقُونَهُمْ**».

٤ـ **الإيجابية في الحوار:** من المفيد لنا ألا نوجه أوامرنا كلها بلفظ سلبي: لا تفعل، لا تلعب، لا تأكل، لا تتكلم، فإن ذلك يولد عند الناشىء رد فعل قوي ويدفعه إلى العناد دفعًا، وقد تفيدنا عبارات إيجابية مثل، من الخير لك...، من الأفضل لك...، لعل ذلك يناسبك أكثر...، سيكون ذلك جميلاً..؛ فإن ذلك يشعر الناشىء بالرضى والراحة النفسية.

٥ـ **حسن استخدام الثناء والعقاب:** بالنسبة إلى الناشئ، فإن هدف استخدام الثواب والعقاب ما هو إلا تنمية شخصيته وإنسانيته وعقله، ما يفرض علينا أن نعمل لاكتشاف أقرب الطرق للوصول إلى عقله وقلبه.

ولذلك لا بد من دراسة الثواب والعقاب قبل استخدامه، فلعلّنا إذا ما عوّدنا الطفل على الثواب مكافأة على الدرس حملناه على أن

---

(١) (الصف ٢ـ٣)

لا يدرس إلا مقابل عوض مالي يأخذه، بحيث نبتعد به عن الاهتمام الفعلي بالدرس، أو بأي قضية أو فكرة.

لكن ذلك لا ينفي أننا قد نحتاج إلى الثواب في الحالات التي يعيش فيها الطفل التمرد والتي تنفره من الدرس أو القراءة أو من أي شيء آخر، ليلتقي بما نريد أن نوجهه إليه ويعيش في داخله ليختاره بنفسه، فإذا وعد الوالدان ولداً تمنّع عن الدرس بهدية فاجتهد طمعاً بالمكافأة واندمج في الدرس إلى درجة الإحساس باللذة حتى ينال علامات مرتفعة جراء ذلك، ثم حجبا عنه الهدية أو منعاه من الدراسة فإنه يتمرد عليهما.

٦- **حسن التعامل مع الأخطاء:** علينا ألا نُشهِّر بالولد عند الخطأ، كأن نناديه كسلانًا إذا تأخر في مناولتنا حاجة طلبناها، أو نناديه كذابًا إذا كذب، أو نناديه محتالاً إذا أخذ من أخته الصغيرة شيئًا فوق حصته، أو نناديه شيطانًا إذا بدت عليه حركة زائدة، أو نناديه شريرًا إذا لطم أخاه الصغير.

٧- **الحرص على وحدة التوجيه:** علينا أن نحرص على وحدة التوجيه داخل المدرسة بين المدرسة والأسرة وبين الأسرة والمجتمع كله ممثلاً بالمؤسسات التي لها تأثير مباشر أو غير مباشر على تربية الأطفال وتأديبهم.

فإذا حصل تناقض في التوجيه أو حتى اختلاف فيه فسوف تكون

التربية مخلخلة متناقضة لا تقوم على ذلك الأساس الراسخ والمتين الذي يعطي الفرد وبشكل دائم القدرة على الاختيار.

٨ ـ **الوضوح في التعامل مع أبنائنا:** وأخيرًا فمن الخير لنا ألا نتردد في تعاملنا مع أبنائنا لأن التردد يوحي بعدم وضوح الهدف وغموض الغاية كأن نقول للناشئ: افعل كذا، فإذا انصرف إلى ما طلبناه منه ناديناه ثانية لنخبره بألا يفعل ذلك لأنه ليس ضروريًا ولا داعي له، ثم بعد دقائق نخبره بأنه من الأفضل لو فعل ما طلبناه منه أول مرة حيث العمل بسيط ولا يتطلب جهدًا.

هذا السلوك المتردد ينم على عدم وضوح الرؤية، وبالتالي يفرض على كل من نعامله أن يكون متوقعًا بشكل دائم أننا قد نعدل عن كل قراراتنا دفعة واحدة، وليس من الصعب علينا أن نهدم كل ما طلبنا بناءه. وينضوي تحت ذلك صغير الأمور وكبيرها، كأن نبدي رغبتنا مثلاً لابننا الكبير أن يختص بفرع معين من فروع العلم، فإذا ما اقتنع بما رغبنا حولنا رغبتنا إلى فرع آخر دون مبررات مقبولة.

الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ:

علينا الاقتداء بالنبي ﷺ في التعامل مع الناشئة وتعليمهم ونستفيد من أساليب استخدمها ﷺ (التوجيه المباشر- القصص

وضرب الأمثال – الحوار والإقناع) لقد وضع النبي ﷺ أمام المربين معيناً لا ينضب من الطرق والوسائل الناجحة لإيصال المعاني إلى الأذهان وتأصيلها في النفوس، وتحويلها إلى حقائق حيّة تسعى بين الناس. فالرسول ﷺ هو الذي وضع المنهج السليم في التربية وهو أن يحسن المربي كيف يأخذ المتعلم من أقصر طريق إلى موقع الحق في أية قضية من القضايا، وسوف نقتصر في مقامنا هذا على بعض الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة وتعليمهم.

١- **التعليم بضرب الأمثال:** كثيراً ما كان النبي ﷺ وهو المعلم الأول يضرب الأمثال في أحاديثه وأقواله؛ لعلمه ﷺ ما في الأمثال من قدرة على تقريب المعنى وبيان المقصود. يقول تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[(١)] ، وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾[(٢)].

٢- **أسلوب التدرج:** استخدم الرسول ﷺ أسلوب التدرج في التربية والتعليم إذا أراد أن يوصل بعض المعلومات إلى

---

(١) (الحشر: ٢١)

(٢) (سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦)

أصحابه، ولم يقفز بهم الرسول ﷺ قفزة واحدة لتعليم الإسلام جملة واحدة، بل كانت تربية متدرجة ، عملاً بالمبدأ القرآني كما في مراحل تحريم الخمر.

ويستطيع المربون استخدام أسلوب التدرج في تربية الناشئة، بأن يبدأ المربي تعليم الطفل من الشيء المحسوس إلى المجرد، ومن السهل إلى الصعب.

٣ - **أسلوب القصة (التعليم عن طريق القصص):** القصة لها قدرة عظيمة في جذب النفوس، وحشد الحواس كلها للقاص، وهي أحدى الوسائل الناجحة لعرض المادة التعليمية سهلة وواضحة، ولذا اعتنى القرآن الكريم بذكر القصص لما فيها من تسلية النفس، وتقوية العزائم، وأخذ العبر والاتعاظ: ونماذج القصص متعددة في القرآن الكريم وفي سيرة النبي ﷺ.

٤ - **الحوار والمناقشة والإقناع:** تختلف عقول الناس ومداركهم من حيث الفهم وسرعة الاستجابة، ويختلف الناس من حيث الانقياد والتسليم لشرع الله، أمره ونهيه، فمنهم من لا يأخذ بالدليل إلا إذا ظهرت له الحكمة من ذلك، ومنهم من يكفيه الدليل ويقف عنده.كما في قوله تعالى: ﴿**ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ**

حَمِيمٌ﴾.(١)، ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٢).

وهكذا كان ﷺ يستخدم هذا المنهج إيقاظاً لانتباه صحابته، وتحريكاً لعقولهم، حتى يستقبلوا هديه وتعاليمه وبعد، فإن هذه الطريقة تدريب للمتلقي على التفكير وتشجيعه على المناقشة، وتعويده على العطاء والمشاركة وإبداء الرأي.

٥ - **التعليم بالتكرار:** من الأساليب التربوية الناجحة التي استخدمها الرسول ﷺ تكرار الكلمة أكثر من مرة ليفهم السامع تلك الكلمة ويدركها ويستوعب معانيها، والتكرار قد يكون في الجُمل، وقد يكون في الأسماء، وقد يكون في غيرها.

والتكرار من أهم الطرائق التي يجب أن يتبعها المعلم والمربي، فإن السامع قد يفوته بعض الكلام أو يعجز عن فهمه للمرة الأولى، وقد يشرد ذهنه أو يسترعي انتباهه بعض ما حوله، فيصرفه عن إدراك ما يسمع، فيأتي التكرار إسعافاً له ومعونة ترده إلى المعنى، وتوصل المعنى إليه.

٦ - **أسلوب التشويق وإثارة الانتباه:** لقد استخدم النبي ﷺ

(١) (فصلت:٣٤)

(٢) (النحل: ١٢٥)

أسلوب التشويق والإثارة، بطرح موضوع يثير به النشاط الذهني، ويجذب به الانتباه والتشويق لما سيقوله، وذلك أن النفس البشرية تتطلع إلى استكشاف كل جديد.

كما حصل في معركة فتح خيبر فقد ورد عن النبي ﷺ قوله: **﴿لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ يُحِبُّهُ اللهُ وَ رَسُولُهُ كَرَّاراً غَيْرَ فَرَّارٍ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ﴾** وبات كل مسلم يتمنى أن يكون صاحب الراية.

٧- استخدام وسائل الإيضاح للتوضيح والبيان وتقريب المعنى:
لقد سبق الرسول التربية الحديثة بأربعة عشر قرناً حيث كان ﷺ يدعم قوله في بعض أحاديثه برسومات ووسائل إيضاح تقرّب المعنى للأذهان

وهذه دعوة للمعلمين لاستخدام الرسومات في الكتابات مع الشرح للمساعدة في إيصال المعلومة بشكل سريع.

٨ ـ واستخدم الرسول ﷺ وسيلة تشترك فيها الحواس الثلاث معاً، فقد استخدم ﷺ الجُمّار[١] والنخلة، فهم يرونها ويمسونها بأيديهم ويأكلون منها. روي في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم. حدثوني ما هي؟ فأخذ الجالسون معه ﷺ يقولون له: يا رسول الله إنها**

(١) الجمار ما يؤخذ من رؤوس النخيل بعد قطعها.

شجرة كذا. والرسول ساكت. وحين لم يؤيدهم ﷺ في أقوالهم قالوا له: أخبرنا عنها يا رسول الله. فقال: إنها النخلة. فأكل النبي ﷺ من هذه الهدية. وأعطى الجالسين فأكلوا».

وسائل لخطاب إسلامي تربوي مطلوب:

إن توجيه الجانب الانفعالي لدى الناشئة والسيطرة عليه مرتبطان بأمر غاية في الأهمية ألا وهو كيفية تمضية أوقات الفراغ فإن لم ينشغل االناشىء في وقت فراغه بما هو نافع فهو في الغالب سينشغل بما هو ضار، وأفضل طريقة لشغل أوقات الفراغ وأنفعها ما كان منها على شكل أنشطة جماعية توفر تدريبا مثاليا للتواصل وقبول الآخرين والتعايش معهم. وتلبية احتياجاتهم، وهذا يحتاج في الأطر المدرسية لما يلي:

١ ـ **تجديد المناهج، والمقررات:** لا بد من تجديد المناهج والمقررات في المواقع التعليمية على المستويات كافة لتلبي حاجات الجيل ولتكون استجابة للتحديات، لأن الحضارة هي تحديات واستجابات، وإذا جاءت مضامين الخطاب في أروقة المؤسسات التعليمية خارج المكان والزمان، وبعيدة من الحاجات، ومن مواجهة التحديات فإنها تصبح محفوظات لا فعل لها في المجتمع.

٢ ـ **الإذاعة المدرسية**: وتعتبر أهم الوسائل التي يمكن أن تكون محطة لاحتضان الطاقات، والتعبير عن الأفكار والطموحات، والنقاش، وتقبل الآراء، وخاصة من الأشخاص الذين يقدرهم الناشئة، ويعجب بهم.

ومن الأمثلة العملية التي يمكن أن تغطي هذه المرحلة: إجراء لقاءات مع طلاب متميزين لمعرفة طموحاتهم وأمانيهم، ثم سؤال أحد المعلمين عن الطريقة العملية لتحقيق الأحلام، وهنا يستشهد المعلم بنماذج من التاريخ الحديث والتاريخ القديم لأناس حققوا مآربهم نتيجة الجد والاهتمام.

ومن ذلك أيضا القيام برحلات علمية لاستكشاف الأمور على صورتها الحقيقية، وحضور الإذاعة هنا لتسجيل وقائع الرحلة، ثم إذاعتها على الطلاب، ويمكن أن يتم التنسيق لتكون الرحلة في وقت الدراسة، ويتم الاتصال هاتفيا بالزملاء لمعرفة ما توصلوا إليه في رحلاتهم.

كما يمكن إجراء مسرحيات إذاعية لنماذج مشرفة من التاريخ، وإظهار بطولاتهم، ومراكزهم العلمية التي نبغوا فيها ليحذوا حذوهم.

لذا يراعى في الإذاعة المدرسية اهتمامها بتأهيل تفكير الشاب تجاه المستقبل، والمهن التي تناسب قدراته، أو توضيح المجالات

العلمية لمن أراد مواصلة مشواره التعليمي، وبالتالي يجب أن تكون الإذاعة المدرسية متنفسا يعبر الطلاب من خلالها عن ميولهم ورغباتهم، والاتجاهات والقيم الإيجابية مع البعد عن إعطاء التعليمات والمواعظ بشكل مباشر، كما يجب الاهتمام بأخبار المدرسة المنوعة، وحثه على الاشتراك في إعدادها وتقديمها، وهكذا نساهم في استهلاك طاقته الكامنة بشكل مفيد.

٣ـ **الحركة الكشفية**: كانت الحركة الكشفية ومازالت عنواناً هاماً لحب الوطن وبناء الإنسان والمواطن الصالح المنتج الطامح إلى مستقبل أفضل في عالم تسوده قيم المحبة، وتعزز روح التعاون والتعاضد، وتنمي القدرات والمهارات، وتعمل على إيجاد فسحة من الإلفة والحوار، والثقة بالنفس، ويتجسد ذلك في جملة من النشاطات، منها:

الحفاظ على البيئة، والقيام برحلات استطلاعية وعلمية، تنظيم السباقات والمهرجانات، والنشاطات الثقافية والمحاضرات المتنوعة، والعناية بالآثار والحدائق العامة، والمساهمة في حملات النظافة، ونشر الوعي الصحي وخدمات الدفاع المدني وغيرها مما يصعب حصره وتعداده.

٤ـ **النوادي المدرسية**: تهدف إلى استثمار أوقات الطلاب إلى أقصى مدى ممكن، وتعمل على تحقيق جملة من الأهداف

ومنهـا: التربية على المبادئ والمثـل، ودعم الانتماء الوطني، واسـتثمار الأوقات. بالإضـافة إلـى تنمية إحسـاس الطلاب بمشـكلات المجتمع، وإعدادهم للمشـاركة فـي حلها، وتنمية روح التعاون والعمل الجماعي المثمر لدى الطلاب وغيرها.

وتمارس فيها النشاطات كافة: الاجتماعية، والرياضية، والفنية، والمهنيـة، ودورات علمية، ويعمل النادي علـى إنتاج برامج تحاكي ظروف العصر واحتياجات الشباب في الفئات العمرية المختلفة.

٥ـ المسارح المدرسية: لجعل المدرسة جذوة وشعلة تربوية وثقافية وفكرية وعلمية، ومن أجل تفجير طاقات الطلاب ومواهبهم الاهتمام بالفنون الأدبية والمسرحية. لا بد من الاهتمام بهذه المسارح والعمل على تفعيلها، لا سـيما مع توفر الإمكانات والموارد والتقنيات، ولكننا مع ذلك نجد قلة الاهتمام بهذا الجانب في المناهج المعتمدة.

ولذا يجب الاهتمام بالمسـرح المدرسي في مناهجنا المدرسية، وفي حال تعذر ادخال أدب المسـرح إلى المناهج الدراسية المقررة حاليـاً على الطلبة فيمكن تحديد بعض الكتب المسـرحية البسـيطة للقـراءة الحرة وتشـجيع الطلبة علـى قراءتها والامتحـان بها أثناء العطلة الصـيفية فـي امتحانات خاصـة ترصـد لمتفوقيهـا جوائز تشـجيعية. والعمـل على تخصـيص جوائـز للمتفوقين فـي الإلقاء والخطابة والتمثيل على أن تتمثل تلك الجوائز في شـكل كتب متعلقة

بالدراما والمسـرح، وتخصـيص ركن في كل مكتبة مدرسـية للكتب المسرحية بوجه عام سواء أكانت مؤلفة أو مترجمة من لغة أجنبية.

أمّا في الإطار العام وخارج المدرسـة، ينبغي استحضار مجموعة من الوسائل، لما لها من دور في تربية الناشئة، والتأثير على الجوانب المفهومية والسلوكية في المجتمع، ويندرج تحت هذا الجانب:

الإعلام: تمثل قضية الإعلام وثقافة الناشئة في المجتمع الإسـلامي أهميـة بالغة، نظرًا لما يقوم بـه الإعلام من دور هام في نقل ثقافة الأمة من جيل إلى جيل، باعتبار أن وسـائل الإعلام أدوات ثقافـة تسـاعد على دعـم المواقف، وعلى حفـز الأنماط السـلوكية المرغوبة وغير المرغوبة، ومن هنا تتعاظم المسؤولية التي تقع على عاتق وسـائل الإعلام الموجه للناشئة، كما يتعاظم الدور الذي يلعبه القائم بالاتصـال في وسائل الإعلام المقروءة والمرئية للناشئة في مجتمعاتنا.

ومـن الوسائـل الإعلامية المتعارف عليها: التلفاز والحاسـوب والإنترنـت، وهـذه الوسـائل لها سـلبياتها في حال لـم تكن موجهة بالشـكل الصـحيح بحيث يهدر الناشـئة أوقاتهم فيقضـون ساعات طويلة تنعكس سـلباً علـى حياتهم الاجتماعيـة وعلاقاتهم بأقرانهم ومحيطهم، وربما على أوضاعهم النفسية، ولكن في حال استخدمت هذه الوسـائل في إطار خطة مدروسـة فإنه لاريب سـتنعكس إيجاباً

على الناشئة، فتسهم في صقل شخصياتهم، وتنمي من مهاراتهم وقدراتهم...

أمّا الإعلام المقروء؛ كالكتب والمجلات فما زالت له الفاعلية والدور الهام في تنمية ثقافة الناشئ، لأنه يعمل على تشجيع القدرات الإبتكارية والإبداع لديه، كما أنه يسليه ويشعره بالمتعة ويشغل فراغه وينمي هواياته، لا سيما القصة للناشئة التي تعتبر رافدًا حيويًا يغرس القيم في نفوس الناشئة، وتنمي الثقافة والخبرات والمكتسبات الذهنية.

وربما يمكننا أيضاً ادراج خطب الجمعة وسائر المواعظ الدينية في مجال الإعلام، على أن تكون بمضامين لها حضورها، وأن تكون على شكل تشخيص وطرح حلول للمشكلات من منظور ديني، واجتناب استظهار النصوص على المنابر، مع مراعاة عقول ومواهب وقدرات المستمعين. ومفيد أن يخرج الغالب في الخطب من قيود السجع وتنميق الألفاظ إلى استخدام لغة وظيفية تروق للسمع وتوصل الفكرة بأبسط الأساليب.

وهذا ما يلفتنا إلى دور المسجد كمرتكز للعملية التربوية، فالمساجد إضافة إلى خطب الجمعة يجب أن تأخذ دورها التعليمي من خلال دروس على شكل حلقات تتوزع حسب المستويات وفي أوقات ومواعيد تناسب كل شرائح المجتمع وفئاته خاصة ومن لم

يحصّلوا علماً وهم في حالة الأمية، حيث تستطيع المساجد أن تشكل المنارات في محيطها، وتحقق الوظيفة التعليمية التربوية على قاعدة الحديث النبوي الشريف: «**أطلب العلم من المهد إلى اللحد**». وهي ما يعرف اليوم بالتعليم المستمر الذي يرافق كل مراحل العمر.

وفي المحصلة نرى أن الخطاب التربوي المعتمد يسوده الارباك ويخضع لتجاذبات المدارس السياسية والفكرية المتنوعة، ما جعله قاصراً عن تحقيق الأهداف المتوخاة، كما أن الضمور المنهجي في أوطاننا يجعل الخطاب يعيش أزمة ثقة بين أطراف العملية التربوية والفئة المستهدفة من هذا الخطاب، لا سيما وأنه علينا أن نواكب حركة التطور العلمي ونستوعب المستجدات والقفزات العلمية الهائلة في وقت نحاول فيه التمسك بأصالة خطابنا، ولا يقتصر ذلك على الواقع بل ما يجب أن نتلمسه هو الركائز التي انبنى عليها هذا الخطاب والأساليب التي يجب أن نستخدمها لإيصال أفكارنا وتحقيق ما نصبو إليه، وهذا يتطلب منا بذل جهود جبارة، مبنية على أسس منهجية وموضوعية تعتبر الانفتاح أصلاً في التعامل، انفتاح الإنسان على بارئه ونفسه، والمنتمي إليهم في مجتمعه وفي الدائرة الأوسع وطنه وأمته وإلى دوائر أخرى.

استنتاجات واقتراحات:

بعد التركيز على هذه القواعد يستلزم ذلك القيام بورشة عمل كبرى لتحديد الأساليب والوسائل التي تحقق خطتنا في دراسة احتياجات الناشئة ومعالجة مشكلاتهم، بل كيف نربيهم تربية سوية، وهذا المشروع الضخم الذي ربما لا تستطيع مؤسسة بعينها القيام به، فإنه يحتاج إلى إمكانات وموارد بشرية ومالية وعلمية هائلة، وهذا ما يعني تضافر الجهود من قبل مؤسسات الدولة والمجتمع الأهلي، وفي عصر الانفتاح العولمي تضافر مؤسسات دولية وإقليمية ودول وحكومات، وبما أن هذا الأمر غير متحقق نتيجة لتضارب المصالح والسياسات، وعلى الأرجح الوقوع في لظى الصراعات بين منظومات القيم السياسية والتربوية المختلفة، فلا شك أن هذا يفرض علينا القيام بعملية تحصين للناشئة في مجتمعاتنا، تنطلق من صميم قيمنا ومنظومتنا الفكرية والثقافية والعقيدية.

ولهذا يمكن اقتراح عدد من الخطوات لتحصين الناشئة والحفاظ عليهم، منها:

١ ـ وضع خطط لمراقبة المناهج الثقافية والفكرية للعملية التربوي بأكملها، والأساليب والوسائل التي ينبغي توفرها.

٢ ـ القيام بحركة بحث علمي لإجلاء المفاهيم لا سيما مفهوم الخطاب، والمحددات التي يرتكز عليها.

٣ ـ تحديد المرجعية الفكرية والسياسية للخطاب ومكوناته.

٤ ـ تركيز الخطاب على البعد الإيماني والعقائدي للناشئة وغرس القيم الخيرة والفضائل في نفوسهم.

٥ ـ إعادة النظر في صياغة المناهج المدرسية والأساليب المعتمدة في طرائق التدريس والوسائل.

٦ ـ التركيز على الإعلام بوسائله المتنوعة لتقديم مادة مفيدة للناشئة، بل أن يلعب دور الموجه من جهة والمراقب للسياسات من جهة أخرى.

٧ ـ إقامة مواقع ترفيهية وثقافية قائمة على دراسات رصينة تلبي الاحتياجات.

٨ ـ التحفيز على استحداث أماكن ومواقع تفيد الناشئة (الأندية للمعلوماتية، والإذاعة المدرسية، المسرح القصة...).

٩ ـ إعادة الاعتبار للكتاب المقروء.

١٠ ـ إيلاء المعالم الطبيعة دوراً ريادياً وذلك يتطلب خططاً لمعايشة الإنسان الطبيعة والانفتاح عليها برفق (الرحلات، المخيمات، القيام بحملات تشجير...).

وأخيرًا نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا لتسليط الضوء على واقع الأساليب المعتمدة في خطاب الناشئة.

المداخلات

١. السيد حسين شكر

٢. الدكتورة زينب جمعة

٣. الشيخ الدكتور عبدالله حلاق

٤. الأستاذ علي حمام

٥. السيد علي مرتضى

٦. الشيخ عمار حماده

إشكاليات الخطاب الإسلامي الثقافي

مداخلة السيد حسين شكر

لما كان الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة في هذه المرحلة من تاريخنا الإسلامي الشرقي يتعدى النصوص إلى الممارسة ويشمل الموروث الاجتماعي من عادات وتقاليد وأعراف. ولا يتأطر بإطار بل يتجاوز الأطر ليكون قابلاً للتلبس في الأدوات والوسائل المعاصرة.

فالخطاب المعاصر أسرع إلى عقل وقلب الإنسان من أي خطاب مضى. رغم هذا فالإشكالية في الخطاب تعتبر واحدة من الإشكاليات إذ أن الخطاب ليس هو الحل لأن كم من نبي أو وصي أو صالح من الصالحين لم يكن الخطاب الذي قدمه قادراً على أن يحدث التغيير لو جزئياً في أقرب المقربين رغم صفائه ودقته ومتانته وواقعيته. فإشكاليات الخطاب وإن ارتفعت إنما يرتفع جزء المشكلة.

وما لاحظته في الخطاب الإسلامي المعاصر ينتابه الكثير من الإشكاليات مما يضعفه ويجعله أقل تأثيراً ويجعله متأخر عن محاكاة مشاعر الشباب والناشئة ولعل ذلك يعود إلى أسباب تعود إما إن المضمون أو إلى القالب الذي يقدم فيه الخطاب من خلاله.

أولاً: النمطية.

وأقصد بأن أغلب المربين والواعظين جنحوا إلى نمط واحد في تبليغ ما وصلهم والنمط الغالب في هذا المضمار هو الوعظ والإرشاد والتلقين.

وكذا ما تشهد المدارس سواء الدينية أو المعاصرة والجامعات رديكالية في التمسك بأنماط في التربية والتعليم عفا عليها الزمن فروح الإبداع ماتت وأماتت الفكرة والمنهاج.

في الوقت الذي ألاحظ من خلال الخطاب القرآني الذي يعرض لحالات أو حالة فهو يعتمد التنوع في المعاجلة فهو يتنقل بين السرد والاستعراض والمثال والقصة والدعوة إلى التفكر والتدبر وإشراك المستمع وإثارة حب الاستطلاع عنده. فهو يخرج في مخاطبة الفرد إلى المجموعة ويقدم الحلول في بعض الأحيان على طريقة الفرضيات ويحاكي العقل ولا يغفل محاكاة الروح.

فهو يمارس نمطية اللانمط.

ولعل من خلال التجربة اليومية في حياتي سجلت وأنا صغير ناشئ ملاحظة على التبليغ الذي درّسني أفاضل علماؤنا باب التقليد أكثر من أربعة مرات لأن التعليم ليس مدرسة واستمرار فكلما جاء معلم كان يبدأ بالتقليد ولا يتعداه إذ أن المدة التي يحضر بها بيننا لا تكفي لتدريس أكثر من هذا الباب.

ونمط التدريس واحد ممل شعرت حينها بأني في ضيق من أمري لو أن هذا محل تقديري وحاجتي لما جلست أبداً في مسجد كنت أقصده بنفسي ولولا أن لي أصحاب كنت أفتقدهم ولم أجدهم إلا في المسجد.

ولعل المدارس الحديثة المعاصرة التي أرادت أن تستفيد من وسائل التعليم الحديثة لمناهج صيغت على المنهاج التعليمي القديم ضاعوا واستغرقوا في الوسائل التعليمية ولم يتمكنوا من إتمام المنهاج التعليمي في زحمة الاشتغال بالوسائل.

وهذا أيضاً ما جعل الطالب أكثر ضياعاً وفوت فرصة التعلم بدل أن يكون التعلم النشط بات التعلم الثبط المحبط.

ثانياً: التخبط في الخطاب

وأقصد أن الخطاب الديني الذي يقدمه غالباً المربون هو ما فهمه المعلم والمربي والقائد والمسؤول الديني وهذا لا يعني أن المتربي أو المتعلم أو المتلقي قد وصله الإسلام أو الدين بالضرورة.

فسرعان ما كنا نكتشف:

١- إن ما تربينا عليه لفترة طويلة كان فهماً خاطئاً وربما كان لبعضها الأثر السلبي.

٢-ما كنا قد تعلمناه وانطبع في ممارساتنا وأصبح بعضه جزءً

مـن حياتنا اليومية أصـبح الإقلاع عنه يحتـاج إلى جهد كبير ومجاهدة.

٣-وأخطـر مـا في هـذا المضـمر أننـا افتقدنـا نظـرة التقدير والاحترام والقداسـة للمتصـدين فأصـبح نظرنا إليهم نظر الشك والريب وتولدت لدينا التساؤلات هل هذا هو الإسلام أم ماذا، وبهذا الأمر لم يعد ما يقال لنا مسلّم من المسلمات التي لا نقاش فيها وأصبح بالتالي كل ما يقال ليس مقدساً.

٤-ما يعرض على هؤلاء الناشـئة باسـم الدين والإسـلام ويضخ من خلالـه المعارف المتعددة والملونة التـي تحمل إليه الغث والثمين يجعل المخـزون المعرفي الديني الإسـلامي معارف غيـر حقيقية مطعـون في صـدقيتها فلا يتمكن الإنسـان من الاعتمـاد عليها فـي حواراته وأقواله فسـرعان مـا كان ينهار الدليل والبيان يتلاشـى عندمـا يعلم المتحـدث أن ما اعتمد عليه لم يعد عن كونه سراباً لا قيمة علمية له.

فالإسـلام الذي تعرفه الناشئة ما يتجسد أمامهم ويمارس معهم ويرونـه بأم العين ويتحسسـونه. وفـي هذه الحال سـيكون الخطاب يتوارى في السـلوك الفردي والاجتماعي للواعي. فلا يمكن للناشـئ أن يرى الإسلام غلا من خلال الأشخاص.

ثالثاً: التفاوت بين النظرية والتطبيق.

لما كان الخطاب بالنسبة للناشئة هو العمل المفهم بالمعاني والمعارف وتجسيداً للنظرية.

كان الناشئة يرون آلاف التجليات المتناقضة والمتضاربة. وحيث أن الناشئ في أغلب الأحيان مقلدٌ فهو لا يميز الصحيح من السقيم فإنه سوف يكون أما أديان وإسلامات.

١-إسلام العلماء يتخبط بين النظرية والتطبيق فلا تجد العالم المجسد لتعاليم الإسلام إلا قليلاً ونادراً.

٢-وإسلام المعلمين: يتماهى مع أهوائهم ورغباتهم وهو إسلام استنسابي يقدمه المعلم وفق ما يراه مناسباً لمصلحة أو زمان أو مكان.

٣-كذا الأمر في أفراد المجتمع. فقليل من عبادي الشكور وقليل من عبادي العباد وقليل من عبادي الذين تتحول الفكرة إلى ممارسة.

رابعاً: قصور الخطاب الإسلامي عن:

١-محاكاة مشاكل الشباب ومعالجة الإشكالات قبل أن تستحكم.

٢-مناقشة الأبواق الإعلامية الأخرى التي تقدم خطابها من حيث الشكل والمضمون والمحفزات.

٣-بدائية الوسائل في بعض الأحيان.

٤-قصور إدراكنا عن اكتشاف الخطاب الإسلامي بكل تفاصيله والتي لو تعاملنا بعين الدقة مع النصوص الدينية الإسلامية لوجدنا فيها الكثير من الرؤى والنظريات في مجالات التربية والتعليم سواء في أمهات الأمور أو تفاصيلها. وهنا أدعو الباحثين إلى مطالعة متأنية في النصوص الدينية وسترون الرؤية الإسلامية في التعامل مع الفئات المختلفة من المجتمع الإنساني مسلماً كان أو غير مسلم مؤمن كان أم غير مؤمن ملتزم كان أم غير ملتزم.

وأرى أن أدعو المربين أن يأخذوا بالنصوص ببساطتها ومعانيها وينطلقوا في تجربة التربية وفقاً للمنهاج الإسلامي.

فلو عالجنا هؤلاء الناشئة في مراحل حياتهم وفقاً لما ورد من توجيهات لما وصلنا إلى تشوهات واسعة في التربية.

١-أدعو إلى الالتزام بالنص الديني ببساطته ولا سطحيته مبتعداً عن التعقيدات.

٢-التدقيق ومراجعة الكتاب والسنة واكتشاف المخزون المعرفي للتربية والتعليم في الإسلام. خاصة في نصوص المعصومين.

خامساً: المناهج التعليمية:

غالبــاً ما نجــد في المناهج التعليمية المســتوردة من حضــارة لا تنتمي إلى حضــارتنا الشــرقية. تقــدم ثقافة الغرب ولغتــه وأعرافه وتقاليــده وأفكاره ونحن الذين أوصــانا بأولادنــا أن نبادرهم قبل أن تســبقنا إليهــم المرجئــة (والمرجئة فئة من فرق المســلمين الذين تاهوا) كي لا يتيهوا بتقصير من عدم المتابعة لهم.

والحال نحن نأتي بمرجئة العصــر ليشــكلوا المخــزون المعرفي لأولادنــا والمنهال الثقافي لثقافتهم ونكون في ذلك كل شخصــيتهم وبالأخير نعود ونقول لماذا أولادنا يقلدون الغرب بلباسهم وأشكالهم وشــعورهم تســريحة وقصــة ويحملون أفكاراً ويتعلمون أنماط حياة ألسنا نحن الذي صنعنا هذا بأنفسنا.



مؤتمر «الخطاب الثقافي الاسلامي الموجه للناشئة»

الدكتورة زينب جمعة

السؤال الذي يطرح نفسه اليوم، هل هناك أزمة خطاب؟ الجواب، نعم، ولو لم يكن هناك من أزمة، لما كان هذا المؤتمر لينعقد!... علينا أن نكون صادقين مع أنفسنا، ليس المطلوب جلد الذات والقسوة عليها، بالمقابل ليس المطلوب التهاون ودفن الرأس في الرمال، والقول بأن كل شيء على ما يرام!... إني أؤيد د. طلال عتريسي فيما طرحه من مشاكل على صعيد واقع الناشئة والشباب في مجتمعنا، ونحن نرى بأم العين، كيف تتخبط الأجيال الجديدة في فوضى مفاهيمية – قيمية، حيث تختلط القيم الدينية بالقيم المعولمة فينتج عنها فوضى سلوكية وتخبط في الهوية والانتماء. نحن بحاجة إزاء ما نرى من ظواهر مقلقة، إلى دراسات بحثية وميدانية قائمة على أسس علمية، وخاصة في مجال علم الاجتماع، لا تكفي المقاربة التقليدية للمشاكل الاجتماعية والتربوية، علينا أن نعتمد منهجاً يستند إلى أسس ومبادئ الإسلام الجوهرية وأيضاً يواكب تطور العصر، ويحاول الإجابة على أسئلته، نحن أحوج ما

نكون لنجمع بين الأصالة والمعاصرة معاً.

علينا بتجديد خطابنا وقبل التجديد علينا القيام بالمراجعة وإعادة النظر في أنماط التنشئة الثقافية والتربوية السائدة، إذ لا يوجد تجديد وتطوير بدون مراجعة للتجارب السابقة.

نعم هناك أزمة خطاب، وهذا المؤتمر هو خطوة على الطريق الصحيح.

مداخلة مدير مركز دراسات الوحدة الإسلامية

الشيخ الدكتور عبد اللّه حلاق

إن بناء شخصية الناشئة لا بدل له من تعاون ثلاثة عوامل، العامل الأول هو إنتاج معايير تحدد شخصية الناشئة وهي أنواع:

أولاً: معايير دينية (٥-١٠) معايير.

ثانياً: معايير ثقافية (٥-١٠) معايير.

ثالثاً: معايير علمية (٥-١٠) معايير.

رابعاً: معايير اجتماعية (٥-١٠) معايير.

خامساً: معايير أخلاقية سلوكية (٥-١٠) معايير.

سادساً: معايير حضارية (٥-١٠) معايير.

العامل الثاني: هو إنتاج مناهج تربوية لإنشاء كتب تعليمية تربوية تماشي مستوى الناشئة، ولا بد أن نثبت في هذه الكتب الأمور التالية:

١- تثبيت الرؤية الدينية وأقصد فيها العقيدة الإسلامية.

٢-تثبيت صلة الناشئة بالله عزّ وجلّ من خلال العبادة.

٣-تثبيت الالتزام بالإسلام من خلال تطبيق الأحكام الشرعية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي.

٤-تثبيت رؤية تاريخية بعيدة نسبياً عن سرد الاختلافات، وأعني به توسيع رؤية الاتفاق وتضييق رؤية الاختلافات بين عناصر الأمة تاريخياً.

العامل الثالث: هو إيجاد المربي المسلم الذي يوجه أبناءنا وهناك فرق بين المعلم الذي ينقل المعلومات إلى أبناءنا بشكل وظيفي... أما المربي فهو الذي ينقل المعلومات إليهم مع التوجيه الأخلاقي والتربوي حيث يكون قدوة طيبة أمام تلاميذه... وإذا أردنا إيجاد هذا المربي لا بد أن يخضع لدورات تأهيلية فيها الأبعاد التالية:

أولاً: أن يصل المربي إلى أن يكون صديقاً للتلاميذ حتى يكون قدوة مع تلاميذه.

ثانياً: أن يصل المعلم إلى مستوى سامي في المعرفة والثقافة من أجل توسيع آفاق التلاميذ والإجابة عن أسئلتهم المتنوعة.

ثالثاً: أن يتمكن المعلم من الأساليب الحديثة في التوضيح والبيان (الكمبيوتر... الانترنت).

رابعاً: أن يصل المربي إلى مستوى توجيه المناهج التعليمية التي بين يديه إلى بعدها الديني والثقافي الإسلامي (مثال على ذلك عند شرح مسألة علمية عن الكون لا بد أن يربط المربي في شرحه على أن الله تعالى هو الذي خلق هذا الكون وهو الذي أبدعه وهو بذلك يدل على عظمة الله تعالى).



قراءة في الخطاب الثقافي الموجه للناشئة

الاستاذ علي حمام

المقدمة:

تتركز ثقافة الناشئة على بنية منتقاة من مجموعة من العموميات الثقافية القائمة في المجتمع بالدرجة الأولى، كما أنها تستقي ما تريد من عناصر ثقافية من البدائل الثقافية المتاحة، والتي تدخل من الأبواب المختلفة إلى المجتمعات.

ولا يمكن لأي مجتمع يمتلك تلك العموميات الثقافية التي تتكوّن عبر سنوات وعقود وربما قرون من التخلي عنها بسهولة إلا إن أثبتت فشلها وعقمها على كل المستويات، ونلاحظ في المجتمعات الضعيفة في جذورها الثقافية تراخياً ملحوظاً في المحافظة على العموميات، لذا يتمكن المجتمع الآخر من زعزعة تلك العموميات بسهولة كبيرة عبر بدائل ثقافية يريد فرضها على المجتمعات التي يستعمرها عسكرياً أو ثقافياً.

إنّ من الصعوبة بمكان المحافظة على التراث الثقافي الإسلامي

فـي شـبه مجتمـع أو متحـد يتعايشـ مع عـدد كبير مـن المتحدات الاجتماعية، وذلك بسـبب العديد من العموميـات والبدائل الثقافية الغير متجانسـة في أهدافها، والتي تتشـكل في معظم الأحيان وفقاً لمنظومـة الفرضـ أو الضـرورة الثقافيـة التي تفرض مـن الأقوى، إقطاعياً كان أو مستعمراً أو دولة تملك مقدّرات العلم والتكنولوجيا.

الحاجات الثقافية لدى الناشئة:

إنّ من البديهي لمن يريد العمل على تحسين نوع ونتيجة الخطاب الثقافي الموجّه للناشئة أن يعمد إلى فهم حاجات الناشئة التي تمثل أكبر شـرائح المجتمـع، والتي يفترض أن تكون مصـر قوة المجتمع وفتوّته المستقبلية المنشودة.

والاهتمام بالحاجات الثقافية للناشئة مسألة أولوية وبدرجة عالية من الحساسـية، لا سـيّما في نظام اجتماعي ملـيء بالتعدد والتنوع الثقافيين، وتكمن الحساسـية، في نـوع الثقافة التي نريد أن نحمّلها للناشـئة التي نتحمل مسـؤوليتها بكل أمانة، لا سيما وأننا نسعى إلى إعدادهـا لتكون مؤهلة لخوض أكبر حـرب ثقافية عنوانها الغلبة في العلم والقدرات التكنولوجية، المسـيطرة علـى عالم اليوم، كما أننا نؤهلهـا لتكون قادرة على تأسـيس المجتمع الصـالح تمهيداً لظهور صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف.

إنّ تحديد الحاجات الثقافية لا يمكن أن يهمل التعدد والتنوع الثقافي المنتشر في العالم، لا سيما وأن الناشئة تتحرك بسرعة من عمر إلى عمر وهي تتميز بالقدرة على المناورة في قبول أو رفض أي مضمون ثقافي يقدم لها. وهي تستطيع أن تتماهى مع صورة ثقافية غير متناسبة مع العموميات الأصيلة ولا مع البدائل الثقافية الصالحة.

والحال هذه فإنه لا يمكنها أن تقدم أي ابتكارات ثقافية جديدة تسهم في تحسين الواقع الثقافي وبالتالي تحسين الخطاب الثقافي الذي لا بد لنا من العمل على إعداده وفقاً لقاعدة المواءمة بين الأصالة والحداثة والمعاصر، وليس الهروب والاختباء وراء مجموعة من العناوين التقليدية التي لا نزال نرددها منذ عقود وقرون، ونحن نعلم أنها غير مجدية تماماً، وتحتاج إلى نهضة شاملة.

إن الاهتمام بالجانب الثقافي في المناهج التعليمية لا يعدو كونه أمنيات لا تتحقق أبداً، وهنا كان ولا يزال مطلوباً النظر بدقة وتقييم لكل ما يقدم خلال المناهج التعليمية، ولأنه في الأساس خطاب ثقافي، وما يتعلمه أبناؤنا يمثل مجموعة من العناصر الثقافية المنتقاة بشكل يخدم النظام القائم بصورته السيئة، وليس بما يوصل الإنسان إلى الكمال.


۲۷۰

مؤتمر الناشئة

السيد علي مرتضى

إن عنوان المؤتمر هو «**الخطاب الثقافي الإسلامي الموجّه للناشئة**». ونجد أنّ أغلب - إن لم نقل كل - ما يطرح ويقدّم كأساليب وأطروحات لمعالجة إشكالية خطاب الناشئة، يركز على الأسلوب، أو يعالج الموضوع وهو الموجّه إليه الخطاب (بصيغة اسم المفعول).

أودّ الإشارة إلى نقطة أساس لا بدّ من رعايتها وملاحظتها في الموجِّه (بصيغة اسم الفاعل)، ولكن قبل الإشارة إليها لا بأس بذكر مقدمتين ضروريتين هما:

١- إن علم التربية والتعليم والتهذيب من أشرف العلوم، وقد صنفه الحكيم الأول أفلاطون في خانة العلوم الإنسانية، وقد كان في مخططه للدولة الفاضلة أن يكون المعلّم والقاضي بعيداً عن أي تفكير ماديّ وعن أي بحث له وسعي باتجاه المال، وهو يؤمن كل احتياجاته من الدولة.

وهدفه من ذلك تنزيه المعلم والمربي عن كل سلبيات السعي باتجاه المادة، ليكون أكثر تأثيراً في نفوس المخاطبين.

٢- لم يعد الزمن زمنا الدعوة الفرديّة، والشخصانية. وإن كانت ما زالت تلعب دورها في التأثير في الناشئة أو الأجيال، وفي عملية التربية والتعليم وإنما أصبحنا في زمن المؤسسات والعمل الجماعي. لذلك إذا كان الداعية الإسلامية في السابق يعمل على تهذيب نفسه ليكون مؤثراً في تهذيب نفوس الآخرين، ويهدي نفسه لكي يكون هادياً للآخرين، ويغني نفسه بالعلوم ليستطيع أن يقدم علوماً للآخرين ويرتقي بيد الناشئة أو الأجيال إلى سلم المعرفة والعلم.

من هنا لا بدّ من العمل على تهذيب نفوس المؤسسات لكي تكون مؤثرة في عملية الخطاب والتربية.

بعد هاتين المقدمتين: لو لاحظنا المؤسسات التي تعمل على الناشئة ولتوجه خطابها الثقافي وتضع إلى جانبه قيد (الإسلامي) نجد إن الجميع أو الأعم الأغلب من المؤسسات يسعى باتجاه الربح المادي بصورة تفوق الخيال والتصوّر، مما ينعكس سلباً على أي خطاب إسلامي نوجهه نحوهم.

وقد أجرت بعض المؤسسات التربوية الإسلامية إحصاءً على طلابها فكانت النتيجة أن ثقافة الطلاب الإسلامية ما زالت مأخوذة من الأهل والمنزل. ولم تكن نسبة تأثير المدرسة بشكل واضح، وما زال للمسجد ذلك الدور البارز بها.

وأنـوّه بدور كشـافة الإمـام المهدي أيضـاً لعدم وجود الصـبغة المادية في حركته التربوية.

لذلك أشير إلى بعض النماذج والأمثلة.

الكتاب:

كتـاب التربية الوطنية: الذي تقوم الدولة ببيعه بقيمة تتراوح بين ١٥٠٠الى ٢٥٩٠ل.ل. يستطيع كل والد أن يشتريه لأبنائه، ولا يضطر لبيعه أو لشرائه مستعملاً لابنه، مما يعني بقاء هذا الكتاب بين يدي الطالـب كل عمره ويسـتفيد منه كلما وقع بين يديه، وهي مسـتفيدة مادياً أيضـاً. فلمـاذا كتابنا الديني وغير المدرسـي منه يباع بأغلى الأسعار، والمدرسي منه قارب ١٠ **$** مما يضطر الأب أن لا يترك هذا الكتـاب بين يدي ابنه.وأنـا لا أدعو لتقديم الكتـاب مجانا للطلاب، ولكنـي أدعو للربـح المعقول مع رعاية الدعوة الإسـلامية في نشـر الكتاب لا الربح الباهظ.

المعلِّم:

في مؤسسـاتنا الإسـلامية عدد كبير مـن المعلمين والمعلّمات يؤدون رسـالتهم التعليمية لكن بما أنهم داخل مؤسسـة إسـلامية – شـاؤوا أم أبـوا – يعطون النموذج والقـدوة للأبناء على أنهم المثـل الأعلى الإسـلامي ولا داعـي للتأكيد على فكـرة أن المعلم

هــو المثل الأعلــى للتلميذ في فترة كبيــرة مــن عمــره التعليمــي.

فإلــى أي مــدى نعمل علــى مخاطبــة المعلِّــم إســلامياً، وتربيته إسلامياً، ليكون القدوة الإسلامية المثلى.

هذا وللأســف يحصــل في بعض المؤسســات أن تدخــل المعلِّمة محجبة إلى المدرسة وتخرج وتنزع حجابها على باب المدرسة، وأمام أعين الطلاب، فأي ثقافة إسلامية نقوم بتربية أبناءنا عليها.

الإدارة:

وهــي الحلقــة الحكيمــة فــي إدارة عمليــة التربيــة والتعليم بين المعلّميــن والمتعلّميــن من جهــة وبين الأهل والأبنــاء المتعلمين من جهة ثانية. وإن أي تصــرف خاطئ يحصــل من قبــل الإدارة ينعكس سلباً على الأطراف التي هي محل اهتمام (موضوع) الإدارة.

فخطأ الإدارة مادياً على المعلّم ينعكس على أداء المعلِّم وبالتالي ينعكس على الطلاب، خطأ الإدارة مع الأهل ينعكس أيضاً على الأبناء بالأعم الأغلب، ويخضع ذلك لوعي الأهل.

لذلك لا بدّ من توجيه خطاب للإدارة في أسلوب التعاطي مع الأهل والمعلمين والمتعلمين. وبقــدر الإمكان إبعاد الجانب المادي – وهو صــعب جداً حيث اعتبره هو الغدة الســرطانية في كافة المؤسســات التربوية.

وأمثلة خطأ الإدارة في التعاطي المادي كثيرة جداً ينذى لها الجبين.

خلاصة الاعتراض الموجّه على الموجِّه الإسلامي هو السعي نحو الربح المادي، فعندما يشعر المخاطب وهو الأبناء ومن له علاقة به وهم الأهل، ذلك تصريحاً أو تلويحاً، إيماءً أو إيحاءً فإن ذلك سوف يخل بشكل جدّي في إيصال الرسالة السامية التي يحملها هذا الموجِّه سواء كان شخصاً أم مؤسسة.

وأختم بأن ثقافة الإسلام هي ثقافة أخروية إنسانية. والثقافة السائدة في المجتمع هي ثقافة المادة والربح الدنيوية.



مؤتمر «الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة»

الشيخ عمّار حمادة

بعدما تفضَّل السيدات والسادة المحاضرون بإبداء وجهات نظرهم - بحسب اختصاصهم - بالواقع الاجتماعي للناشئة (د. طلال عتريسي) والعوامل المؤثرة على الناشئة (الحاجة أميرة برغل)، ومع عدم إغفال ما تفضل به الدكتور سلوم حول الناشئة من وجهة علم النفس، أرى من المفيد أن لا تكون المداخلات - وهذه المداخلة بشكل خاصة - سابحة في فضاء البحث النظري، الذي نحتاجه بشكل عام ولكن لا يفيدنا في الوقت الحاضر.

فنحن في هذا المؤتمر بصدد وضع التجربة السابقة لعدة مؤسسات إسلامية تربوية - ثقافية، من قبيل المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم وكشافة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف والأنشطة الثقافية التابعة لحزب الله، أمام مجهر المتخصصين في شؤون الناشئة ليعتبروها دراسة إحصائية علمية تؤسس لرؤية مستقبلية في التعاطي مع الناشئة على مستوى الخطاب الثقافي الشفاهي أو الكتبي أو الممكنن.

على هذا، وبصفتي مشرف على إدارة نشاط المخيمات الصيفية

الاستقطابية التي يعتبر أكثر من تسعين في المائة من روادها من الناشئة (١٢-١٦ سنة)، فإني أقدم هذه المعطيات كمحصلة لتجربة المخيمات:

هناك بحسب الاستقراء أربعة عوامل قد تؤثر بالناشئة خلال المخيم:

١-النموذج: قبل المجيء ، أثناء المخيم: بمعنى التأثر بشخص ما (النمذجة والقدوة).

٢-العملية التربوية القائمة على المشاركة والدور (المهمة). (جلسات المصارحة المشتركة).

٣-الإحساس بالانتماء والتحدي (وجود عدو).

٤-المفاهيم الثقافية الميسرة (مسابقات ، قصة، بوسترات، بطاقات دروس). وتعتمد هذه العملية على المدرِّس وطبيعة الفكرة الثقافية.

أي أنّ العامل الرابع هو العامل الوحيد الذي يندرج ضمن فقرة «**الخطاب الثقافي الموجّه للناشئة**»، أما العوامل الثلاثة الأولى فهي خارج نطاق هذا المؤتمر، لأنّها عبارة عن بيئة خارجية قد تكون مساعدة جداً (المقاومة، مؤثرية مسؤولي الشعب وعناصر الاستقطاب، مهارة القائمين على إدارة المخيم في مشاركة الناشئة بهمومهم كتمثيل لدور الأهل).

من المؤمّل لهذا المؤتمر أن يعمل على العامل الرابع بشكل تفصيلي، أي يأخذ تجربة المؤسسات الثلاث المذكورة كمعطى علمي – إحصائي، يُنظَر إليها بعين التخصص، يدرسها، يقيمها، ثم يضع السياسات العامة والتفصيلية والملاحظات والإرشادات الكفيلة بتوجيه عملية بناء الخطاب الثقافي بحيث يكون مؤثراً بالناشئة.

على سبيل المثال:

١-بناءً على السياسة العامة التي طرحت في كلام سماحة السيد هاشم صفي الدين (راعي المؤتمر) والتي تؤكد على ضرورة أن يكون أحد أهداف الخطاب هو تعريف الناشئ بالنفس وكيفية تهذيبها، هل يمكن الدخول مع الناشئ في موضوع الشيطان مثلاً في هذا المجال؟ ألا يؤدي ذلك (بالاستدعاء) إلى إشكال لدى الناشئ في مسألة العدل الإلهي؟ وكيف تحل هذه الإشكالية؟

٢-على صعيد السياسة العامة في الخطاب، هل الناشئ قابل لتلقي جميع المفاهيم – ولا أتحدث هنا عن الاصطلاح والتعقيد – أم ينبغي العمل معه على أساس التدريج والتثقيف والجرعات،... الخ؟ ألا يعتبر ذلك إضعافاً لبريق الإسلام لديه وإدخالاً له في متاهة نقص الاسلام وخلوه من العمق والرؤية الممتدة في الافق الانساني الرحب.

مؤتمر الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة

البيان الختامي

بسم الله الرحمن الرحيم

في إطار سلسلة المناقشات التي شارك فيها عدد من الأساتذة والمختصين في المؤتمر الذي عقدته وحدة الدراسات الفكرية والثقافية والمتون في حزب الله بتاريخ ٨/ ١٠/ ٢٠٠٩ حول الخطاب الثقافي الموجه للناشئة خلص المؤتمر إلى مجموعة من الاستنتاجات المرتبطة بالناشئة في الميدان التربوي والتعليمي والتوجيهي.

وبعد أن تم تحديد معالم الخطاب الإسلامي وإبراز نقاط القوة والضعف المتصلة به خلص المؤتمر إلى وضع المقترحات الآتية:

في دور المؤسسات الرديفة للمدرسة:

- المبادرة إلى إنشاء مراكز للأبحاث التربوية على أساس إسلامي: تأخذ على عاتقها الإطلاع الدائم على النظريات الحديثة في علم النفس بمجالاته المتنوعة ومدّ المؤسسات الإعلامية والثقافية والتعلمية بالأسس العلمية اللازمة في عملها التربوي.

- اتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية مؤسسة الأسرة وتحسين الأداء التربوي للآباء والأمهات.
- تكثيف البرامج الإعلامية المساهمة في التأثير على مسلكيات الناشئة عبر المحاكاة والنمذجة.
- تأمين المراكز التي تساعد الأهل على توفير النجاح لأولادهم المتعثرين دراسياً وتوجيههم المهني بما يحول دون تسربهم للشارع.
- ممارسة الرقابة الاجتماعية على كل ما من شأنه تسعير الغرائز، تفريغ القيم من محتواها وكسر حاجز العفة والحياء. وتفعيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع بشروطها وشرائطها.

في مضمون الخطاب الإسلامي

إن مضمون الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه للناشئة لا بد من خضوعه لحاجات أساسية وهي:

- الحاجات التي تلحظها الشريعة: وهي مادة ثقافية تتضمن مجموعة من المعارف العقائدية الضرورية كأصول الدين والمعارف الفقهية، والقيم والأخلاق والسير التاريخية التي تتضمن عبراً ودروساً تربوية.

- الحاجات التي يعبّر عنها الناشئ عبر أسئلة يطرحها على والديه وعلى المربين والتي تستوجب صياغة دقيقة ومتلائمة مع الواقع.
- الحاجات التربوية الخاصة بمعالجة حالة تستلزم التصويب والعلاج.

في وسائل الخطاب الثقافي

لا بد لهذه الوسائل من الاستجابة للتحديات الراهنة ولمتغيرات العصر ومن الاستفادة من الوسائل الحديثة، التي لم يعد معها الخطاب الوعظي قادراً على التأثير ومنافسة المواد المهيمنة على اهتمامات الناشئة ومن هذه الأساليب المطلوبة:

- **القصة**: وهي تشمل أحد الأساليب الناجحة مع الالتفات إلى صياغتها الأدبية، وأهدافها التربوية المتلائمة مع القيم والعادات والثقافة الدينية، والإخراج الفني الجميل والجذاب.
- **الرسوم المتحركة**: التي تحث الناشئ على التفكير والبحث وتكتسبه اتجاهات ومواقف موافقة لحاجاته العمرية، وهو ما يستوجب وجود مؤسسات تحمل تخصصات إسلامية تربوية مثل التخصص الفني.

- **الأفلام الروائية:** التي لا بد من اقترانها بحسن اختيار الرواية والسيناريو والإخراج وجودة التمثيل ومؤثرات أخرى.
- **الكتاب المدرسي:** وهو ما زال معتمداً حتى الآن ولكن مع الحاجة الدائمة إلى التحديث، واختيار الأسلوب الجذاب، وتدعيمه بالرسوم الموجهة ووسائل الإيضاح، والابتعاد عن الأسلوب التلقيني في المضمون.
- **المسرح:** الذي يصنع واقعاً ملموساً ويعالج إشكاليات معاشة ويمكن استخدامه كأسلوب في الخطاب الديني والثقافي الإسلامي.
- **الألعاب الالكترونية:** التي تمزج بين التسلية المحببة للناشئة والتدريب على الملاحظة والاستكشاف والتفكير والاستنتاج وبأسلوب يجعلها قادرة على إقبال الناشئة مقابل الألعاب الالكترونية الخطيرة التي لا تخدم أهدافنا التربوية والثقافية.

في شخصية المحاور

حتى يكون الخطاب فاعلاً ومقنعاً لا بد أن تحكم شخصية المحاور بعض الخصائص وهي:

- أن يمتلك ثقافة كافية: يستطيع من خلالها أن يعرض ويشرح

ويفسـر ويحلل ويعلل ويقيم ويقدم الدليل الـذي يقنع بالحوار الـذي يعتمد الحجة والبرهان فيما يعرضـه ويقدمه من ثقافة دينيـة أو من مفاهيم حديثـة وموقف الإسـلام منها: كالرؤى الاقتصادية، والنظريات المادية، وحقوق الإنسان، والمواطنة وغيرها.

- أن يجسـد التعاليـم التي يدعو إليها: فـي قوله وفعله ما يجعله أميناً علـى قناعاتـه وثقافته، ويكسـبه احترام وثقـة الآخر، ويحيله إلى نموذج يمثل الأسوة الحسنة.
- أن يعتمد الأسـلوب الإنسـاني المرن والحكيـم: وهو لا يتحقق إلا بالثقافـة الكافية لمرسـل الخطاب التـي تمكنه من معرفة الخصائص العمرية للمخاطب وبأهوائه الاجتماعية وأوضاعه الاقتصادية وإنما التربية التي خضع لها.
- أن يحتـرم شخصـية الآخر المسـلم وغير المسـلم وان يلتزم المنطق والآداب الإسلامية في الحوار مع الآخر.

الصور


الخطاب الثقافي الإسلامي
8 - 10 - 2009


الإسلامية الثقافية
مؤتمر
الخطاب الثقافي الإسلامي
8 - 10 - 2009
جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL-MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
www.almaaref.org


جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
مؤتمر
الخطاب الثقافي الإسلامي
8-10-2009


جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
مؤتمر
الخطاب الثقافي الإسلامي
الخطاب الثقافي الإسلامي
8-10-2009


مؤتمر
الخطاب الثقافي الاسلامي
8-10-2009


مؤتمر
الخطاب الثقافي الاسلامي
8-10-2009





الفهرس